العدد الحادي والستون- السنة السادسة عشرة - محرم ١٤٤١هـ - سبتمبر ٢٠١٩م

رسالة القلم

إسلامية . ثقافية . شاملة

عاشوراء

حوار العدد

المنبر الحسينيّ (همومٌ وآمال)

حوار مع سماحة الشيخ حسن الهودار حفظه الله

- أربعون الإمام الحسين عليه السلام... زيارةً ومواكب
- آخذٌ بقولك... مع إمام منصور
- على حبّ الحسين يُطعمون
- القصص القرآنية حقائق واقعة
- تدوين القرآن الكريم في زمن النبوّة أم زمن الخلافة؟
- نقد مقالة (التفسير الموضوعي، مآزقه وإشكالياته)

٦١

رسالة القلم

مجلّة طلابيّة فصليّة
تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية
تصدر عن طلاب البحرين في الحوزة العلميّة
بمدينة قم المقدسة

برعاية مكتب البيان للمراجعات الدينيّة

علماً بأنّ المقالات لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة

الهيئة الاستشارية

الشيخ عبدالله علي الدقاق

الشيخ علي فاضل الصددي

المشرف العام

الشيخ عبدالرؤوف حسن الربيع

رئيس التحرير

الشيخ محمد علي خاتم

مدير التحرير

الشيخ عباس علي الصايغ

المدير المساعد

الشيخ جعفر عبدالنبي الجبوري

هيئة التحرير

الشيخ عزيز حسن سلمان

الشيخ علي عقيل الجمري

الشيخ منصور إبراهيم حسين

السيد جلال عدنان علوي

الرسالة والأهداف

* ترويج الفكر المحمّدي الأصيل عبر البحوث العلميّة والمقالات العامّة والتخصّصيّة.

* إعداد وتأهيل كتّاب ومحققين من طلبة العلم البحرانيّين في حوزة قم المقدّسة.

* إبراز نتاج الطلبة البحرانيّين والتعريف بمؤلّفاتهم.

* مخاطبة قرّاء العالم الإسلامي أجمع، والتمسّك بالثوابت الإسلامية والخط العلمائيّ الأصيل، مع الحفاظ على مبدأ الوحدة الإسلامية.

* مجابهة الأفكار الدخيلة والمنحرفة عن الدين.

* السعي للرقي والتقدّم بشكل مستمر على مختلف المستويات، والاهتمام بتطوير الكفاءات وزيادة الخبرات.

* السعي للغاية الكبرى وهي التمهيد لدولة صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

المحتويات

كلمة العدد

٥ المعيّة الصّادقة
رئيس التحرير

حوار العدد

١٣ المنبر الحسينيّ (همومٌ وآمال)
حوار مع سماحة الشيخ حسن الهودار حفظه الله

محور العدد: عــاشـوراء

٦٣ أربعون الإمام الحسين عليه السلام... زيارةً ومواكب
سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم حفظه الله

٩١ آخذٌ بقولك... مع إمام منصور
الشيخ علي فاضل الصدديّ

١١٣ **على حبّ الحسين يُطعمون**
الشيخ علي يعقوب المعاميري

بحوث ومقالات أخرى

١٣٧ **القصص القرآنية حقائق واقعة**
الشيخ عبد الرؤوف حسن الربيع

١٦٣ **تدوين القرآن الكريم في زمن النبوّة أم زمن الخلافة ؟**
الشيخ عزيز حسن الخُضران

١٩٧ **نقد مقالة (التفسير الموضوعي، مآزقه وإشكالياته)**
السيد ياسين السيد قاسم الموسوي

المعيّة الصّادقة

من منّا لا يتمنّى أن يكون مع الله ومع الرسول وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)!

لا أظنّ أحداً يطلب البُعد عنهم؛ إذ في البُعد عنهم بُعد عن الحق، وعمّا يدركه العقل، وعن الطهر والنّقاء والصفاء. البُعد عنهم يعني الالتصاق بالرذيلة والانحطاط والتراجع في غالب المستويات.

إذاً لا يسع أحدنا -ما دام يصبوا للرفعة والعزّة في الدنيا والآخرة- إلا أنّ يكون معهم ملتصقاً بهم، مستمسّكاً بحبلهم، آخذاً عنهم، سائراً على نهجهم وطريقهم.

وعلى هذا فالكلّ يتمنّى أن يكون معهم لا مع غيرهم، فإن تيسّرت المعيّة المكانية فهي نور على نور، وإن لم تتيسّر فهناك معيّة أخرى لا بد من الالتفات إليها وهي تكمن على مستوى الطاعة والانتماء إليهم كمعيّة

سلمان المحمّدي؛ حيث شهد لذلك غير واحدٍ من المعصومين بقولهم: «**سلمانُ منّا أهل البيت**»[١].

والمعيّة الأولى: قد لا تعطي الإنسان ميزة إذا انفصلت عن المعيّة الأخرى وسيكون كالخشب المسنّدة التي كان بعضها يزاحم الرسول صلى الله عليه وآله أو الفئة المنافقة التي ما برحت إلا وتطلب الفتك به صلى الله عليه وآله وبمن جاء من بعده من المعصومين عليهم السلام.

أما المعيّة الثانية: فهي تخرق الزمان والمكان، وتعطي الفرصة للجميع للانتماء إليهم (صلوات الله عليهم) وإن رأوا منه صدق الانتماء قبلوا معيّته فكانوا معه كما هو معهم.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ المعيّة متبادلة بيننا وبينهم؛ فمنهم -الله والرسول وأهل بيته- معيّة تجاهنا، ومنّا معيّة تجاههم.

أما معيّتهم تجاهنا فالشواهد عليها كثيرة نشير إلى بعضها:

معيّة الله:

أمّا معيّة الله فهي متحقّقة كما في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (الحديد: ٤)، وقوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ**

(١) لمزيد اطلاع على هذا يمكن مراجعة مقال بعنوان (سلمان منّا أهل البيت.. وِسام شرف)، مجلة رسالة القلم ٢٠١١م، العدد٢٨، ص٧٥.

اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: ٧)، وغيرها مما يدلّ على كونه تعالى مشرف على جميع خلقه ولا يخفى عليه من أمرهم شيء.

وفي قبال هذه المعيّة توجد معيّة أخرى هي لأفرادٍ من خلقه قد اتصفوا بصفات أهّلتهم لنيل هذا المقام الرفيع عند الله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النّحل: ١٢٨)، وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣) وغيرها، ولا شكّ أنّ في هذه المعيّة حالة التسديد لهؤلاء العباد.

معيّة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام

أما معيّة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من ولده على الخلق فلها شواهد عديدة تدلّ على إفاضة الله تعالى عليهم هذا الفضل لتكون عندهم المعيّة مع الخلق لا سيّما الأولياء منهم سواء:

- على مستوى الشهادة والاطلاع:

فمن هذه ما عن الإمام الباقر عليه السلام: «**أترون أن ليس لنا عليكم أعينٌ ناظرة، وأسماعٌ سامعة، لبئس ما رأيتم، والله لا يخفى علينا شيء من أعمالكم، فاحضرونا جميعاً، وعوّدوا أنفسكم الخير وكونوا من أهله تعرفوا فإنّي بهذا آمر ولدي وشيعتي**»[1] وغيرها مما تدلل على إفاضة الله

(١) وصدر الخبر أنّه قال أبو بصير: سمعت الإمام الباقر يقول لرجل من أهل أفريقيه: «**ما حال راشد؟ قال: خلّفته حيّاً صالحاً يقرئك السلام، قال عليه السلام: رحمه الله. قال: مات؟، قال: نعم، بعد خروجك بيومين... إلى أن قال أبو بصير بعد أن انصرف الرجل، من يكون راشد؟ قال: رجل لنا موالٍ ولنا محبّ. ثمّ قال عليه السلام: أترون...**»، منتهى الآمال، القمي، ج٢، ص١٢٨. عن الخرائج و الجرائح، قطب الدين الراوندي، ج ٢، ص ٥٩٦.

لهم هذا المقام العالي حيث تعرض عليهم أعمال الخلائق ولا يخفى عليهم شيء.

- أو على مستوى التأييد والتسديد:

كما عن يونس بن ظبيان في قول الإمام الصادق عليه السلام إليه في حديثٍ: «**يا يونس، إذا كان ذلك -أيْ: الموت- أتاه محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والملائكة المقربون عليهم السلام، فإذا قبضه الله عز وجل صيّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا**»(١) ولا شكّ أنّ في شهادتهم لهذا المحتضِر عَونٌ له على هذه المرحلة التي يمرّ بها.

وغيرها من الروايات الدالة على تسديدهم -وإعانتهم في غير هذا الموضع- التي ليس الغرض عرضها هنا.

معيّتنا إلى الله وإلى الرسول والأئمة

وهذه المعيّة لا بد من أن نعيشها ونترجمها في سلوكنا دائماً، وهي التي نلهج بها في كثير من الأدعية والزيارات ويعلّما أهل البيت عليهم السلام ذلك ويدعوننا إلى أن نكون معهم ومن قبلهم الله تعالى كما في:

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾(التوبة: ١١٩)

---

(١) قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: «**ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ فقلت: يقولون: تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد الله عليه السلام: سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، يا يونس إذا كان ذلك..**» الكافي، الكليني، ج٣، ص٢٤٥ باب في أرواح المؤمنين، ح٦.

والمصداق للصادقين هم النبي وآله الطاهرون عليهم السلام.

وفي الزيارة الجامعة: «**معكم معكم لا مع غيركم**».

وفي زيارة عاشوراء: «فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب ثأرك[ثأري] مع إمام منصور من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله». وغيرها.

فهذا التوجيه والتلقين المتكرر للكون مع الله تعالى ومع المعصومين إنّما هو راجع للعبد نفسه، وهو المحتاج إليهم لا العكس ليصل إلى رضوان الله تعالى فيكون ممن رضي الله عنه[1]، وأيّ مقام هذا الذي يتمنّاه كلّ الأولياء والصالحين، وأيّ فوز هذا!.

ولكي نحقق هذه المعيّة في سلوكنا لا بد من الالتفات إلى جملة من الأمور التي بها نكون معهم عليهم السلام ولا نغفل عن كون المعيّة معهم تحقق المعيّة مع الله تعالى؛ لأنّ «**من أراد الله بدأ بكم، ومن وحّده قبِل عنكم**»[2] ولا معيّة صادقة مع الله تعالى إلا بمعيّة صادقة معهم عليهم السلام. ولتكون هذه المعيّة صادقة لا بد من ترجمتها بصدق من خلال جملة من الأمور:

الأول: اتّباعهم والأخذ عنهم، فما دام قد ثبت شيء عنهم فلابد من التسليم به لأنّهم هم الأبواب التي من خلالها نصل إلى الله تعالى، ألسنا

---

(١) ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، المائدة: ١١٩.

(٢) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٣٠٨.

نقول: «**وقلبي لقلبكم سلم وأمري لأمركم متّبع**»[١] فمقتضى هذا الاتباع هو القبول عنهم، فما ثبت صدوره عنهم ليس لنا ردّه ولو بحجّة عدم قبول العقل لهو مثلاً.

الثاني: جعلهم القدوة في كلّ وجودنا وحياتنا، فكما أنّهم حريصون على رفع كلمة التوحيد فنحن لا بد أن نكون كذلك، وكما أنّهم يحملون همّ الإسلام وإعزازه فنحن لا بد أن نكون كذلك، فهم أئمّتنا وقداوتنا، ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ (آل عمران: ٣١-٣٢)، ولا بد أن يسعى الفرد منّا ليمتزج بما يحمله هؤلاء القادة ولو على مستوى التألّم -إن لم يقدروا على المدافعة- لوجود الباطل وانتشاره وعلوّه على الحقّ وأهله وصيرورة المنكر ومرتكبه عزيزاً بدلاً من ذلّته.

الثالث: استحضار الكون في محضر الله والمعصومين كما أشار إليه الإمام في قوله: «**فاحضرونا جميعاً**» وهو ما ذكر في القرآن في قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون**﴾ (التوبة: ١٠٥) ولا شكّ أنّ في استحضار هذا الكوْن مانع عن التقصي في جنب الله ﷻ وعن ارتكاب المحظورات، بل هو مانع حتى عن الكسل في أداء العبادات والكثير من الأعمال... وهذه نِعم المعيّة معهم حيث يعيش الإنسان في كلّ مكان وزمان مستشعراً اطلاع الله عليه واطلاع المعصومين عليه،

(١) من زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة وارث.

فإنّ هذا باعث -مضافاً إلى ما أشرنا إليه- على التحلّي بالإخلاص، وأنّه ما دام الله تعالى والرسول والأئمّة مطّلعون على سرّي الذي هو طاعة لله ولهم فما الضير في أن يصلني ذمّي من جاهل بذلك بدلاً من أن يصلني ما فيه مدحي ورفع شأني؛ لأنّ المهم عندي هو أن أرتفع شأناً عند الله وعندهم عليهم السلام.

الرابع: فعل الخيرات كما أشار إلى ذلك الإمام عليه السلام في قوله: «**وعوّدوا أنفسكم الخير وكونوا من أهله تعرفوا**»، ولا شكّ أن تطبّع العبد على فعل الخير حتى يبلغ به الأمر إلى أن يُعرف به وأنّه من أهل الخير والصلاح فإنّ هذا مما له انعكاس إيجابيٌّ على الفرد وعلى غيره، فالفرد بهذا التطبّع يكون خيراً محضاً يمجّ الشرّ ويرفضه، بل يقف في وجهه، وغير الفرد يجد الأمن مع أهل الخير فيقبل عنهم ويميل إلى السبب الذي جعلهم أهل خير فإن لم يرتبط بهذا السبب فإنّه لن يكون عدوّاً له، وهذا مفاد «**كونوا دعاة لأنفسكم بغير ألسنتكم**»[1].

الخامس: ضرورة تعميق الارتباط مع الإمام المهدي عليه السلام: «**فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب ثأرك[ثأري] مع إمام منصور من أهل بيت محمد**»، وهذا يستلزم إعداد العدّة مع لحاظ ما

---

(١) عن أبي أسامة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**عليكم بتقوى الله والورع، والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الخلق، وحسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم بطول الركوع والسجود، فإنّ أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: يا ويلتاه أطاعوا وعصيت، وسجدوا وأبيت**» المحاسن، البرقي، ج١، ص١٨، باب١١ من كتاب الأشكال والقرائن، ح٥٠.

تقدّم نقاط أربع كيما يكون الفرد منّا كواحد من أصحاب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه الخلّص الذين لا يقدّمون إلا أمره وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، ولا يعترضون على فعله وقوله، وإليه يسلمون، وله متّبعون، فيبلغون الفتح والفوز العظيم.

المنبر الحسينيّ ‹هموٌمٌ وآمال›!

في حوار مع سماحة الشيخ حسن الهودار حفظه الله[1]

حاوره: الشيخ علي عقيل الجمري

إنّ المنبر الحسينيّ اليوم ومن زمنٍ بعيد هو الواجهة الأولى في نشر هدى أهل البيت عليهم السلام في كلّ العالم، وهو الرافد الأول لربط الناس بالإسلام ورموزه الخيّرين الأطياب من آل الرسول صلى الله عليه وآله، ولذا فإنّ من الحريّ جداً أن تكون الأمّة بكلّ أطيافها مسؤولة أمام هذا الموقع الخطير، وتشتدّ المسؤوليّة على عاتق العلماء والحوزة العلمية لأنّها الخطّ الأصيل للإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، فيناط الدور

(١) سماحة الشيخ حسن عبدالله الهودار، ولد في الأحساء، والتحق بحوزة قم المقدّسة، وواصل دراسته بجدّ حتى وصل إلى البحث الخارج وحضر عند كلّ من:
١- الشيخ الوحيد الخراساني حفظه الله.
٢- السيد منير الخبّاز حفظه الله.
٣- الشيخ محمد تقي شهيدي حفظه الله.
وهو مستمر حاليّاً في تدريس السطح العالي في حوزة قم، له عدّة مؤلّفات وتقريرات (لم تطبع بعد). بالإضافة إلى مشاركاته التبليغيّة على مستوى الخليج العربي من خلال المنبر الحسينيّ وغيره حتى يومنا هذا.

الأبرز على الحوزة لحفظ هذا الوجود الضّخم وتوجيه مساره عند كلّ المنعطفات، والأخذ به إلى الأهداف التي خطّها الحسين عليه السلام بدمه المبارك.

ومن هنا جاء هذا الحوار من رسالتنا -رسالة القلم- مع سماحة الأستاذ الشيخ حسن عبدالله الهودار حفظه الله كي نسلّط الضوء على جملة من التساؤلات الحاملة في طيّاتها هموم وآمال المنبر، كما نتوجّه له بوافر الشكر على إتاحته لنا فرصة إجراء هذا الحوار المثمر:

■ **السؤال الأول: البعض ينظر إلى المنبر أنّه يكرّر تاريخاً لا نفع للأجيال فيه، فما هو تعليقكم على هذه الفكرة؟**

*أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللّعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

نبدأ بحول الله للإجابة على هذا السؤال، فنقول:

يمكن الجواب عن هذا السؤال بعدّة أجوبة:

الجواب الأول: الأبعاد المنبريّة؛ من يدعي بأنّ المنبر الحسينيّ يكرّر تاريخاً فهو مشتبه؛ فإنّ للمنبر الحسينيّ أبعاد متعدّدة؛ فمن جملة هذه الأبعاد البُعد العقدي حيث إنّ المنبر الحسينيّ هو المدرسة لمذهب أهل البيت عليهم السلام الذي يمكن من خلالها نشر الأصول والأسس العقديّة الإسلاميّة والإماميّة المتينة والصحيحة، والذي يمكن من خلاله أيضاً

تربية الأجيال المتلاحقة؛ حيث إنّه من الواضح عدم نشر الأصول العقدية والمعارف العقدية الصحيحة المأخوذة عن أهل البيت عليهم السلام في المعاهد العلميّة من المدارس والكليات والجامعات وغير ذلك في الأوساط الإسلامية عموماً.

فالمنبر الحسينيّ هو الذي ينشر هذه المعارف العقدية الأصيلة والسليمة المأخوذة عن أهل البيت عليهم السلام، كما أنّ المنبر الحسينيّ أيضاً يدحض الكثير من الشبهات التي تطرح قديماً وحديثاً حول الإسلام والقرآن والنبي صلى الله عليه وآله وحول مذهب أهل البيت، فهذا بعد من أبعاد المنبر الحسيني.

البعد الثاني: البُعد التربوي الأخلاقي؛ حيث إنّ المنبر الحسينيّ أيضاً مدرسة مهمة في بث التعاليم الإسلامية والقيم الأخلاقية، وشحذ النّفوس بنور الإيمان والتقوى والصلاح لما يشتمل عليه من المواعظ ومن التذكير من خلال هذه النصوص الواردة عن المعصومين عليهم السلام، فهو يعالج الكثير من الأمراض الروحية التي يعاني منها الإنسان من الغفلة والقسوة والجفاف الروحي وغير ذلك، فيربط المنبرُ الإنسانَ بالله تبارك وتعالى، ويذكره بمصيره الحتمي الذي ينتظره، هذا بُعدٌ آخر.

البعد الثالث البُعد الاجتماعي؛ حيث إنّ المنبر الحسينيّ -أيضاً- مدرسة مهمة في علاج وإصلاح الكثير من القضايا الاجتماعية والمشاكل المتجدّدة التي يعاني منها المجتمع بحسب الظروف الزمانية

والمكانية، ويتم علاج هذه المشاكل من خلال النصوص الدينية من القرآن والسنة وعبر أهل البيت عليهم السلام.

البعد الرابع البُعد الفقهي؛ فإنّ هناك بعضاً من المنابر الحسينية التي تتصدّى لعلاج الكثير من القضايا والمسائل الفقهيّة الملحّة والتي يحتاج إليها المجتمع وبيان هذه الأحكام الشرعيّة.

البعد الخامس: البُعد الثقافي؛ حيث إنّ المنبر الحسينيّ -أيضاً- مدرسة مهمة لتثقيف المجتمع والارتقاء به معرفياً من خلال طرح المعارف والنّظريات العلميّة المتواكبة مع مستجدات هذا العصر والتي لا تتصادم مع المبادئ والأسس والقيم الدينية.

البعد السادس: البُعد التاريخي؛ حيث إنّ المنبر الحسينيّ -أيضاً- يتصدّى لعرض الكثير من المشاهد والأحداث التاريخيّة سواء على المستوى الإنساني عموماً أم على المستوى الإسلامي وغير ذلك، فمن جملة ما يتعرّض له المنبر الحسينيّ البُعد التاريخي لا أنّ المنبر عبارة عن سرد تاريخي فهذا ظلم للمنبر في هذا العصر الذي نعيشه اليوم؛ فإنّ المنبر يشتمل على أبعاد متعدّدة وأحد أبعاده البُعد والجانب التاريخي، ومن خلال هذا البُعد التاريخي يتعرّض فيه لمشروع الإمام الحسين «سلام الله عليه» وثورته العظيمة.

الجواب الثاني: هو أنّ القول بأنّ النّقل التاريخي لا نفع فيه فهذا أمر غير صحيح حيث إنّنا لو لاحظنا حياة الكثير من الحضارات والأمم

والشعوب المتعدّدة لوجدناهم يهتمون كثيراً بتاريخهم والأحداث المهمة في مسيرتهم وفي حياتهم؛ وذلك لما للتاريخ من أهميّة في حياة الإنسان ومن هنا نجد أنّ القرآن الكريم قد اشتمل على كثير من الأحداث والقصص التاريخية حتى أنّا لا نبالغ حينما نقول أنّ ثلث القرآن عبارة عن نقل للأحداث التاريخية لما في ذلك من فوائد متعدّدة؛ منها مثلاً أخذ العِبرة والعِظة كما أشار القرآن الكريم ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾(يوسف: ١١١).

من الفوائد الانتعاش والاستلهام كما يقول القرآن الكريم: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**﴾ (الأنعام: ٩٠)، فحينما نطالع حياة الأنبياء وحياة العظماء الذين سبقونا فإنّ أرواحنا تتعلّق بهم وتنجذب نحوهم مما يؤدّي إلى الانتعاش الروحي لنا واستلهام القوّة من خلالهم في نفوسنا فنتأثر بمسيرتهم.

ومن جملة الفوائد -أيضاً- الاستفادة من التجارب، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**وفي التجارب علم مستأنف**»[١]؛ فإنّ الإنسان بحاجة شديدة لأن يلاحظ تجارب من سبقه فيستفيد من تجاربهم في الوصول إلى مبتغياته بعد ملاحظة نقاط القوّة والضعف في مسيرتهم لينتفع بها.

فائدة رابعة وهي اختصار المسافة الزّمنية كما يشير إلى ذلك أمير

(١) الكافي، الكليني، ج٨، ص٢٢، من خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام.

المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الحسن كما في نهج البلاغة حيث يقول: **«فبادر بالأدب قبل أن يقسو قلبك؛ ويشتغل لبّك، لتستقبل بجدٍّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بعينه وتجربته، فتكون قد كفيت مؤنة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة»**(١)، فعمر الإنسان قصير، فلأجل ذلك هو بحاجة فعلا لأن يختصر المسافة بدلاً عن أن يقع في أخطاء متكرّرة ويتلافى بعد ذلك أخطائه فيستفيد من تجارب الغير ليختصر المسافة على نفسه.

ومن الفوائد -أيضاً- التعظيم والتكريم للعظماء، ولأجل ذلك نحن حينما نراجع حياة كثير من الشعوب وأهل الأديان نجدهم كانوا يهتمّون بالأحداث التاريخية تعظيماً لأصحاب تلك الأحداث التاريخية أو لما في تلك الوقائع التاريخية من تأثير في حياتهم، فمثلاً حينما نأتي للمسيحيين نجدهم يحتفلون بيوم الميلاد للمسيح وهو الكريسماس مثلاً كما أنّهم يحتفلون كلّ سنة بعيد رأس السنة الذي يصادف ٣١ ديسمبر، حينما نأتي كذلك إلى اليهود نجدهم يعظمون ويهتمون بسبعة أيام وتعتبر أعياداً رسميّة عندهم ومن أبرز تلك الأيام والأعياد التي يحتفلون بها سنوياً عيد الفصح، وهو الذي يسمّى عندهم بعيد الغفران؛ حيث يستذكرون فيه حدثاً تاريخيّاً مؤلماً للإسرائيليين.

كذلك حينما نأتي إلى غير أهل الديانات السماوية كاليابانيين مثلاً، فإنّك ستجدهم الآن لمدة ثلاث وسبعين سنة حتى هذه السنة بعد

(١) كشف المحجّة لثمرة المهجة، السيد ابن طاووس، ص١٦١.

الحرب العالمية وما طحنته وسحقته الحرب العالمية في هيروشيما وناجازاكي بسبب القنبلتين اللّتين وقعتا على هاتين المدينتين التي راح ضحيّتهما ربع مليون إنسان تجد أنّ اليابانيين في كلّ عام يحيون هذه المناسبة وهذا الحدث التاريخي، ويعيشون حداداً في ذلك اليوم تعظيماً وتكريماً لهؤلاء الضحايا في تلك الحرب.

فإذا جئنا لحياة الأمم وجدناهم يعظمون كثيراً من الأحداث التاريخية، فكيف إذا كان هذا الحدث التاريخي هو حدث عاشوراء الذي له تأثير كبير على مستوى الإنسانية عموماً، بل على مستوى جميع الكائنات الحيّة، ولذلك نقرأ نحن في الزّيارة: «**أشهد لقد اقشعرّت لدمائكم أظلّة العرش مع أظلّة الخلائق وبكتكم السماء والأرض، وسكّان الجنان والبرّ والبحر**»(١) فهذا الحدث العظيم يستحق أن يخلّد ويبقى ويتكرّر وأن يكون كلّ يوم -كما يقال- عاشوراء وكلّ أرض كربلاء.

حينما نلتفت إلى أنّ صاحب هذا الحدث هو خامس أصحاب الكساء وهو سيّد شباب أهل الجنّة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة**»(٢) وحينما نلحظ من جانب آخر الهدف والمشروع الذي خرج من أجله الحسين عليه السلام وهو الإصلاح في أمّة جدّه حيث كان يحمل رسالة عظيمة من أجل الإنسانية «**إنّي ما**

---

(١) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج٣، ص٣٤٢.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص١١٢، المجلس الثالث عشر، ح١٠.

خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي ﷺ وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام»(١) وحينما نلاحظ حجم المأساة التي جرت على سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) وعلى أهل بيته حتى نجد في زيارة عاشوراء «**مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام وفي جميع السماوات والأرض**»(٢) نجد أنّه ليس من القليل أننا نحيي عاشوراء ونستذكر هذه الأحداث التاريخيّة كلّ عام وفي كلّ سنة لما في ذلك من الفوائد العظيمة في حياتنا.

الجواب الثالث والأخير: هو أنّ النّقل التاريخي في حدّ ذاته لواقعة كربلاء ومشاهدها هو عبادة لله تبارك وتعالى ونحن ما خلقنا إلا من أجل عبادة الله ونفس هذا العمل واستذكار ما جرى على سيّد الشهداء (صلوات الله وسلامه عليه) هو عبادة لله وعمل راجح مستحب بل قد يصل في بعض الظروف إلى حدّ الوجوب ويمكن أن يستدلّ على ذلك بعدة عناوين وأدلّة:

العنوان الأول: التأسّي بالنبيّ ﷺ وأهل البيت؛ فإنّهم هم الذين كانوا يجدّدون الحزن والعزاء على سيّد الشهداء في كلّ عام، فأول من ندبه من المسلمين وبكى عليه هو رسول الله ﷺ وأخبر المسلمين بما سيجري عليه، ثم جرى أهلُ البيت إماماً بعد إمام على إحياء

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٤، ص٣٢٩.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٩٨، ص٢٩٢.

عاشوراء والاهتمام بهذا الحدث التاريخي، ولنا فيهم الأسوة الحسنة كما يقول القرآن: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

العنوان الثاني المحبّة؛ محبّة أهل البيت عبادة لله، ولذا يقول القرآن ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣) والقربى منهم سيد الشهداء (صلوات الله وسلامه عليه) الذي يقول النبي صلى الله عليه وآله في حقّه «**أحبّ الله من أحبّ حسيناً وأبغض الله من أبغض حسينا**»[١]، فاستذكار ما جرى على الحسين والاهتمام بهذا الحدث التاريخي هو حبّ للحسين (صلوات الله عليه).

العنوان الثالث: الإحياء؛ حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا**»[٢] وأنّ من إحياء أمرهم الاهتمام بهذا الحدث التاريخي الذي جرى على سيد الشهداء (صلوات الله وسلامه عليه).

العنوان الرابع: عنوان الشعائر؛ كما قال القرآن: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢) فإنّ الحسين عليه السلام من شعائر الله، نفس الحسين هو من شعائر الله فإذا كان جبل الصفا وجبل المروى من شعائر الله كما يقول القرآن: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ (البقرة: ١٥٨)، إذا كانت الناقة التي تنحر في منى هي من شعائر الله

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٥، ص٣١٤.

(٢) هداية الأمّة إلى أحكام الأئمّة، الحر العاملي، ج٥، ص١٣٧، رقم٨٦٠.

كما يقول القرآن: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ (الحج: ٣٦) فكيف بسيد الشهداء وخامس أصحاب الكساء لا يكون من أعظم شعائر الله والطرق المقربة لله ﷻ، لذلك تعظيم الحسين (صلوات الله عليه) والاهتمام بهذا الحدث التاريخي الذي جرى عليه هو من شعائر الله، وهو مما يوجب تقوى القلوب.

إذاً فدعوى أنّ المنبر يسرد تاريخاً لا نفع فيه كلام خال من الصحة.

■ **السؤال الثاني: هل من الممكن الجمع بين المنبر والفضيلة العلمية في الحوزة. كونك خطيباً وأستاذاً في الحوزة؟**

إذا أردنا أن نجيب عن هذا السؤال جواباً شافياً فلا بدّ أن نذكر نقاطاً ثلاث:

النقطة الأولى: حول أهمية المنبر لطالب العلم الحوزويّ

تكمن أهمية المنبر لطالب العلم الحوزوي من خلال عدّة أمور:

الأمر الأول: أنّ المنبر الحسينيّ يوسّع المدارك المعرفيّة لطالب العلم، حيث إنّنا في الحوزة نشغل جلّ أوقاتنا في علم الأصول وعلم الفقه وعلم اللغة وعلم الرجال، لكن إذا دخلنا في المنبر الحسينيّ سوف نضطر حينئذٍ للاطلاع في علم التفسير، وعلم الكلام القديم والجديد، وفي علم التاريخ، وقد نضطر للخوض حتى في علم النّفس وعلم الاجتماع وغير ذلك.

الأمر الثاني: أنّ المنبر الحسين يفتح آفاقاً تبليغيّة واسعة لطالب العلم، فلو أنّ طالب علم لم يجد فرصة للتبليغ وخدمة المؤمنين من خلال المسجد؛ لأنّ المساجد في البلاد مشغولة بأئمة الجماعات، إلا أنّه يمكنه أن يبلّغ رسالته ومشروعه الذي يحمله من خلال المنبر الحسيني، ولو فرضنا أنّه لم يُتح له التبليغ في بلده، إلا أنّه يمكنه من خلال المنبر أن يبلّغ في شرق الأرض وغربها.

الأمر الثالث: شرف الانتماء لسيد الشهداء (صلوات الله وسلامه عليه)، فمن المهم جداً أنّ طالب العلم يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام؛ فإنّ في ذلك توفيقات كبيرة دنيوية وأخروية لمن ارتبط بالحسين عليه السلام فإنّ الارتباط بالحسين عليه السلام عبر خدمته من خلال المنبر أو من غيره يساعد على توفيق الإنسان حتى في دراساته الحوزويّة، وأيضاً يساعده على الاكتفاء المعيشي والحياتي فلا يحتاج لمدّ يده إلى أحد، والأهمّ من كلّ ذلك هو الثواب العظيم ببركة الانتماء إلى الحسين عليه السلام.

النقطة الثانية: حول أهمية المنبر لأصحاب الفضيلة في الحوزة:

تكمن أهمية المنبر لأصحاب الفضيلة الحوزوية من خلال عدّة أمور:

أولاً: المسؤوليّة الكبيرة الملقاة على رجال الدين: حيث إنّ المنبر الحسينيّ هو واجهة المذهب اليوم، فمن يعرف المذهب ومن يستبصر ويدخل في مذهب أهل البيت عليهم السلام ومن يطرح الشبهات والإشكالات على المذهب كلّه من خلال المنبر الحسينيّ، فمن هنا يتحتّم على أصحاب

الفضيلة في الحوزة العلميّة أن يدخلوا في سلك المنبر الحسينيّ ويلتحقوا به حتى يؤدّوا حقّ مذهب أهل البيت عليهم السلام ويعكسوا صورة مشرقة عن هذا المذهب وعن هذا الدين.

ثانياً: سدّ الطريق أمام المنابر الهزيلة التي تشوّه صورة المذهب: فإنّه إذا ترك أهل الفضيلة وأهل التخصّص المنبرَ الحسينيّ سيؤدّي ذلك لأنْ يكون المنبر الحسينيّ منبراً هزيلاً يصعده أيٌّ كان، حتى من لم يكن متخصّصاً في الحوزة، وهذا فيه ضرر على مذهب أهل البيت عليهم السلام، فإذاً حتى ينسدّ الباب أمام المنابر الهزيلة التي نرى البعض منها اليوم صار منبراً يروّج له وفيه بعض الخرافات وبعض الخزعبلات، بل أنّ بعضها فيه بعض الأكاذيب مع الأسف، فيتحتّم على أهل الفضيلة الخوض في المنبر الحسينيّ حتى يسدّ الطريق أمام تلك المنابر الهزيلة.

ثالثاً: تحفيز المستمعين على الحضور والتفاعيل: فإنّه إذا كانت هناك منابر لأهل التخصّص وأهل الفضيلة كان ذلك محفّزاً على الحضور وعلى تفاعل الجمهور وهذا أمر محمود ومطلوب.

النقطة الثالثة: طرق الجمع بين المنبر الحسينيّ والفضيلة الحوزوية:

لا شكّ ولا ريب في أنّه يصعب للغاية الجمع بين الأمرين بحيث يكون المنبر منبراً قوياً ويكون طالب العلم أيضاً طالب علمٍ قويٍّ وصاحب فضيلة؛ لأنّ المنبر يأخذ من وقت الحوزة والحوزة تأخذ من وقت المنبر، إلا أنّه مع ذلك يمكن الجمع مع تنظيم الوقت، واستثمار كلٍّ من الأمرين في وقته، فوقت الحوزة للحوزة وموسم التبليغ للمنبر،

لا أن يكون أحدهما على حساب الآخر، فتنظيم الوقت وإشغال كلّ واحدٍ في وقته يمكن من خلال ذلك الجمع، إلا أنّ هناك طرق ثلاثة للجمع:

الطريق الأول: تحصيل الفضيلة أولاً، وبعد أن يكون طالب العلم ذا فضيلة يلتحق بعد ذلك في المنبر الحسيني، فبعد أن يقطع مشواراً في الحوزة حتى يدخل البحث الخارج، فحينئذٍ يلتحق بالمنبر الحسيني، فهذا طريق وهناك من سار عليه.

الطريق الثاني: تحصيل المنبر ثمّ الالتحاق بالحوزة العلمية، فأولاً يشتغل في الخطابة وأدواتها وآلياتها حتى يتمكّن منها ثم بعد ذلك يلتحق بالحوزة العلمية إلى أن يكون صاحب فضيلة، وهذا طريق وهناك من سار على هذا الطريق.

الطريق الثالث: الطريق التواكبيّ، بمعنى أنّه في نفس الوقت الذي يُشتَغل فيه بالحوزة أيضاً يُشتَغل فيه بالمنبر الحسيني، ولكن مع تنظيم الوقت، وإعطاء كلّ واحدٍ وقته ومناسبته الخاصّة به، فمثلاً: بعد سنتين أو ثلاث من الدارسة الحوزوية يعني بعد ما يقطع طالب العلم المقدّمات ويشرع في السطوح يبدأ الآن بخوض المنبر الحسينيّ ولو كبداية ويتعلّم آليات الخطابة ويتعلّم النّعي ثم بعد ذلك يتدرّج شيئاً فشيئاً، فلا يصبح بالتالي صاحب فضيلة حوزوية إلا وقد صار صاحب منبر قويّ ومؤثّر وفعال، فالطريقة إذاً للجمع الذي أراها مناسبة «**الطريقة الجمعية التواكبية**»، فأولاً يشتغل طالب العلم بمقدار ثلاث سنوات في الحوزة،

ثم بعد ذلك يبدأ شيئاً فشيئاً في المنبر الحسيني.

▪ **السؤال الثالث: ماذا قدّم المنبر للأمّة على مرّ العصور، حبّذا لو أخذتمونا في تجوالٍ في هذه النّقطة بحسب اطّلاعكم في هذا المجال؟**

❋ إذا أردنا أن نجيب عن هذا السؤال بجواب عميق فلا بدّ أن نبين في البدء أمرين:

الأمر الأول: ما هو مقصودنا من المنبر الحسيني حينما نقول ماذا قدَّم المنبر. فما هو المراد من المنبر؟ هناك معنيان للمنبر الحسينيّ:

المعنى الأول: هو المعنى الأخص والمتبادر للأذهان في هذا اليوم وهو أنّ المنبر عبارة عن المرقى والمنصّة التي يعتليها الخطيب ليخاطب بها المجتمع حول رسالة ومشروع ومأساة الإمام الحسين عليه السلام.

المعنى الثاني: هو المعنى الأعم وهو أنّ المقصود من المنبر الحسينيّ عبارة عن النّداء والصوت والصّرخة الحسينيّة التي يتمّ من خلالها نشر وإعلام رسالة ومشروع ومأساة الحسين عليه السلام، سواء كان ذلك عبر المرقى والمنصّة أم لم يكن كذلك، فالمنبر الحسينيّ أعمق مما نتصوّره اليوم، ولأجل ذلك يتّضح لنا أنّ هذا المنبر الحسينيّ بالمعنى الثاني كان موجوداً قبل الإسلام من أيّام الأنبياء السابقين، بل حتى لعلّه قبل وجود الأنبياء السابقين في العوالم الأخرى، ولذا أول من أعلم وأطلع على مأساة الحسين عليه السلام هو الله عزّ وجلّ فأطلع الأنبياء وأطلع الملائكة، ولذا في كامل الزيارات على سبيل المثال لا الحصر

باب خاص بعنوان علم الأنبياء بقتل الحسين عليه السلام، وباب آخر علم الملائكة بقتل الحسين عليه السلام.

كذلك الملائكة أيضاً مارسوا دور المنبر الحسينيّ، فتُحدّثنا الأخبار أنّه كما في كامل الزيارات في يوم ولادة الحسين عليه السلام هبط جبريل مع ألف ملك على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله يهنئونه بالحسين عليه السلام وأخبروه بقتله ومأساته.

كذلك النبي الأعظم مارس نفس الدور فكم أخبر الأمّة بما سيجري على ولده الحسين والروايات في ذلك معتبرة في كتب الفريقين حتى أنّه لم يبقَ أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا وعلم بما سيجري على الحسين عليه السلام في كربلاء، بل إنّ الحسين عليه السلام نفسه مارس دور المنبر الحسينيّ في المدينة وفي مكة وفي كربلاء وأخبر من خلال منبره عن مشروعه ورسالته، بل حتى المأساة التي ستجري عليه كما في خطبته في مكة حيث قال للحجيج: «**كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيملئن منّي أكراشاً جوفا وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين**»(١).

وهكذا مارست الحوراء زينب (صلوات الله وسلامه عليها) بعد واقعة كربلاء دور المنبر الحسينيّ سواء في كربلاء أو في الكوفة أو لما

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص٣٦٧.

أُخذت إلى الشّام أو حتى رجعت إلى المدينة بتلك الخُطب الحرارية والنارية التي ألّبت عبرها الجماهير ضدّ بني أميّة.

وكذلك زين العابدين (صلوات الله وسلامه عليه) الذي قضى ما بقي من عمره قرابة الأربعين سنة ليله ونهاره في منبر الحسينيّ، وأَعلَمَ بما جرى على سيد الشهداء (صلوات الله وسلامه عليه)، وإلى يومنا هذا ولا يزال المنبر الحسينيّ باقياً وخالداً، وسنمضي وتأتي من بعدنا أجيال تشيّد هذا المنبر وإلى يوم الحشر، حيث تقيم هذا المنبر الحسينيّ فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) ليعلم الكلّ بما صُنع بولدها الحسين عليه السلام فيتفجّع في ذلك اليوم أهل المحشر. هذا ما يرتبط بالأمر الأول.

الأمر الثاني: ما هو المراد من الأمّة؟ حينما نقول ماذا قدّم المنبر للأمّة؟ فما هو المراد من الأمّة؟

عندما نرجع إلى القرآن الكريم نجده قد ذكر عدّة معانٍ للأمّة:

المعنى الأولى: هو النبي إبراهيم عليه السلام كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(النحل: ١٢٠).

المعنى الثاني: الجماعة من الناس كما في هذه الآية: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**..﴾(آل عمران: ١٠٤)؛ يعني جماعة من الناس.

المعنى الثالث: المسلمون كما في قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾(آل عمران: ١١٠)؛ يعني الأمّة الإسلامية هي خير الأمم.

المعنى الرابع: الإنسانية عموماً كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾(المؤمنون: ٥٢)؛ يعني الإنسانية هي أمّة واحدة.

بل يمكن أن نذكر معنىً خامساً، وهو: جميع الكائنات الحيّة ولا يختصّ بالإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(الأنعام: ٣٨).

فإذا اتّضح ذلك، نقول: بأنّ المنبر الحسينيّ بمعنى الصوت والنّداء والإعلام الحسينيّ الذي كان حتى قبل كربلاء أثّر في هذه الأمّة بجميع المعاني، سواء كانت بمعنى إبراهيم أم كانت بمعنى جماعة من الناس أم كانت بمعنى المسلمين أم كانت بمعنى الإنسانية أم كانت بمعنى الكائنات الحيّة عموماً، فالمنبر الحسينيّ يعني الحسين عليه السلام ومشروع الحسين عليه السلام ومأساة الحسين عليه السلام، فقد أثّرت في كلّ ذرّة من ذرّات هذا الكون وفي كلّ موجودٍ في هذا العالم.

وهذا ما أشارت إليه النّصوص التاريخية والمعصوميّة الكثيرة بأنّ كلّ شيء قد تأثّر بالحسين عليه السلام، فالحسين قدّم بمنبره الكثير لهذه الأمّة بجميع ما تحويه كلمة (الأمّة) من معنى، وكلٌّ بحسب قدرته واستيعابه، ولذا فحتّى الطيور بكت على الحسين والوحوش، بل وحتى الحجر كما في مضامين بعض الروايات، بل حتى السماء والشمس انكسفت حزناً على الحسين عليه السلام.

إلا أنّه حينما نتساءل: ما الذي قدّم المنبر لهذه الأمّة بجميع معانيها؟

نقول: قدّم الحياة، فالمنبر الحسينيّ قدّم الحياة، وأعظم شيء الحياة، فالمنبر الحسين بمثابة الماء الذي يبثّ الحياة، فالمنبر هو الماء لهذه الأمّة، وهو نبع الحياة لها، ومن هنا لو أردنا أن نذكر صوراً لهذه الحياة التي بثّها المنبر الحسينيّ للأمّة فيمكن أن نذكر عدّة صور:

الصورة الأولى: حياة الإرادة، فالأمّة إن لم تكن لها إرادة كانت ميّتة، وهذا هو الداء العضال الذي كانت تعيشه الأمّة الإسلاميّة قبل ثورة الحسين عليه السلام؛ فقد كانت تعيش الخوف وتعيش الانهزام، وتعيش الخنوع والخضوع للسلطة الأمويّة، فهذا المنبر الحسينيّ والنّداء الحسينيّ هو الذي خلق في الأمّة الإرادة وأحيا الأمّة بالعزيمة والصمود والثبات والعنفوان.

ومن هنا نجد الثورات المترامية من خلال المنبر الحسيني، ومن خلال صوت زينب الحوراء عليها السلام وصرختها في الكوفة وغيرها استطاعت أن تؤلّب الجماهير، ويخرج عبر هذا النداء الزينبيّ الحسينيّ الثوّار بثورة التوّابين، وثورة المختار الثقفي، وثورة العلويين المترامية المستمرة، وهكذا إلى عصرنا الحاضر فإنّنا رأينا الثورة العظيمة وكيف استطاعت أن تتغلّب على جميع القوى المستكبرة العالمية من خلال صوت الحسين، ومن خلال منبر الحسين (صلوات الله وسلامه عليه)، وكذلك رأينا الحزب الإلهي في لبنان كيف استطاع ولا يزال يُجابه قوى الاحتلال بكلّ طاقاتها وإمكاناتها إلا أنّه لم يتزلزل -هذا الحزب- وما

زال صامداً ثابتاً باسم الحسين ومن خلال منبر الحسين عليه السلام، ورأينا النّصر المؤزّر الذي حقّقته الحشود الشعبية في أرض العراق بعدما داهمت الجماعات الإرهابية بلاد الرّافدين حتى كادت أن تسيطر على جميع الأرض العراقية وتستولي على خيراتها وتدمّر مقدّساتها وتستبيح أعراضها، فاستطاعت تلك الحشود التي خرجت من خلال منبر الحسين وصوت الحسين ونداء الحسين أن تهزّ وتزلزل الإرهابين وتدحرهم من الأراضي المقدّسة، وكذلك حتى غير المسلمين فقد استفادوا من المنبر الحسينيّ والصوت الحسينيّ في إرادتهم وفي الحفاظ على كرامتهم كما يقول الهندوسي القائد غاندي في عبارته المشهورة: «**تعلّمتُ من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر**».

فإذاً، المنبر الحسينيّ خلق في الأمّة حياة الإرادة.

الصورة الثانية: حياة الهداية، فكلّ أمّةٍ لا تعيش حالة الاهتداء وحالة النّور، وتعيش حياة الظلمات وحياة المنكرات وحياة الذنوب والمعاصي فهي أمّة ميّتة، وهذا داء حاول الأمويّون أن ينشروه في وسط المسلمين، ولذا قال سيد الشهداء عليه السلام: «**على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد**»[1] فخرج الحسين عليه السلام من أجل بثّ الحياة حياة الهداية في نفوس هذه الأمّة وقلب هذه الأمّة، ومن هنا نجد بأنّ إبراهيم بن طلحة حينما سأل زين العابدين عليه السلام بعد كربلاء: من المنتصر في كربلاء أبوك أم يزيد؟ أجابه الإمام عليه السلام بما مفاده: **إذا أردت أن تعرف المنتصر فانتظر حتى يؤذن**

(١) مثير الأحزان، ابن نما الحلي، ١٥.

المؤذن فتعرف جواب سؤالك.

إذاً فالمنبر الحسينيّ بث النور والهداية في قلب هذه الأمّة، فكم هم الذين اهتدوا وكم هم الذين استبصروا وكم هم الذين تابوا وأنابوا إلى الله ﷻ عبر منبر سيد الشهداء، فالمنبر هو صمام الأمان، وهو المقاوم لهذه التحدّيات الشرسة، والهجمات المتراكمة في الشرق والغرب ضدّ المسلمين وعبر سائر الوسائل من أجل إذابة الهويّة الإسلاميّة، وحرف المسلمين عن دينهم، إلا أنّ المنبر الحسينيّ لا يزال صادماً ومقاوماً، ويبث النّور ويبث الهداية في نفوس المسلمين، ومن هنا نجد الكثير الذين تابوا وأنابوا واستبصروا وصلحوا عبر منبر الحسين عليه السلام.

فمثلا السيد إدريس الحسينيّ الذي كان مالكياً وإذا به يستبصر ببركة منبر الحسين عليه السلام وإعلام الحسين ويؤلف كتاباً باسم (لقد شيعني الحسين).

حتى المسيحيين يقرّون بهذه الحقيقة وأنّ الحسين ومنبره هو طريق للهداية والنور ولذلك فإنّ أنطوان بارا في كتابه (الحسين في الفكر المسيحي) يقول: "**لو كان الحسين منّا لأقمنا له منبراً في كلّ أرض، ولرفعنا له راية في كلّ أرض، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين عليه السلام**".

الصورة الثالثة: حياة الاجتماع؛ كلّ أمّة تعيش حالة التفرق والتشتت والتشرذم وحالة التحزّب فهي أمّة ميّتة لا تجد قوّة لها، وهذه الحقيقة تشير إليها الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾(الأنفال: ٤٦) وهذا هو داء أيضاً كانت تعيشه الأمّة الإسلاميّة قبل

ثورة الحسين (صلوات الله عليه) كانت تعيش حالة تمزّق وحالة تفكّك، وما كان هناك من يجمع كلمتها ويوحّد صفّها، إلا أنّ منبر الحسين عليه السلام ونداء الحسين عليه السلام استطاع أن يوحّد الأمّة كثيراً، فالمنبر الحسينيّ اليوم نحن نراه سبباً للاجتماع، وسبباً للتكاتف، وسبباً للتآلف، وسبباً للتعاون، فمهما كثرت الأحزاب وكثرت التيارات واختلفت وجهات النّظر واختلفت الأفكار إلا أنّ الجميع يتّفق على الحسين (صلوات الله عليه)، والجميع يتفق على المحافظة على منبر الحسين (صلوات الله وسلامه عليه)، فمنبر الحسين ونداء الحسين وصوت الحسين استطاع أن يغيّب الخلافات، وأن يرصّ الصّفوف، ويجمع القلوب، ويطيّب النّفوس، ويؤلّف في الكلمة بيننا نحن اليوم، فهذه صورة من صور الحياة، فكم كان أهل البيت عليهم السلام يريدون منّا أن نعيش هذه الحالة كما في وصاياهم الكثيرة: «...**وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ لقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا**».[(١)]

الصورة الرابعة: حياة الإبداع؛ كلّ أمّة لا تعيش الإبداع ولا تعيش التألّق فهي أمّة ميتة.

المنبر الحسينيّ ولّد الكثير من الإبداعات والكثير من العطاءات والكثير من النتاجات على مرّ العصور:

فكم هم الخطباء الذين انطلقوا وأبدعوا..

وكم هم الشعراء الذين خرجوا وأبدعوا..

---

(١) الكافي، الكليني، ج٢، ص١٧٦، باب زيارة الإخوان، ح١.

وكم هم الكتّاب الذين خرجوا وأبدعوا في هذه الأمّة..

وكم هم الثّوار الذين تألّقوا وسطروا التاريخ ببطولاتهم وأمجادهم وتضحياتهم.. وكم هم رجال الخير الذين أوقفوا الأوقاف الكثيرة وعملوا المشاريع الخيرية المتعددة ببركة الحسين عليه السلام..

وكم هم المصلحون الاجتماعيون الذين خرجوا وأبدعوا من خلال المنبر الحسينيّ..

فكثيرة هي الإبداعات والعطاءات التي نراها في هذه الأمّة، وما هي في واقع الأمر إلا ثمرة من ثمرات المنبر الحسيني.

الصورة الخامسة والأخيرة: حياة القرب والعروج، كلّ أمّة تعيش بعداً عن الله عزّ وجلّ هي أمّة ميتة، والمنبر الحسينيّ عيّش هذه الأمّة حالة القرب إلى الله، وأعطى حالة العروج نحو الله عزّ وجلّ، فالمنبر الحسينيّ فتح النّافذة الواسعة والباب العظيم نحو الله تبارك وتعالى، فمن أراد أن يعرج إلى الله فعليه أن يتّصل ويرتبط بمنبر الحسين عليه السلام.

«يا بن شبيب، إن بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خدّيك غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً»[1] إذاً عبر هذا المنبر ومن خلال هذا المنبر تنزل الرحمات الإلهيّة وتحطّ البركات وتقبل التوبات وتمحى الخطيئات وترفع الدرجات، ونعرج إلى ساحة الملكوت وحظيرة القدس.

---

(١) الأمالي، الصدوق، ص١٩٢، المجلس السابع والعشرون، ح٥.

وهنا لا بأس أن أشير إلى أنّ الأنبياء كانوا يعرجون إلى الله عزّ وجلّ عبر الحسين عليه السلام ومن خلال منبر الحسين عليه السلام، فكانوا يتقرّبون إلى الله بالحسين (صلوات الله وسلامه عليه) وبمنبره والبكاء على ما جرى عليه ففي هذه المعتبرة وهي معتبرة الفضل بن شاذان وهي طويلة اقتصر منها على محلّ الشاهد فعن الرضا (صلوات الله وسلامه عليه): «لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عزّ وجلّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَنْ يَذْبَحَ مَكَانَ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ الْكَبْشَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ تَمَنَّى إِبْرَاهِيمُ عليه السلام أَنْ يَكُونَ قَدْ ذَبَحَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ بِيَدِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمَرْ بِذَبْحِ الْكَبْشِ مَكَانَهُ لِيَرْجِعَ إِلَى قَلْبِهِ مَا يَرْجِعُ إِلَى قَلْبِ الْوَالِدِ الَّذِي يَذْبَحُ أَعَزَّ وُلْدِهِ عَلَيْهِ بِيَدِهِ، فَيَسْتَحِقَّ بِذَلِكَ أَرْفَعَ دَرَجَاتِ أَهْلِ الثَّوَابِ عَلَى الْمَصَائِبِ، فَأَوْحَى اللَّهُ عزّ وجلّ إِلَيْهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَنْ أَحَبُّ خَلْقِي إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَا خَلَقْتَ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله. فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: أَفَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نَفْسُكَ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. قَالَ: فَوُلْدُهُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ وُلْدُكَ؟ قَالَ: بَلْ وُلْدُهُ. قَالَ: فَذَبْحُ وُلْدِهِ ظُلْماً عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِ أَوْجَعُ لِقَلْبِكَ أَوْ ذَبْحُ وُلْدِكَ بِيَدِكَ فِي طَاعَتِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ، بَلْ ذَبْحُ وُلْدِهِ ظُلْماً عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِ أَوْجَعُ لِقَلْبِي. قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، فَإِنَّ طَائِفَةً تَزْعُمُ أَنَّهَا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ سَتَقْتُلُ الْحُسَيْنَ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ ظُلْماً وَعُدْوَاناً كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ، وَيَسْتَوْجِبُونَ بِذَلِكَ سَخَطِي، فَجَزِعَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لِذَلِكَ وَتَوَجَّعَ قَلْبُهُ وَأَقْبَلَ يَبْكِي، فَأَوْحَى اللَّهُ عزّ وجلّ إِلَيْهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ فَدَيْتُ جَزَعَكَ عَلَى ابْنِكَ إِسْمَاعِيلَ لَوْ ذَبَحْتَهُ بِيَدِكَ بِجَزَعِكَ عَلَى الْحُسَيْنِ وَقَتْلِهِ، وَأَوْجَبْتُ لَكَ أَرْفَعَ دَرَجَاتِ أَهْلِ

الثَّوَابِ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾»[١]؛ إذاً فمنبر الحسين عليه السلام قدّم الكثير لهذه الأمّة، قدّم الكثير لإبراهيم وللأنبياء وللملائكة وللإنسان وللجانّ ولجميع ذرّات هذا الكون، كلّ بحسب طاقته، وكلّ بحسب سعته واستيعابه.

■ **السؤال الرابع: ما هي رسالتك للمستوى المتدنّي لبعض من يصعد المنبر، وهل الحاجة إلى التنوع في الطرح مبرّر لبقائهم في هذا الموقع؟**

*** الجواب:**

أولاً: عليهم أن يقدّروا حجم المسئولية الكبيرة، وأنّ المنبر الحسينيّ الذي قد اعتلوا عليه يعدّ اليوم هو الواجهة الأولى لمذهب أهل البيت عليهم السلام، فبالتالي يتحتّم عليهم أن يشتغلوا بتطوير أنفسهم أكثر، حتى تكون لديهم الكفاءة العالية للتصدّي لهذه المهمّة، والقيام بهذه المسئولية الكبيرة.

ثانياً: على فرض عدم قدرتهم على تطوير أنفسهم علمياً وثقافياً أكثر مما هم عليه فبالتالي عليهم مراعاة الحدود، وأن لا يخوضوا ويدخلوا في أمور ليست من اختصاصهم وليسوا عارفين بها، كي لا يقعوا في مفاسد ومحاذير شرعية والتغرير بالناس وتنفير المجتمع من الدين.

ثالثاً: عليهم طلب التقوى، وأن لا يسعوا وراء الإعلاميات الزائدة، ووراء الظهور والشهرة، ونشر منابرهم عبر الإعلام، مع كونها

(١) الخصال، الصدوق، ج١، ص ٥٨.

منابر ضعيفة، منابر محدودة لا تصلح لأن تكون واجهة لمذهب أهل البيت عليهم السلام، فعليهم أن لا يسعوا وراء ذلك لكي لا يُسيئوا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ولا يسيئوا أيضاً لأنفسهم.

رابعاً: على فرض عدم التزامهم بأيّ من هذه الأمور التي ذكرناها فعليهم أن يتّقوا الله عزّ وجلّ، ويدعو المنبر لأهله ولأصحاب الاختصاص، حتى لا يقعوا في العقوبة الأخروية والمسائلة، وأما إذا التزموا بهذه الضوابط فلا مشكلة أن يبقى هذا النوع من المنابر ما دام المجتمع يحتاج إلى هذا النوع، ويحتاج إلى أنواع متعددة من المنابر الحسينية.

■ **السؤال الخامس: إذا كان المنبر هو الرافد الأول لتحصين الأجيال وتعليمها أمور الدين والمعتقد، فكيف للخطيب أن يقف أمام هذه المسؤولية الكبرى؟**

*** الجواب:**

هناك عدة آليات تعين الخطيب على ذلك أشير لعشر منها:

الآلية الأولى: إخلاص العمل لله عزّ وجلّ، والابتعاد عن طلب الظهور وحبّ الشهرة، واستغلال المنبر بالترويج للذات أو لجمع المال وغير ذلك، بل لا بدّ وأن يكون المنبر خالصاً لله تعالى، ولأجل هذا الدين، ونصرة المذهب، ونفع المؤمنين، ولذا إذا أخلص الخطيب عمله لله تعالى حظي بالتسديد والتقويم الإلهي كما في الحديث القدسي: «**مَا أَطَّلِعُ عَلَى قَلْبِ عَبْدٍ فَأَعْلَمُ فِيهِ حُبَّ الْإِخْلَاصِ لِطَاعَتِي لِوَجْهِي وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِي إِلَّا**

تَوَلَّيْتُ تَقْوِيمَهُ وَ سِيَاسَتَهُ» (١).

الآلية الثانية: الاستهداء بالله ﷻ والتوسّل بالمعصومين عليهم السلام، فلا بدّ أن يطلب الخطيب العون والمدد الإلهيين لأن يؤدّي واجب هذه المسئولية، وأن لا يكله الله ﷻ إلى نفسه، ولذا تجد في بعض أدعية الزهراء عليها السلام: **«يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ فَأَغِثْنِي، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ»**(٢) ولا بدّ من التوسل بسيد الشهداء عليه السلام صاحب هذا المنبر حتى يوفَّق الخطيب للقيام بواجبه.

الآلية الثالثة: إدراك الأمانة، أي أنّه لا بدّ وأن يعي الخطيب الحسينيّ حجم هذه الأمانة التي قد استأمن عليها وأنّه سوف يسأل عن كلّ لحظة اعتلى فيها منبر سيد الشهداء وسوف يحاسب عن كلّ كلمة ذكرها على منبر سيد الشهداء فلا يضيع هذه الأمانة ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾(النساء: ٥٨) فلا بدّ حينئذٍ أن لا يستغلّ المنبر الحسينيّ في تصفية حساباته مع غيره أو في عرض قضاياه الشخصية أو بطرح الموضوعات التي تنفّر الناس من الدين أو بإثارة الشبهات أو بطرح المعلومات المغلوطة أو الأخبار المكذوبة أو غير ذلك.

الآلية الرابعة: التخلق بأخلاق الحسين عليه السلام، لا بدّ أن يكون للخطيب واعظ من نفسه أولاً ويكون متخلّقاً بأخلاق الحسين عليه السلام وبأخلاق المعصومين عليهم السلام الذين يحمل رسالتهم ويحمل مشروعهم وكما تقول

---

(١) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص٩٢.

(٢) المصباح للكفعمي (جنّة الأمان الواقية)، ص ٣٠٢.

الرواية: «**كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإنّ ذلك داعيه**»(١) وأما إذا كان الخطيب يأمر الناس بالبر والتقوى والصلاح ولا يرون منه ذلك فلن يؤثّر إيجاباً، بل سوف يحاسب حساباً شديداً ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُون**﴾(البقرة: ٤٤).

الآلية الخامسة: عدم طرح الموضوعات أو المعلومات التي لم تتقن معرفتها، فلا بدّ للخطيب من أن يعرف حجم نفسه ولا يتعدّى حدوده فإذا لم يكن متمكناً من موضوع معين أو ليس متخصصاً في هذا المجال أو مشككاً في المعلومة فعليه أن يتّقي الله عزّ وجلّ ولا يتعدّى حدّه ويقف عند ذلك ولذا ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**رحم الله أمرء عرف قدر نفسه ولم يتعدّ طوره**»(٢) وفي رواية أخرى «**أعظم الناس قدرا من ترك ما لا يعنيه**»(٣).

الآلية السادسة: عدم الرضا عن النّفس، أي أنّه لا بدّ للخطيب الحسينيّ أن يستشعر النّقص والتقصير والقصور ومهما سمع من المدح والثناء والإطراء فمع ذلك لا يزال بحاجة إلى التّطور والتّطوير ولا يقنع عن نفسه أبداً وأما إذا قنع فهذا معناه بداية الخطأ وبداية التّراجع ولذا ورد في الرواية «**هلك من رضي عن نفسه ووثق بما تسوّله له**»(٤) وفي

(١) الكافي، الكليني، ج٢، ص٧٨، باب العفة، ح١٤.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٢٦١.
(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٧٣، المجلس السادس، ح٤.
(٤) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٥١٢.

أخرى: «**الراضي عن نفسه مغبون**»[١].

الآلية السابعة: الاستشارة؛ إذا وقفت عند الخطيب الحسينيّ بعض الموضوعات أو بعض المعلومات أو بعض الشبهات التي لا يمتلك القدرة الكافية على العطاء فيها فعليه أن يستفيد من الآخرين ومن تجربة من هو أكثر خبرة منه ويشاورهم في أمره وليس في ذلك عيب ولا حرج فالخطيب الحسينيّ النّاجح هو الذي لا يجد أيّ عيب ولا حزازة في الانتفاع من الآخرين وفي مشاورتهم ولذلك جاء في الرواية: «**من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها**»[٢].

الآلية الثامنة: القبول بالنّقد؛ لا بدّ أنّ الخطيب الحسينيّ يعرف نفسه ويكون منصفاً معها وواقعياً ولا يستعلي على النّقد فيستمع لآراء الآخرين ونقدهم فما كان من النّقد محقاً ومصيباً أخذ به وحاول من خلاله أن يصلح الخلل ويسدّ الفراغ وأما ما لم يجده مصيباً يتركه لكن لا يسدّ الأبواب عن النّقد ولذا ورد عن الصادق عليه السلام: «**أحبّ أخواني إلي من أهدى إلي عيوبي**»[٣].

الآلية التاسعة: الجذب؛ أي أنّه لا بدّ من الخطيب الحسينيّ أن لا ينفّر الناس عن المنبر بل يجلبهم نحو المنبر الحسينيّ فهذه مسئولية كبيرة وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الخطيب له قدرة على الجذب من

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص١٨١٧.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٤٤٠.

(٣) الكافي، الكليني، ج٢، ص٦٣٩، باب من تكره مجالسته من كتاب العشرة، ح٥.

خلال أسلوب الطرح ومن خلال المواضيع المتعلقة بحاجة الناس ومن خلال عدم التعرض إلى الآخرين بالسخرية والاستهزاء أو التشهير بهم ومن خلال عدم طرح قضاياه الشخصية ومن خلال استخدام الألفاظ والعبارات الملائمة والمناسبة حتى يمكنه جذب المستمعين إلى المنبر الحسينيّ كما كانت هذه هي طريقة الأنبياء وطريقة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كما يقول القرآن الكريم: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(آل عمران: ١٥٩).

الآلية العاشرة: التخصص في العلوم والإحاطة بها؛ فما دامت هناك مسئولية كبيرة على الخطيب إذاً لابد أن يتخصّص في العلوم التي تعينه على أداء واجب هذه المسئولية ويشتغل حثيثاً وبجد كبير إلى أن يكون من أهل الاختصاص فيها حتى تكون له مقبوليّة أكثر عند الناس ويتمكّن من إيصال الرسالة الحسينية.

■ **السؤال السادس: يكثر الكلام حول: شرائط ارتقاء المنبر، ومن الذي له صلاحية تحديدها؟ ثم كيف نضمن الالتزام بتوافر هذه الشرائط عند كلّ من يصعد المنبر بعدئذٍ، فما تقولون سماحة الشيخ؟**

الجواب: بذكر أمور ثلاثة:

الأمر الأول: شرائط ارتقاء المنبر: هناك حدّ أدنى من الشرائط وهناك حد أقصى وسوف أقتصر على ذكر الحدّ الأدنى من هذه الشرائط والتي لا يختلف فيها اثنان ولا يتنازع فيها متنازعان وهي:

الشرط الأول: أن يكون الخطيب الحسينيّ من أهل الإيمان والصلاح مراعياً للحدود الشرعية ومتخلقاً بالأخلاق الحسينية وأما إذا كان من أهل الفسوق والتجاهر بالمعاصي والعياذ بالله فلا يليق بالمنبر الحسيني.

الشرط الثاني: أن يكون الخطيب الحسينيّ ملتزماً بالدعوة للمشروع الحسينيّ والأهداف الحسينية لا أن يدعو في منبره لما يخالف مبادئ الحسين عليه السلام وما يحارب مشروع الحسين عليه السلام كما لو كان يطرح بعض الشبهات والأفكار العلمانية أو الليبرالية أو اللادينية التي تتنافى مع منبر الحسين ومشروع الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) لأنّ هذا نقض للغرض الذي خرج من أجله الحسين وتأسس له منبر الحسين فلا يليق بمثل هذا الخطيب أن يصعد المنبر.

الشرط الثالث: أن يكون الخطيب الحسينيّ ملتزماً في الصّدق فيما يطرحه بعيداً عن الكذب وعن القصص الخرافية والأوهام والخزعبلات وغير ذلك.

الشرط الرابع: أن يلتزم الخطيب الحسينيّ بطرح ما يستوعبه وما يفهمه ولا يتعدّى طوره وحده ويطرح أكثر مما يفهم ومما يستوعبه لأنّ في ذلك إخلال بالغرض.

الأمر الثاني: من الذي له الصلاحية لتحديد هذه الشرائط؟

أقول: الذي له صلاحية تحديد هذه الشرائط هم أهل الحلّ والعقد وهم عموم عقلاء مذهب أهل البيت من العلماء ومن أهل النّظر والمثقفين فهم الذين يتّفقون على ما أشرت إليه بعد التأمل من هذه

الشرائط.

الأمر الثالث: من الذي يضمن هذه الشرائط وتحققها؟

يصعب فعلاً ضمان تحقق هذه الشرائط مائة في المائة إلا أنّه يمكن ضمانها بنسبةٍ كبيرة من خلال عدة طرق:

أولاً: توصيات المرجعية الدينية، فحينما تتفق المرجعيات الدينية على توصيات معينة حول الخطباء الحسينيين ومن الذين يسمح لهم بالصعود على المنبر الحسينيّ فهذا سيكون له دور كبير في ضبط المسألة وأنّه لا يعتلي المنبر إلا من تتوفّر فيه هذه الشرائط.

ثانياً: التوعية الاجتماعية من خلال الندوات والمحاضرات والمنشورات وغير ذلك؛ بأنّه لا بدّ أن يكون الخطباء الحسينيون على التزام بهذه الشرائط المذكورة والمطلوبة للخطيب الحسينيّ والتي لا يختلف فيها اثنان وتنبيه أصحاب المآتم على ذلك وأنّهم لا يفتحوا الطريق أمام من لا تتوفر فيه هذه الشرائط وتحذير المجتمع أيضاً من الاستماع لأيّ خطيب ولو لم تتوفر فيه هذه الشرائط.

ثالثاً: التزام ومراعاة أصحاب المآتم بتعاليم المرجعية الدينية وتعاليم العلماء والمهتمين بشؤون المجتمع وأما إذا لم يلتزم أصحاب المآتم وفتحوا الأبواب أمام كلّ خطيب ولو لم تتوفر فيه الشرائط فلن تنحلّ هذه الإشكالية.

رابعاً: التزام القائمين على وسائل الأعلام والتواصل الاجتماعي

بعدم الترويج والنشر للمنابر الهزيلة المسيئة لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

■ **السؤال السابع: هناك من يقول: نحن لا نمانع من كون المنبر: (منبر عِبرة وعَبرة) ولكن نرجو من الخطباء عدم التركيز على (العِبرة) على حساب (العَبرة) في شهر محرم الحرام، وذلك لخصوصية فيه، ولا بأس بذلك في غيره من المناسبات والشهور. ما هو تعليقكم على ذلك؟**

*** الجواب:**

أولاً: هناك أصوات في المقابل تدعو إلى إلغاء جانب العَبرة وأنّ أسلوب الحزن ومنهج الدمعة غير عصري ونحتاج إلى استبداله بمناهج جديدة وجذابة هذا أولا، فإذاً هناك رأي آخر معاكس تماماً.

ثانياً: لا شك بأنّ لجانب المصيبة والعبرة أهميته سواء كان ذلك في محرم أم غير محرم، لكن لا ينبغي أن يكون التركيز الأكبر في محرم على جانب المصيبة، بل الصحيح إنصاف المصيبة وإنصاف الموضوع وإعطاء كلّ حقّه لمن أراد أن يؤدّي حقّ أهل البيت عليهم السلام لأنّ إحياء أمرهم إنّما يتحقق بمراعاة جانب المصيبة ومراعاة جانب الموضوع لأن رسالة الحسين عليه السلام ومشروعه يخاطبان الوجود العقلي والفكري للإنسان كما يستفاد ذلك مثلاً من روايات الفضيل عن الصادق عليه السلام: **«يا فضيل تجلسون وتتحدثون؟ قلت: نعم، قال: تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا...من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج عن عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»**[1] وكذلك مشروع

(١) وسائل الشيعة، العاملي، ج١٢، ص٢٠، باب١٠ من أبواب أحكام العشرة في السفر والحضر، ح١.

الحسين عليه السلام يخاطب الوجود العاطفي الإحساسي وهذا ما يستفاد من رواية ابن شبيب كما في قول الرضا عليه السلام له:«**يا بن شبيب إن بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خدّيك غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً**».

إذاً فإحياء أمر أهل البيت لا يتحقق واقعاً إلا بمراعاة العَبرة والعِبرة في أيام محرم وغيرها وإعطاء كلٍّ ما يستحقه فلا الذين دعوا للأول وهو تركيز على العَبرة محقّون ولا الذين دعوا إلى التركيز على العِبرة محقون، بل الإنصاف ملاحظة كلا الجانبين.

ثالثاً: هناك عدّة أسباب تدعو إلى التركيز في محرم على جانب العِبرة كما هو الحال بالنسبة للعَبرة أشير لأهم الأسباب:

السبب الأول: بأنّ أيام عاشوراء تعتبر هي أيام الحادثة وأيام الواقعة وأيّام الرسالة الحسينية فما دامت هي أيام الرسالة فالمناسب لذلك بيان رسالة الحسين ومشروع الحسين وأهداف الحسين (صلوات الله عليه) من خلال نفس تلك الأيام -يعني أيام محرم- لا أن نستغلها كلّها ويكون الاهتمام البالغ فيها بالمصيبة، بل لا بدّ أن نعطي جانب العِبرة حقه لأنّها هي أيام المناسبة.

السبب الثاني: التفاعل الجماهيري الكبير الذي لا يتحقق ولا يوجد إلا في هذه الأيام، فكثير من الناس أصلاً لا يحضرون مآتم أهل البيت عليهم السلام إلا في أيام المناسبات خصوصاً موسم عاشوراء من

الكبار والصغار والمثقفين وغيرهم والنساء والرجال إلى غير ذلك والكلّ متعطّش والكلّ يريد أن يعرف رسالة الحسين ومشروع الحسين وأهداف الحسين فهذه الحشود المليونية التي تزدلف نحو مآتم الحسين عليه السلام في محرّم هي بحاجة وبتعطّش شديد لمعرفة حقيقة الحسين، ومكانة الحسين، وفضل الحسين، ومشروع الحسين، وكلّ ما يمتّ إلى الحسين بِصلة.

السبب الثالث: أنّ قضية عاشوراء أصبحت في الواقع قضيّة عالمية ومحطّ أنظار العالم سواء أصحاب الديانات المتعدّدة أم المذاهب المختلفة فالكلّ في أيام عاشوراء ينظر إلى الشيعة من كلّ أرجاء الدنيا كيف يحيون عاشوراء وما هي أهدافهم من هذه الشعائر ومن هذه الممارسات التي يمارسونها من البكاء ومن اللطم وإلى غير ذلك فمن هنا نحن لا بدّ أن ننقل رسالة واضحة للعالَم بأسره تجذب الآخرين نحو الحسين وتعرّف العالَم بالحسين عليه السلام وهذا لا يمكن تحقيقه من خلال استغلال الموسم بالمصائب وبالعويل وبالبكاء وباللطم لا بدّ من إيضاح الرسالة الحسينية للعالم بأسره وكما تقول الآية: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٥)، إذاً لا بدّ أن ندعو للحسين (صلوات الله عليه) بطريق العَبرة والعِبرة أيضاً وهي مهمة.

السبب الرابع: هو أنّ العَبرة لا تعطي أكلها ولا تؤدّي النّتيجة المطلوبة إلا إذا رافقتها وصاحبتها العِبرة، وأمّا إذا كان النّاعي ينعى والباكي يبكي واللاطم يلطم من دون وعي وبصيرة، فلا ثمرة ولا

جدوى حقيقيّة من هذا البكاء ومن هذا العويل ومن هذا اللطم.

إذاً لا بدّ أن تكون العَبرة من خلال وعي ومن خلال بصيرة وليس من خلال ممارسة تقليدية ومسيرة على سيرة السلف الصالح بل لا بدّ أن تكون عن طريق وعي وبصيرة وكما تقول الآية المباركة: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(يوسف: ١٠٨)، فالحسين عليه السلام رسالة سماوية وإنسانية والرسالة السماوية الإنسانية لا بدّ أن تكون عن وعي وبصيرة لا بتقليد أو بتعصب فلذلك نحن بحاجة شديدة لإعطاء العَبرة حقّها ولإعطاء العِبرة حقّها.

■ **السؤال الثامن: ما هي العلوم والقراءات التي ينبغي للخطيب أن يتلقّاها ويطّلع عليها؛ كيما يسهم في رقيّ المنبر، وهل تكفي دراسته الحوزوية لتأمين ذلك؟**

* **الجواب:**

هناك مجموعة من العلوم التي ينبغي على الخطيب المعرفة بها والاطلاع عليها كي يكون ذا منبرٍ ناجح وفاعل ويمكن أن نقسّم هذه العلوم إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: العلوم الأساسية؛ وهي التي تعتبر المادّة الخام والمقوّمة للمنبر الحسينيّ من قبيل:

١. **علم التاريخ والسيرة**: فلا شك أنّ الخطيب بحاجة لأن يكون

مطّلعاً على تاريخ المعصومين، وعلى سيرهم وعلى الأحداث والمجريات التي عاصرتهم والمشاهد التي واجهوها في الحياة حتى ينقل هذه المجريات والأحداث للآخرين، ويأخذوا من خلالها الدروس والعِبر ويعرف أحوال المعصومين ومقاماتهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

٢. كذلك علم الكلام، سواء علم الكلام القديم أم علم الكلام الجديد فلا إشكال بأنّ الخطيب الحسينيّ يحتاج إلى الإحاطة قدر المستطاع بعلم الكلام حتى يستطيع ترسيخ المعارف العقدية في نفوس الناس ويتمكّن من دفع الشبهات المثارة من هنا وهناك.

٣. كذلك يحتاج إلى علم التفسير، حتى يتمكّن من الاستدلال ومن الاستشهاد بالآيات القرآنية فلا طعم للمنبر الحسينيّ إذا كان جافاً وخالياً من الآيات القرآنية ولا يتمكّن الخطيب من الاستدلال والاستشهاد بالآيات القرآنية إلا حينما يكون مطّلعاً على علم التفسير.

٤. وكذا علم الفقه، فينبغي على الخطيب أن يكون مطّلعاً على الأحكام الشرعية الحلال والحرام حتى يبيّن للناس ما يحتاجون إليه من أحكامهم وحتى لا يقع في الاشتباه والغلط عند تعرضه لبيان بعض الأحكام الشرعية.

٥. كذلك يحتاج إلى علم الحديث، حتى يتمكّن من نقل أحاديث أهل

البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) ونقل وصاياهم وتعاليمهم بل والاستشهاد بأخبارهم ورواياتهم بما يرتبط بالموضوع المطروح.

هذا ما يرتبط بالقسم الأول.

القسم الثاني: العلوم الآلية؛ وهي التي تعتبر آلةً تخدم الخطيب الحسينيّ في المنبر ومن هذا القبيل:

١. علم النّحو، فإنّ علم النّحو آلة قانونية تعصم مراعاتها اللسان عن اللحن والخطأ في الإعراب، فمن اللائق والجدير بالخطيب أن يكون مطّلعاً على علم النّحو ومحيطاً به، وأمّا إذا كان يجرّ الفاعل وينصب الاسم المجرور وهكذا فهذا قد يُضعِف منبره ويقلّل من تفاعل الناس معه خصوصاً عند العارفين بقواعد اللغة العربية حينما يجدون هذا الخطيب دائماً يلحن ويخطأ في الإعراب، وأما إذا أخطأ في كلمة أو في كلمتين أو ثلاث فهذا مغتفر وأمّا إذا كان الطابع العام على الخطيب هو اللحن والخطأ في الإعراب فهذا قد يربك المنبر.

٢. وكذا علم المنطق، والذي هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، فإنّ الخطيب يحتاج إلى المنطق من أجل معرفة طريقة الاستدلال وصناعة البرهان وكيف ينتقل من المقدّمات إلى النتائج.

٣. وكذلك أيضاً يحتاج إلى علم الرجال، ليتسنّى له من خلال هذا

العلم تحقيق الروايات وغربلتها وبيان الصحيح من الضّعيف منها، وأن لا ينقل على المنبر الأخبار غير المعتمدة ومن المصادر الضعيفة، بل إنّ ذلك سيعينه أيضاً على دحض الشبهات، فإنّ كثيراً من الشبهات التي تطرح لا يستطيع الخطيب الإجابة عنها إذا لم يكن مطلعاً على علم الرجال وعارفاً بأحوال الرواة.

٤. ومن هذا القبيل أيضاً علم الأصول، فإنّ الخطيب إذا أراد أن يكون ذا منبر قوي فهو بحاجة إلى علم الأصول ومعرفة القواعد العامة الأصولية ليستعين بها في تقوية طرحه المنبريّ وفي استدلالاته عبر المنبر وفي ردّ الشبهات وهذا أمر جليّ وواضح لمن مارس المنبر الحسينيّ أنّه فعلاً بحاجة إلى الإلمام بهذه العلوم الآلية.

القسم الثالث: العلوم الكمالية؛ وهي التي تعطي المنبر صورة كمالية أكثر وأكبر ومن هذا القبيل:

١. علم الأدب: فإذا كان الخطيب أديباً فهذا سيعطي المنبر صورة من الكمالية وصورة من الجاذبية أكثر.
٢. ومن هذا القبيل مثلاً علم النفس.
٣. وكذلك علم الاجتماع.
٤. علم القانون.
٥. وعلم الفلسفة.

وغيرها، فهذه العلوم هي علوم كمالية ليس من الضروريّ تحصيلها للخطيب لكن إذا كان ملمّاً بشيء منها لا أقلّ فسوف تعطي منبره صورة كماليّة أكبر وجاذبيّة أكثر.

■ السؤال التاسع: ماذا تقترحون من خطوات عمليّة بشأن تطوير «المنبر الحسينيّ النسائي»، حيث إنّ الطبع السائد في مآتم النساء هو القراءة من المرويّات والأشعار -مع ما فيها من ملاحظات- دون التطرّق إلى المواضيع والمحاضرات التوعويّة إلا ما ندر منها؟ بعبارة أخرى: ما هي الطرق التي يمكن اتّخاذها لرفع مستوى الثقافة النّسائية؟

الجواب هناك عدة خطوات:

الخطوة الأولى: الالتحاق بالحوزات العلمية؛ بمعنى أنّه لا بدّ للخطيبات الحسينيات الراغبات في الارتقاء بالمنبر الحسينيّ النسائي وتطويره من الالتحاق بالحوزة العلمية والتخصّص في المعارف الدينية سواء في علم الكلام أم في علم التفسير أم في علم الفقه أم في علم الحديث أو غير ذلك حتى تطور الخطيبة من نفسها، فيمكنها بالتالي أن تطوّر من المنبر الحسينيّ وتصلح فيه ولا تكتفي بالتالي بمجرّد الأشعار وكتب المقاتل التي ما أنزل الله بكثير منها من سلطان.

الخطوة الثانية: تفعيل المعاهد الخطابية النسائية؛ بمعنى أنّه لا بدّ وأن تكون هناك مجموعة من المعاهد الخطابية للنساء لتعليم آليات، أدوات، فنيات، الخطابة الحسينية ويتم من خلال هذه المعاهد تخريج المؤهّلات

لمزاولة وممارسة الخطابة ويتمّ في تلك المعاهد تحديد المصادر المعتمدة وكتب المقاتل التي عليها المعوّل في نقل مصائب أهل البيت ولا يعتمد على كثير من الكتب والقصص التي هي موجودة اليوم في كثير من المنابر الحسينية النسائية والتي لا مصادر معتمدة لها أصلاً.

الخطوة الثالثة: الاستفادة من التجربة الرّجالية؛ بمعنى أنّه إذا أرادت الخطيبات الحسينيات الارتقاء بالمنبر الحسينيّ فلا بدّ أن يستفدن من التجربة الرجالية التي تميّزت وتفوّقت على التّجربة النسائية في هذا الميدان ولا بدّ أن تختزن المنابر الحسينية الرجالية الموثوقة دينياً وأخلاقياً وذات الكفاءة العلمية والمشهود لها بالتأثير والعطاء والنتاج في المجتمع وأما إذا أهملت الخطيبات الحسينيات التجربة الرجالية أو استفادت من بعض المنابر الرجالية التي هي أصلاً بحاجة إلى تطوير وإصلاح فسيبقى المنبر الحسينيّ النسائي على حاله.

الخطوة الرابعة: التأهيل الاجتماعي؛ بمعنى أنّه لا بدّ وأن يكون هناك تأهيل من قبل المجتمع من لها قابلية واستعداد للالتحاق بالحوزة العلمية أولاً ثم بهذه المعاهد الخطابية ثانياً ثم الصعود على المنبر الحسينيّ فإذا وجد المجتمع النسائي مثلاً، بل حتى المجتمع الرجالي فتاة لديها حبّ للمنبر الحسينيّ وعندها استعداد للمنبر الحسينيّ وعندها إمكانيات خاصة تؤهّلها لذلك فينبغي على المجتمع تأهيلها وتشجيعها وتحفيزها لذلك حتى تعشعش هذه المعاني في

نفسها يعني معاني الحسين ومنبر الحسين معها من نعومة أظفارها حتى إذا نمت وكبرت التحقت بالركب الحسينيّ واستطاعت أن تؤثّر في تطوير المنبر الحسينيّ لأن التّجارب أثبتت بأنّ ما يكون مع الإنسان في صغره ومن نعومة أظفاره هو الذي يكون فاعلاً معه في حياته ومؤثراً ومنتجاً من خلاله.

الخطوة الخامسة: التشجيع الاجتماعي؛ بمعنى أنّه لا بدّ وأن يكون هناك تشجيع من قبل المجتمع وحركة تشجيعيّة إعلامية سواء من الرجال أو من النساء ودعوى كبيرة بتطوير المنبر الحسينيّ النسائي فإذا كانت هناك حركة اجتماعية كبيرة واهتمام بالغ استشعرت النساء حين ذلك بالأهمية القصوى للتطوير وأدركت الخطيبات الحسينيات الأهمية والمسئولية الكبرى الملقاة على عاتقهنّ في التطوير والارتقاء في أنفسهم والارتقاء كذلك بالمنبر الحسينيّ فلا بدّ أن تكون هناك حركة تشجيعيّة وتوعوية وإعلامية كبيرة في هذا السياق.

الخطوة السادسة: الثقة بالنّفس؛ بمعنى أنّه لا بدّ وأن تكون لدى الخطيبات الحسينيات ثقة كبيرة بقدرتهن على التّطوير وبجدارتهن على الإصلاح في المنبر الحسينيّ وأنّهن لا يقللن شأناً وقدراً وقدرة وإمكانية ممن ساهمن من السابقات واللاحقات في المنبر الحسينيّ فها هي أمّ سلمة استطاعت أن تخطو خطوة كبيرة في المنبر الحسينيّ حيث كان لها قصب السبق في ذلك فهي التي بلّغت عن مشروع الحسين وناحت على الحسين واحتفظت بتربة الحسين وبينت معالم الحسين (صلوات الله عليه) من

خلال حديث جدّه رسول الله ﷺ، كذلك مارية العبدية التي نهضت بكثير من الناس لأجل نصرة الحسين (صلوات الله عليه) وفتحت بيتها ومارست الدعوة والخطابة لأجل الحسين حتى استطاعت أن تخرج من بيتها ثمانية من العبديين الذين حضروا في كربلاء واستشهدوا بين يدي الحسين (صلوات الله وسلامه عليه).

وهكذا كانت المرأة أيام الدولة العباسية من خلال خلب النائحة في بغداد التي قضت عمرها وحياتها بالنياحة على الحسين والخطابة الحسينية حتى طاردتها ولاحقتها الدولة العباسية إذاً حينما تلاحظ المرأة اليوم هذه النماذج الفذّة سيولّد ذلك في نفسها الثقة الكبيرة بقدرتها على التطوير والإصلاح في المنبر الحسيني.

الخطوة الأخيرة: التي أشير إليها الإخلاص كلّما أخلص الإنسان عمله لله عزّ وجلّ زاده الله هدى وزاده الله عطاء وزاده الله تأثيراً وتوفيقاً فلا بدّ أن تخلص الخطيبة الحسينية عملها لله إخلاصاً قلبياً بأن لا تعمل إلا لله إخلاصاً عملياً أيضاً بأن تعمل بوفق ما تقول لا أن تأمر الناس بشي وهي لا تعمل به، بل تعمل على وفق ما تقول فيكون لديها إخلاص عمليّ بعفافها بالتزامها الديني وبخلقها، فإذا كانت كذلك استطاعت أن تطوّر وترتقي وتؤثّر وتنتج.

■ **السؤال العاشر: كما تعلمون سماحة الشيخ بأنّ هناك مسائل خلافية في بعض القضايا التاريخية المرتبطة بعاشوراء بين المحقّقين والعلماء،**

وهذا يلقي بظلاله من إيجاد حالة نزاع بين الخطيب وجمهوره، فإن وافق رأياً ما لم يؤيّده آخرون وأُشكل عليه بما قاله المحقّق الآخر، فكيف نحدّ من هذه الإشكالية؟

*** الجواب:**

يمكن ذلك من خلال نشر ثقافة الاختلاف في المجتمع حيث إنّ كثيراً من القضايا والمسائل سواء في علم الفقه أم في علم الأصول أم في علم التفسير أم في علم الفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها وقعت محلّ خلاف ونزاع بين العلماء، ومع ذلك فلا ينبغي أن يوجب هذا الاختلاف إفساداً في الودّ بين الأطراف المختلفة وينبغي أن يتفهّم المجتمع بأنّ كثيراً من القضايا التاريخية وقعت محلّ اختلاف سواء فيما يرتبط بعاشوراء أو غيرها فإذا كان الخطيب قد اعتمد في نقله لقضيّة تاريخيّة على أحد الطرق التي سنذكرها فالمفروض أنّه لا يعترض عليه ما دامت المسألة قابلة للاختلاف.

الطريق الأول: أن يكون الخطيب الحسينيّ متخصّصاً في علم التاريخ وباحثاً خبيراً بحيث يمتلك الأدوات التي تساعده على تحقيق القضايا التاريخية بأسلوب علميّ متين، فبالتالي يحقّ له طرح القضايا التاريخية التي يصل إليها من خلال بحثه العلمي ولا يحقّ للآخرين الاعتراض عليه ما دام بحثه بحثاً علمياً حيث لم يطرح قضية تتصادم مع الأدلّة القطعيّة العقليّة أو النّقليّة إنّما نقل قضية دلّت عليها الشواهد والنّصوص التاريخية بحسب بحثه العلمي أو ترك نقل قضية بسببٍ ما

وصل إليه من بحث علمي موزون فينبغي تقبّل رأيه.

الطريق الثاني: أن يعتمد الخطيب الحسينيّ في نقله للقضايا التاريخية على رأي المشهور من العلماء، فيلاحظ ما نقله المشهور من الأعلام في قضيّة تاريخيّة معيّنة فيعتمد عليهم وينقلها اعتماداً على كلامهم، وهنا أيضاً لا يحقّ للآخرين الاعتراض على الخطيب ما دام قد نقل ما هو المشهور والمعروف بين المحققين وأصحاب السير.

الطريق الثالث: أن يعتمد الخطيب الحسينيّ في نقله بل حتى في عدم نقله لقضية تاريخية على بعض الأعلام المحققين كالشيخ المفيد مثلاً أو ابن طاووس مثلاً، أو ابن نما الحلي، أو غيرهم، فحينئذٍ لا يحق أيضاً للآخرين الاعتراض عليه ما دام قد اعتمد في نقله على رأي بعض الأعلام والمحققين، ومجرّد عدم قبول بعض المحققين والعلماء الآخرين لهذا الرأي لا يبرّر عدم النّقل ولا يوجب عدم النّقل، فإنّ القضايا التاريخية كثير منها إن لم يكن الأكثر هي محلّ خلاف بين المؤرخين فالبعض ينقلها والبعض لا ينقلها فلا بدّ على المجتمع يتفهّم الثقافة للاختلاف وأنّ الخطيب الحسينيّ معذور فيما نقله إذا كان نقله لأحد الطرق الثلاثة التي أشرنا إليها.

■ **السؤال الحادي عشر: إنّ للموضوعات التي يطرحها الخطيب فوق المنبر الحسينيّ أهميّة بالغة، فعلى أيّ أساس يتمّ تحديدها، وكيف، وهل يكون ذلك باستشارة الجمهور وتشخيصهم، أم يكون ذلك بانفراد من**

الخطيب وخبرته؟

الجواب: عن هذا السؤال يحتاج لذكر أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أقسام الخطباء، يمكن أن نقسم الخطباء من هذه الناحية أي ناحية طرح الموضوع إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الخطباء الذين يكون تركيزهم واهتمامهم على جانب المصيبة والنّعي ولا يديرون أهتماماً للموضوع إطلاقاً فعلى طيلة أيام السنة وهم يحشدون ويستعدّون لأجل المصيبة والنّعي وتجديد القصائد وابتكار المصائب الجديدة من خلال الخيال الواسع أو من خلال لسان الحال أو من خلال البحث والتتبع لكتب المقاتل وغير ذلك، وهذا القسم طبعاً من الخطباء نجد لهم جمهوراً كبيراً في الواقع وقد يكون جمهورهم أكثر حتى في بعض الأحيان من الخطباء الذين لهم كفاءة عالية ولهم علميّة وفضيلة بدرجة كبيرة وهذا القسم طبعاً من الخطباء خارج عن محلّ البحث؛ لأنّ اهتمامهم متركّز على جانب المصيبة والنّعي.

القسم الثاني: الخطباء الذين يكون تركيزهم على المشاركة في الموسم كيفما كانت هذه المشاركة فالمهم أن يشارك في إحياء عاشوراء من دون اهتمام بالغ بجانب المصيبة أم بجانب الموضوع فالمهم لديه أن يحيي الموسم وهذا القسم طبعاً أيضاً خارج عن محلّ البحث؛ لأنّه يكتفي بأيّ موضوع وكيف كان حتى لو كان من خلال الاستفادة من محاضرات الآخرين وتدوينها ثم إلقائها على الجمهور وهذا القسم

موجود من الخطباء.

القسم الثالث: من الخطباء هم الذين يكون تركيزهم الغالب على جانب الموضوع فطوال العام وهم يشتغلون في إعداد الموضوعات الجديدة والمواكبة لحاجة المجتمع ويبذلون جهداً كبيراً في هذا الجانب وحشد المعلومات والتتبع والاستقصاء للمستجدّات وقد يغلب اهتمامهم بل هو كذلك بالموضوع على المصيبة فيكتفون بأيّ شيء من المصيبة بمقدار قليل منها وكذلك حتى من الأبيات وهؤلاء لهم جمهورهم طبعاً وهذا القسم من الخطباء هو الذي يدخل في محلّ بحثنا والسؤال.

القسم الرابع: الخطباء الذين يبذلون جهدهم البالغ لإعداد المصيبة إعداداً جيداً ولإعداد الموضوع أيضاً إعداداً جيداً فيحاولون الموازنة كيف ما استطاعوا بأن يؤدّوا جانب المصيبة وجانب الموضوع ويعطوا الاثنين حقهما وهذا القسم أيضاً يدخل في محلّ السؤال.

إذاً حينما نحن نسأل فنقول كيف يعدّ الخطيب لا بدّ أن نحدد أنّا نقصد من هذا القسم الثالث والقسم الرابع أما القسم الأول والثاني فهذا أصلا خارج عن محلّ كلامنا، هذا ما يرتبط بالأمر الأول.

الأمر الثاني: كيف يعد الآن الخطيب الذي يهتم بالموضوع؟

هناك عدّة طرق وخطوات يزوالها الخطيب حتى يعدّ موضوعه:

الخطوة الأولى: هي رصد الأحداث والوقائع الحاصلة على طيلة أيام

السنة فمنذ أن ينتهي موسم عاشوراء وهو يحاول أن يرصد كلّ حدث وكلّ واقع مستجدّ سواء سياسياً أم اجتماعيّاً أم اقتصادياً أم أسرياً أم أخلاقياً أم علمياً أم غير ذلك ويدوّن هذه الأحداث المستجدّة على طيلة أيام السنة فكلّ واقعة مهمّة يسجّلها ويدوّنها، هذه الخطوة الأولى.

الخطوة الثانية: سماع رأي النّخبة من المجتمع بعد ما حشد الشواهد والوقائع ورصد الأحداث يبدأ الآن من بعد شهر شوال مثلاً في استخلاص مقترحات المجتمع والمثقفين من المجتمع وقد يكون بعض الخطباء عندهم لجنة من المثقّفين والنّخبة هم يتتبّعون حاجات المجتمع من الموضوعات وإلى أن يخرج الخطيب بعد ذلك بعد سماع رأي النّخبة وقد يستفيد حتى من آراء بعض العلماء بالخروج بمجموعة معينة من الموضوعات قد تصل إلى ثلاثين موضوعاً إلى أربعين موضوعاً، هذه هي الخطوة الثانية.

الخطوة الثالثة: بعد ما جمع الموضوعات وجمع الشواهد يحاول أن يربط فيما بينها فتأتي الخطوة الثالثة وهي التشاور مع الخطباء وهذه المرحلة عادةً ما تكون في شهر ذي الحجّة فإذا قربت أيام محرّم جلس النّخبة من الخطباء في البلد مثلاً يتداولون الأمور وكلّ ما وصلت إليه من الموضوعات وما أعده من الشواهد، فما هي الموضوعات الأهمّ والملائمة للطرح في هذه السنة وفي أيّة ليلة يناسب طرحها، ثم هذا الموضوع ما هي المحاور التي ينبغي طرحها، فيتشاور الخطباء فيما بينهم إلى أن يخرجوا مثلا بالاتفاق على مجموعة من الموضوعات قد تصل إلى عشرة مثلا يتّفقون على ضرورة

طرحها ثم بعد ذلك يتمّ ربط هذه الشواهد التي خرج بها الخطيب خلال السنة مع هذه الموضوعات فمع كلّ موضوع يلقي عليه الشواهد والواقع التي ترتبط به، هذا الأمر الثاني.

الأمر الثالث: الخصائص للموضوع

كلّ خطيب عادةً ما يلاحظ مجموعة من الخصائص للموضوع الذي يريد طرحه وهي أربع خصائص غالباً:

الخاصية الأولى: الأهميّة؛ يختار الموضوع الأهم والذي يتلاءم مع حاجة المجتمع فعلاً، فمثلاً بعد ما صارت لديه عشرة مواضيع أو أكثر يلاحظ ما هو الأهمّ منها من الآخر فهذا أهميّته بنسبة مثلاً تسعين الآخر بنسبة خمسين فيقدم الأهم.

الخاصية الثانية: الواقعية؛ يعني يلاحظ هذا الموضوع الأهم وهل هو واقع ويلامس الحاجة الاجتماعية أم لا قد يكون الموضوع مهماً وهو مثلا موضوع الإلحاد لكنّه ليس موضوعاً واقعياً في مجتمعنا فليس المجتمع مبتلاً بهذا الموضوع مثلا فلا يُطرح هذا الموضوع، إذاً الأهميّة ولكن لا بدّ أن تصاحبها الواقعية.

الخاصية الثالثة: هي الشمولية؛ بمعنى أنّ الخطيب عادةً يهتمّ بأن يكون الموضوع شاملاً -يعني ينفع أغلب لا أقل الطبقات من المجتمع- فينفعل الجانب النسائي، والجانب الرجالي، والأطفال يستفيدون منه، والشباب يستفيدون منه، والكبار يستفيدون منه قدر إمكان ذلك.

الخاصية الرابعة: هي الإمكانية؛ أيضاً لا بدّ أن يكون الخطيب قبل أن يطرح الموضوع قد استعد له استعداداً تاماً وتمكّن منه تمكّناً مجزياً في الطرح من حيث الاستدلال، من حيث الشواهد، من حيث الإسقاطات على واقع المجتمع أما إذا كان الموضوع مهما ويلامس الواقع وقد يكون شاملاً للناس لكنّه لم يتمكّن منه الخطيب ولم يعدّ له إعداداً جيداً فلا يناسب حينئذٍ طرحه إذاً فخصائص أربعة لا بدّ منها للخطيب حينما يريد أن يطرح موضوعه.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ

أربعون الإمام الحُسين .. زيارةً ومَواكِب[1]

سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم حفظه الله

الملخّص:

منطلقاً من زيارة الإمام الحسين في الأربعين تحدّث سماحة الشيخ حفظه الله ضرورة فهم الإسلام والرسالة وارتباط ذلك بأهل البيت عليهم السلام، ثم ركّز على الهدف الرئيس من هذه الإحياءات المتمثّل برضا الله تعالى، مستعرضاً في سبيل تحقيق ذلك ستّاً من المسؤوليات في سبيل تحقيق هذا الهدف العظيم وهي: (ازدياد الوعي العام ولا سيّما الشيعي ، الوعي بمقام أهل البيت عليهم السلام والإمامة ،كون الزعامة للعالِم بالإسلام، إبراز روح الوحدة، انعكاس الإسلام على الفرد والأمّة، تعزيز الأخوّة الإيمانيّة)، فختم بجملة من التوصيات التي تهمّ المحيين لهذه الذكرى، وشَمِلَ الخطباء والرواديد والشعراء.

(١) محاضرة أُلقيت في حسينيّة الإمام الرّضا البحرانيّة في قم المقدّسة، بتاريخ ١١ صفر ١٤٤١هـ، الموافق ١٠ أكتوبر ٢٠١٩.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغويّ الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

السلام على الحسين عليه السلام، وعلى الشهداء بين يديه في سبيل الله تبارك وتعالى ورحمة الله وبركاته.

زيارة الأربعين زيارة مشهودة مليونية، والمفروض أن تعطي حضوراً للإسلام، وأن تكون سبباً من الأسباب الموضوعية القائمة على جهد المؤمنين، وأن تعطي للإسلام انتشاراً في الأرض، وأن تكون طريقاً لإعطاء صورة مشعة عن كربلاء وإن كانت ستبقى كربلاء بثورة الإمام الحسين عليه السلام أكثر إشعاعاً وأكثر قدرة على العطاء.

الأربعون تشهد تجمعاً ملايينياً في كربلاء، قليل أن تتوفر عليه مناسبة أخرى من المناسبات في العالم دينيةً كانت أو غير دينية، قلّما تتوفّر على مثل هذا العدد.

الحسين عليه السلام شخصية إنسانية قرآنية تامّة، ومن خلال الأربعين نحن نقدم صورة عن الإمام الحسين عليه السلام ونقدّم صورة عن القرآن؛ لأنّ الحسين عليه السلام قرآن ناطق، ونقدّم صورة عن الإسلام، وإذا قدّمنا صورة للعالَم عن الإسلام فنحن ندَّعي أنّ هذه الصورة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وندَّعي أنّ هذه الصورة صورة وضعها قلم القدرة الإلهية، فكم هي

المسؤولية في إحياء هذه الذكرى؟!

الممارسات في كربلاء أو غير كربلاء باسم الحسين عليه السلام تدّعي أنّ هذه الممارسات هي ممارسات حسينيّة، ويرضاها الحسين، ويقررها الحسين عليه السلام، وهي تمثّل فكرة وجدانه، وعقيدته، وفكره، وهي تمثل الإنسان، فماذا يتوجّب هنا؟

فهم الإسلام وأهل البيت عليهم السلام

يتوجب هنا أنّ نفهم الحسين عليه السلام قبل أن نأخذ أيّ ممارسة باسم ذكراه، نحن نسيئ للحسين عليه السلام، ونسيئ للقرآن، ونسيء للإسلام، ونسيء لله عز وجل عندما يأتي إحياؤنا أو أشياء منه أو شيء واحد منه بعيداً عن فهم الحسين وعن روحيّة الحسين، وعن تقوى الحسين، وعن إيمان الحسين، وعن شرعيّة الحسين عليه السلام.

وكلّما اقتربنا من شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام وهي الشخصية البعيدة عنّا أفقاً هي في السماء ونحن في الأرض ولكن كلّما اقتربنا من هذه الشخصية فهماً، وجاء إحياؤنا بما يرضاه الإمام الحسين عليه السلام، كلّما توفّرنا على شرف كبير، وتوفرنا على خدمة كبيرة للإسلام، وللإمام الحسين عليه السلام.

علينا أن نكون أمناء جداً وحريصين جداً على أن نبلغ في إحيائنا مستوى يعطي صورةً طيّبة عمّا عليه الحسين عليه السلام، وعمّا عليه شخصيته العملاقة التي يحتاج العالم كلّ العالم أن يتعرّف عليها، ليضع كلّ

إمكاناته وكلّ إرادته وكلّ وعيه على طريق الحسين عليه السلام ، الناس ستعشق الحسين عليه السلام ، والعالم كلّه سيعشق الحسين عليه السلام عندما نجيد تقديم صورة عن الحسين عليه السلام فيها مقاربة لشخصيته.

ونحن نسيء للحسين عليه السلام كثيراً حينما نقدّم صورة مزوّرة، وصورة مشوهة، وصورة قاصرة جداً عن واقع شخصية الإمام الحسين عليه السلام باسم شخصية الإمام الحسين عليه السلام .

نحن في الأربعين كشيعة ومحبّين لأهل البيت عليهم السلام نكون عظماء جداً وأصحاب دور عظيم جداً فيه عطاء للإنسانية كلّها عندما نستطيع أن نقدّم صورة عن الإمام الحسين عليه السلام فيها مقاربة لشخصيّته الحقيقة، وعلى العكس سنكون محاسبين، وسنكون مسيئن للإمام الحسين عليه السلام وللإسلام لو أحيينا الإمام الحسين عليه السلام بأخلاقية غير كريمة، وبمستوى اجتماعي غير لائق، وبمستوى ثقافي غير لائق، وبممارسات غير صحيحة من ناحية شرعية، أو فيها تشويه من الناحية الشرعية.

في القرآن الكريم آيات وهي حسب مفادها وأسباب نزولها لا تسمح للمسلم أن يتجاوز في فهم الإسلام -إذا أراد أن يفهم الإسلام بصورته الكاملة- إلا بأن يقف عند أهل البيت عليهم السلام في القرآن، ورأي القرآن في أهل البيت عليهم السلام ، وموقع أهل البيت عليهم السلام الذي يراه القرآن لهم في الدين، وإمامة أهل البيت عليهم السلام في القرآن، ستأتي صورة الإسلام ناقصة جداً ومختلة جداً وغير كفوؤة بالدرجة التي عليها الإسلام حينما يدرس

الإسلام بعيداً عن مطالعة القرآن، وبعيداً عن مطالعة السنَّة للتّعرف على الموقع الإلهي لأهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام.

وإذا أردنا أن نعرف الإسلام لا بدّ من الرجوع إلى المصدرين العظيمين الكريمين؛ وهما: القرآن والسنَّة المطهّرة.

ومن هنا نعرف هذا الضلع المهم جداً في تركيبة الإسلام، فالمسلمون كلّ المسلمين يكونون قد حرموا أنفسهم أمراً عظيماً جداً -وهو فهم الإسلام الفهم الحقيقي، وبما هو عليه واقع الإسلام وبصورة شاملة- حينما يهملون الوقفة الطويلة المتأملة في القرآن والسنَّة الكريمة وسيرة أهل البيت عليهم السلام للتوصل إلى مقام هذا البيت الكريم الذي لا قيام للإسلام إلا به.

لو أنقصت من الإسلام النبوّة ما وجدت الإسلام.

ولو فهم المسلمون الإسلام النبوّة في وظائفها دون ما هي عليه لم يفهموا الإسلام، ولو لم يفهم المسلمون مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ما فهموا الإسلام.

ولو لم يتزودوا بعطاء رسول الله صلى الله عليه وآله وبعطاء السنَّة من قوله وفعله وتقريره لما فهموا الإسلام، فتكون الصورة ناقصة مجزوءة، بعيدة عن فهم الإسلام الكبير، وبعيدة عن الحقيقة الإسلامية التي هي أعلى حقيقة، ويكون هذا الحاصل حينما نلغي دراسة أهل البيت عليهم السلام وفهمه، ولا نقف عند القرآن، ولا نقف عند السنَّة، ولا نقف عند

عطاء أهل البيت عليهم السلام، ولا نقف عند التفحص عن مصداقيتهم الحقيقة لما يصفه القرآن الكريم من أوصاف الإيمان وإمامة المسلمين.

فمن مسؤولية كلّ مسلم أن يعطي من وقته الكثير؛ من الجامعات الإسلامية، وكلّ المراكز العلمية، وكلّ الكتَّابِ والعلماء، واجبٌ من واجبات الإسلام الأصيلة والأصلية أن يتوقفوا كثيراً وأن يعطوا كثيراً من أجل فهم أهل بيت الرسالة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ونحن إذا أردنا أن نحييَ الأربعين وعاشوراء في كربلاء، وإذا أردنا أن نتحدّث باسم الحسين عليه السلام فوا ظلماه حينما نتحدّث عنه عن جهلٍ به، وعن تقييم غير صحيح به، وما أظلمنا للحسين عليه السلام حينما ننسب إليه فعالية، وأيّ كلِمة، وأيّ شعارٍ، وأيّ ممارسة بعيدة عن ساحة جمال الحسين عليه السلام .

الهدف الرئيس: رضوان الله

لا هدف لمسلم في أيّ لحظةٍ من لحظات حياته، وفي كلّ ممارسة من ممارسات حياته، وفي أيّ حركة وأيّ سكون وأيّ علاقة إلا رضا الله تبارك وتعالى.

الإسلام من أجل معرفة الله والرسول صلى الله عليه وآله، من أجل معرفة الله والأئمة الأطهار عليهم السلام، ومعرفة أنّ دماءهم استبيحت كانت من أجل معرفة الله، وشهادتُهم كانت من أجل معرفة الله. ومتاعبهم ونَصَبهم كان كلّه في ذات الله تبارك وتعالى، ومن أجل أن نعرف الإسلام، ومن

أجل أن نرتبط بالإسلام، ومن أجل أن نصل إلى رضوان الله تبارك وتعالى.

هدف الحسين عليه السلام يجب أن يكون هدفي، وهدفي يجب أن يكون هو من هدف الحسين عليه السلام، وليس للإمام الحسين عليه السلام هدفٌ إلا أن يعرِف اللهَ أكثر فأكثر، وأن يعبده بصورةٍ أشدّ وأشدّ، وأن يقرُبَ من الله وينال شرف رضوانه سبحانه وتعالى، فهل أصطنع لي هدفاً غير هذا الهدف! وهل أتبنّى هدفاً غير هذا الهدف! وهل أقف بهدفي عند الحسين عليه السلام، أو أن يكون الحسين عليه السلام معبَري إلى الهدف الأعظم الذي عاش من أجله الإمام الحسين عليه السلام، وأحببته من أجله، وأضحّي من أجل تبنّي هذا الهدف، وأضحّي بنفسي له، والهدف هو الوصول إلى رضوان الله تبارك وتعالى.

وهناك أهداف مقدَّمية لهذا الهدف، وأهداف توصّلية، نطلب أهدافاً في هذه الحياة جزئية، وهذه الأهداف هي مقدمية لرضا الله تبارك وتعالى، وأنت تستهدف أن تبني بيتاً، وأن تستهدف أن تتزوّج، وهذا هدف قصير، والبيت هدف قصير، والراتب والوظيفة أهداف قصيرة، يجب أن تكون هذه الأهداف موظَّفةً على طريق الهدف الرئيس وهو الوصول إلى رضوان الله تبارك وتعالى.

وكلّ حياتنا حين تصح العقول وترشد النفوس وتفيق القلوب كلّ حياتنا يجب أن تكون وصلة إلى رضوان الله تبارك وتعالى، بكلّ أنشطتها،

وبكلّ حركاتها، وبكلّ ممارستها، وتكون هذه الممارسة مطلوبة لرضا الله تبارك وتعالى.

الأهداف التوصّلية للإحياء بخصوصه -وشيعة أهل البيت عليهم السلام على درجة من الانشداد والارتباط بأهل البيت عليهم السلام-، هذا المستوى غير كافٍ، فلا مستوى وعينا بأهل البيت، ولا مستوى تبع إرادتنا لإرادة أهل البيت عليهم السلام، واقتدائنا بأهل البيت عليهم السلام عندنا نصيب، ولنقل عندنا شيء كمجموعة من كمال أهل البيت عليهم السلام، لكن لا زلنا بعيدين عن ساحتهم بعداً كبيراً، والإحياء من أجل إعطاء انشداد عمليّ فكريّ ونفسيّ وإراديّ وعمليّ أكبر بمسيرة أهل البيت عليهم السلام.

نطلب أن تكون قيادة أهل البيت عليهم السلام في حياتنا بدرجة أكبر وأقوى، وهناك قيادة لأهل البيت عليهم السلام لحياتنا اليومية، ولحياتنا العامة، ولكن بدرجة قليلة وصغيرة جداً، فالمطلوب أن نرفع مستوى حضور قيادة أهل البيت عليهم السلام، وفعالية القيادة والرسالة لحياتنا.

الأربعين ومسؤوليّات مهمّة

١- مسؤولية ازدياد الوعي العام ولا سيّما الشيعي

الإحياء -موسماً أو هو يوم وأكثر من يوم- هذا يجب أن يكون دفعة قوية جداً للتوجّه بالوعي الشيعي، وللإرداة الشيعية، والممارسة الشيعية، والمعاملة اليومية، للإنسان الشيعي، يجب أن يكون فيه دفعة لكلّ هذا بأن يلتحم بقيادة أهل البيت عليهم السلام بدرجةٍ أكبر وأشدّ وأمتن.

كانت زيارة الإمام الحسين عليه السلام عند الكثيرين استجابة لما ثبت استحبابه، وبتصوّر ثواب الفرد الذي يكتسبه من هذه الزيارة، بينما اليوم أخذت الزيارة بعداً أكبر من هذا، وأنت اليوم إذا ذهبت إلى الزيارة لا ترجع بثواب الزيارة فقط، والشيعة اليوم لا يرجعون بثواب الزيارة فقط، وإنّما يحملون الإسلام ورايته ويقدّمونه، و[يرجعون] دعاةً للإسلام، ويعطون ممارسة حيّة عن التّوجيه الإسلامي، وعن التربية الإسلامية، وعن الفكر الإسلامي، وهذا إما أن يُفَعِّلوه فيرجعوا بثواب عظيم وثواب لجهاد في طاعات متعددة، أو يرجع البعض -والمستجار بالله- مسيئن إلى الإمام الحسين عليه السلام بتشويه صورة الإسلام، وصورة الإمام الحسين عليه السلام، وبما نفرضه من عنديّاتنا وأهوائنا واجتهاداتنا على الأربعين، وعلى الإسلام، وعلى الحسين عليه السلام، وعلى الله تبارك وتعالى.

يجب أن نحذر فنحن عبيد، ويجب أن نتقيّد بما يتقيّد به العبد من أمر سيده، والسيدُ هو الله تبارك وتعالى الذي لا سيد مثله.

٢- مسؤولية الوعي بمقام أهل البيت عليهم السلام والإمامة

الانشداد الفكري والوجداني لشيعة أهل البيت عليهم السلام بالإمام الحسين عليه السلام، وثورته ودروسها وتعاليمها، وخط أهل البيت عليهم السلام والإسلام، وهذا مطلب وهدف من أهداف الزيارة.

يجب أن نجعله في وعينا، وخاصة للمشرفين على الإحياء؛ أنّ من مهمة الإحياء هو إحداث إنشداد فكري وجداني لشيعة أهل البيت عليهم السلام

بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيجب أن يكون التحضير لهذا الهدف في هذه الزيارة.

تثبيت الرفض الفكري والعملي لأيّ خطّ مناوئ لأهل البيت عليهم السلام، فالناصبي نناوئه، ونناوئ الكفر بصورة واضحة جليّة، فنحن نناوئ الظلم، وهذه المناوئة يجب أن تتركّز، ويجب أن تكون مناوءة واعية، مخلصة للمناوئ، تستهدف إنقاذه من ضلالته وجهله، ونريد تثبيت هذه المناوءة، فأنا رافضيّ ولكن أرفض بغض أهل البيت عليهم السلام، وأرفض الكفر والجهالة، وأرفض كلّ خطأ يراد أن يُدخلَ في الإسلام، وفي الفكر الإسلامي، وأقبلُ كلّ شيء في الإسلام، وأرفض كلّ شيء يخالف الإسلام، وهذا الرفض بهذا المعنى، وليس بمعنى أنّي أسبّ فلاناً، وأشتمه، وأرفض المستوى الإنساني والمستوى الديني لفلان وأنكره، ففلان لديه مستوى إنساني لا بدّ أن اعترف به، وآخر لديه مستوى ديني سواء اتفق معي أو اختلف، ولديه التزام ديني، فيجب أن اعترف له به، فلا أنكر على أحد حقّانيته، ولا أجحد حقّ أحدٍ، ولكنّي أرفض الباطل.

هذا الرفض للباطل يجب أن يتركز نفسياً وفكرياً على المستوى العملي، فالمفروض من أحياء الأربعين أن يتحمّل هذا الأمر، وأن تأتي عملية الإحياء بأن يرتفع هذا الرفض بمستوى الإنسان الشيعي.

عندنا وعي الأمّة كلّ الأمّة المسلمة -أوسع من الشيعة-، فواضح

جداً أننا نحرص على سلامة الإسلام وكلّ المسلمين، فيراد لوعي الأمّة جمعاء أن ينفتح على المنزلة الخاصة بأهل البيت عليهم السلام، وهل أنّ لهم منزلة خاصة في الإسلام أم ليس لهم منزلة خاصة؟

المنزلة الخاصة التي يراها المسلمون -كلّ المسلمين- لأهل البيت عليهم السلام -إلا من نصب- هي منزلة وجوب مودّتهم، ولكن هل هذه المنزلة التي يراها المسلمون هي المنزلة الواقعية في أعلى درجاتها التي قررها القرآن الكريم لأهل البيت عليهم السلام؟! وهذه صورة منزلة أهل البيت في القرآن؛ وهي منزلة الإمامة، إمامة الدين والدنيا، وهذا ما لا يفهمه كثير من المسلمين ولا يؤمن به، صحيح يرون أنّ أهل البيت عليهم السلام صالحين للإمامة، أنا مع ذلك، لا أرى أخاً مسلماً غير الناصبي لا يرى لأهل البيت عليهم السلام صلاحية الإمامة، لكن الخلاف هل أنّ إمامتهم واجبة أو أنّ إمامتهم جائزة صالحة فقط، المختلَفُ عليه هو وجوب الإمامة للأئمة أهل البيت عليهم السلام، لا أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام صار خليفة المسلمين، فإنه لا ينكر خلافته أحدٌ أبداً.

هناك من يقول: إنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام إمام، وأنّه أهل للإمامة، ولكن لا يعترف أنّه إمام واجب، والكلام كلّ الكلام في وجوب إمامة أهل البيت عليهم السلام، وأنّها في المرتبة الثانية من وجوب النبوة لرسول الله صلى الله عليه وآله أو لا؟ القرآن الكريم حسب ما يقرأُ بالقراءة الصحيحة والسنَّة وسيرة أهل البيت عليهم السلام تقرّر أن إمامتهم واجبة،

وليس أنّهم أئمة صالحون فقط، وأنّهم يصلحون للإمامة، وأنّ إمامتهم ليست مفترضة من أحد، وهذا الأمر في إحياء الأربعين وإحياء عاشوراء وكلّ الممارسات المذهبية يجب أن تتّخذ من هذا هدفاً، وإلفات المسلمين الكرام إلى أنّ إمامة أهل البيت عليهم السلام ليست الإمامة الصالحة فقط، وليس أهل البيت عليهم السلام الذين تصلح إمامتهم للمسلمين فقط، وإنّما إمامتهم واجبة، وأنّه لا بدّ منها، وهذا هدفٌ آخر، ونرى هذا الهدف هدف مقدميٌّ لرضوان الله تبارك وتعالى.

٣- مسؤولية كون الزعامة للعالِم بالإسلام

هدف آخر لزيارة الأربعين، وهو أنّ المسلمين يتساهلون الآن في أمر الزّعامة للأمّة، والتساهل قائم اليوم، وربما قام غداً، وهو التساهل في موقع الزّعامة للأمّة الإسلامية، والفصل بين زعامة الدين والدنيا، وإذا جمعت الزعامتين لشخص ما، كان يلزم أن يكون عالماً بالإسلام كلّ العلم، ولا معصوماً بالعصمة العمليّة ولا الفكرية حتى تكون له الأهلية لإمامة الإسلام والمسلمين، وهذا الوعي ليس موجوداً، وهذا الشرط لا تُدرَكُ أهميته، ويقبل كثير من المسلمين حكومات وضعية قائمة الآن، وهي حكومات تنتمي للإسلام والبلاد الإسلامية وتحكم المسلمين، وهل مقبول يا مسلمون أم لا من ناحية إسلامية؟ هناك كثير من المسلمين شيعة وسنة يرون أنّ هذه الحكومات الوضعية غير مقبولة من ناحية إسلامية، وهي وضع شاذّ ومنحرف عن الإسلام، لكن هذا الفهم والوعي ما مدى تغلغله وجدّيته وفاعليته ومحرّكيّته في نفوس

المسلمين؟ ولأيّ درجة؟ وهذا بالنسبة لشريحة من المسلمين واعية، وماذا عن الشريحة الأكبر من المسلمين؟ هل يعون ضرورة أنّ الزّعامة للأمّة الإسلامية يجب أن تكون إسلامية؟ فالكثير لا يعي، ويرى الأمر عادياً جداً، وأن تقوم حكومات هنا وهناك من حكومات وضعية، وأن يسلم لها، فمن ناحية إسلامية خالصة هذا غير صحيح.

مسؤولية مسيرات الأربعين ومواكب الأربعين وكلّ الفعاليات الأخرى في الأربعين هي إعطاء هذا الوعي؛ أنّ الحكومات الوضعية المخالفة للإسلام تحكم بقانون وضعي، وتبتعد عن الإسلام، وتحلّ محلّ القانون الإسلامي قانوناً آخر، وتتصرّف في الإسلام ومؤسساته التصرف الذي يتوافق مع القانون الذي تضعه، وهو القانون الوضعي ومصدر هذا القانون أمريكي وفرنسي وأوربي وغير ذلك، وهذا وضع لحد الآن يمتلك استمراراً ويمتلك قبولاً مستقراً في نفوس غالبية الأمّة وهذا خطأ جداً.

مسؤوليّة الأربعين أن تصحِّح هذا الفهم، وأن تستبدل عن هذا الفهم فهماً إسلامياً صحيحاً من حيث قيام الحكومات الوضعية المنافية للإسلام، ويجب السعي والعمل الدؤوب من أجل الوصول بالأمّة إلى وعي جديد يعد بها إلى فهم الإسلام، والأخذ به، ورفض هذا الوضع الشاذّ المضرّ بالأمّة والقاضي عليها.

٤- مسؤولية إبراز روح الوحدة

من مسؤولية إحياء ذكرى أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام إبراز روح الوحدة الإسلامية، لا نكون شيعة تقابل السنة، وسنة تقابل الشيعة، أو أنّ السنة يبنوا وجودهم ويسحقوا الشيعة، أو أنّ الشيعة يبنوا وجودهم ويسحقوا وجود السنة، ولا يُسحق هذا لذاك أو يُسحق ذاك من هذا، ولا أبني نفسي وأهمل الآخر، ويبني الآخر نفسه ويهمل شأني، فهذه ليست أمّةً واحدةً، ولا يستطيع أحدٌ أن يقول بأنّ القرآن يعترف ويفرض علينا أن نكون أمّتين، وأنّ كلّ أمّة يجب أن تواجه الأمّة الأخرى، أو لا تكترث في مصيرها!

نحن أمّة واحدة، ويجب أن يعطي إحياء الأربعين هذا الطابع في نفس كلّ مسلم ومسلمة، وأنّ ما يشتتنا ليس همّ الإسلام، وإنّما الجاهلية، والعصبيات الجاهلية، وأطماع الطماعين، ودسائس الفكر الكافر ومؤامراته.

يجب أن نفهم أنّ وحدتنا التي يحرص عليها الإسلام مستهدفة من القوى الطاغوتية العالمية، وعلينا أن نواجهها، ومواجهتهم بالإصرار على وحدتنا الإسلامية، ومن يتبع أهل البيت عليهم السلام أولى إلى أن يلتفت إلى هذا، وأن يعمل عليه، وهو وجوب توحيد الأمّة ورصّ صفوفها لمصلحة الإسلام كلّ الإسلام، ومصلحة المسلمين كلّ المسلمين.

يجب أن يكون في الإحياء وقفةٌ ضدّ مؤامرات التّجهيل والإفساد والتّحلل والتمزيق، وإنّما يكون الإحياء مدرسة عملية تقدّم للعالَم في

الأبعاد المختلفة دروساً كريمة عالية من الإسلام، تفتح واعيتهم، وتثير عنده شهيّة وجدانه الكريم، وأخلاقه الكريمة، ووجدانه العقائدي في النّفس البشرية، وهي تحمل فطرة توحيديّة، وتحمل شوقاً إلى الله، ولو صحّت هذه الفطرة ولو لم يغتالها المغتالون ولو لم يغتالها الإنحراف والفسوق لبقت تضغط على صاحبها بأن يتوجّه إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا الوجدان الكريم لو حصل من يعطيه الإفاقة ومن يفتح له على نور الله سبحانه وتعالى لطلب الله تبارك وتعالى وسعى إلى الله عزّ وجلّ، وضحّى في سبيل الله عزّ وجلّ، وأعطى كلّ حياته لله تبارك وتعالى.

٥- مسؤولية انعكاس الإسلام على الفرد والأمّة

مسؤولية الإحياء أن يكون مدرسة عمليّة تقدّم للعالَم في الأبعاد المختلفة دروساً عالية مختلفة من الإسلام، وأكون في ممارساتي صورة عن الإسلام، والصورة الإسلامية تجتذب أم لا؟! وهذه الممارسات والإحياء يبرز صورة عن اجتماع الإسلام المتقدّم، وعن المستوى الثقافي المتقدّم، وعن الصّدق، وعن التعاون في الخير، وعن التّعاون على الباطل، صور من هذه الصور والحقائق الإسلامية والأشياء التي أراد لنا الإسلام أن نتخلّق بها، فلمّا نبرز بثقافة إسلامية واعية، وبنظافة شارع، ونظافة قلوب، وحياة اجتماعية حميدة جداً، ونظام وتنظيم باهر، تتقدّم بصورة حضارية إسلامية للعالم، فهذا يُحدث عشقاً للإسلام، ويُحدِث حسنَ ظنّ أوّلي بالإسلام، ويدفع للبحث عنه.

مطلوب أن نعطي صورة حيّةً ما استطعنا عن جنبات عديدة وكثيرة مما تعطيه التربية الإسلامية والوعي الإسلامي والفكر التوحيدي، ونقول: هذا هو إسلامنا، وها نحن الذين جئنا صناعةٌ إسلاميّة ومن صناعة الإسلام وإذا أردتم أن تنظروا إلى الإسلام فانظروا إلى ممارستنا، والعالَم فعلاً ينظر إلى الإسلام من خلال ممارستنا، فإن جئنا بممارسات خسيسة نقول: إنّ الإسلام خسيس، وإن جئنا بممارسات متقدّمة، ووعي كبير، ونظافة، وطهر، وتعاون، وانفتاح على العالم، نقول: هذا الإسلام.

ندَّعي أنّ الإسلام يتحدّث من خلالنا فكيف سيأتي الحديث الإسلامي فكما يزعمه سلوكنا؟! وكما تزعمه ممارساتنا؟! فعلينا أن نتق الله تبارك وتعالى، وإذا أردنا أن نخلص للإسلام أن نبرز صورةً مشعةً عن الإسلام تجتذب عقول العالم وقلوب العالم.

إذا أجدنا تقديم صورةٍ حيّة مشعّة صادقة عن الإسلام من خلال ممارساتنا الإحيائية لشعائر الدين، ومنها شعيرة ذكر أهل البيت عليهم السلام سيعرف العالم أنّ الإنسانية والحرّية والكرامة والخلق الكريم والعدالة والصّدق والإيثار هذا كلّه وأكثر منه مما هو من جنسه ومن مستواه لا يجتمع في الأرض ولا ينال منه واقعاً إلا في ظل الإسلام.

ستقولون للعالم كلّه بأنّكم إذا أردتم هذه الصفات مجسّدة في الإنسان فعليكم بالإسلام، سيقولون هذا الإسلام، والإسلام صنع هذا الإنسان

بكلّ هذه الصفات.

هذا الذي قلناه حتى يعرف العالَم أنّ هؤلاء المحيين تدفعهم عقيدتهم وتربيتهم الدينيّة لإنقاذ الإنسانية بكلّ تنوّعاتها من مآسي الطاغوتية التي أبتليت بها فحين يرى العالَم وجماهيرَ ومستضعفي العالم أنّنا حريصون على إنقاذ العالَم من الطاغوتية ومن الحكم الظالِم ومن فرعونيّة الفراعنة، سيقدروننا ويقدروا الإسلام وستتعاطف شعوب كثيرة من العالَم مع المسلمين والإسلام.

٦- مسؤوليّة تعزيز الأخوّة الإيمانيّة

ومما ينبغي تحصيله من عملية الإحياء الضخمة في مثل عاشوراء والأربعين رفع المستوى العملي للأخوّة الإيمانية داخل المذهب الشيعي نفسه.

الموسم -سواء الأربعون أم عاشوراء وكلّ المناسبات- يجب أن يكون موسماً لبناء علاقات قويّة وإيجابيّة وتلاحمٍ أشدّ من أجل الحقّ، وليس تآمرنا على أحد بباطل، وإخلاصاً للشيعة أنفسهم، وإخلاصاً للمسلمين كلّهم، وإخلاصاً للعالَم، حينما أقول تلاحم وتناصر وتعاضد من أجل الخيرفهو لرفعة المسلمين ورفعة العالَم كلِّه.

هناك طلب للقوّة من أجل الهدم، وبناءٌ لنفسي وهدمٌ للآخر، ومرّة تطلب القوّة من أجل أن تقوى ويقوى بك الآخر، طلب القوّة التي يرضى بها الإسلام ويرضى بها أهل البيت عليهم السلام هي قوّة ترفع بها من

قوّتك وترفع من مستوى غيرك. صحيح أنّي أحاول أن أنقذ الآخر من خطئه وهذا نفع وليس إضراراً.

أمريكا تفتح بلداناً وأقطاراً وتستولي على أمم، ولكن ليس لتقوى هذه الأمم، بل من أجل أن تستبدّ بخيراتها، ومن أجل أن تستبعدها، وتستثمر أرضها، وتستفيد من كنوزها، ولكن الإسلام ليس كذلك، الإسلام حتى في جهاده الابتدائي يريد القضاء على الطاغوتية وليس على الشعوب، ويريد أن يرتفع بالشعوب ولا يريد أن يستغلّها، ويريد أن يرفع من مستوى الإنسان من أدنى الأرض إلى أقصاها، وأن يصحّح مساره، وأن يسعده دنياً وآخرة، إلا أنّه لا يريد أن يستغلّه ويستغلّ ثروات أفريقيا وهي غنية بالثروات، فالإسلام لا يسعى للسيطرة على ثروتها وإنّما من أجل رفعة إنسانها.

حين نقول إنّه موسم للمزيد من التلاحم، والمزيد من تراص الصفوف، ومزيد من محاولة رفع الوعي، ورفع الهمّة، والتوجيه الواعي، وكسب المعرفة الموضوعية، فكلّ ذلك ليس من أجل الشيعة وحدهم وإنّما من أجل الإنسانية بكاملها.

هناك تدفّق كثير من المؤمنين في يوم الأربعين، فهذه الحالة تارة: تقتصر على العزاء ولطم الصدور فقط ونرجع، وتارة أخرى: تكون لنا فعاليتنا الأخرى التي تبني علاقات من مؤتمرات، وملتقيات ثقافية، وندوات، ومشاورات، والتفكير في شؤون المسلمين، وكيفيّة تصحيح

الأوضاع، وكيف يُرتَفعُ بمستوى الأمّة.

وهذا الموسم يجب أن ينال من مثل هذه الممارسات والفعاليات، وتكون لقاءات فكرية عالية من مختصين مختلفين، ويجب أن توضع خطّة سنوية لرفع المستوى، وكلّ ما تقدم يتّسع له إحياء الأربعين في هذه الأيام.

توصيات

هذه أهداف [ومسؤوليات] تفصيلية جزئيّة، وكلّها تصبّ في صالح الهدف الكبير وهو الوصول إلى رضوان الله تبارك وتعالى.

وتحقّق هذه الأهداف:

- هذه الأهداف يحتاج كلّ منها إلى فريق مختص يعمل على إعداد خطة لهذه الجنبة أو تلك، ولهذا الهدف أو غيره من الأهداف التي ذكرت ومن الأهداف التي لم تذكر.

- يحتاج إلى فريق يعد الخطة وفريق ينفذها.

- يحتاج إلى أن يظهر المحييون للذكرى بالمظهر الإيماني الذي يفرضه الوعي والتقوى والحكمة ورعاية حقّ الدين وحقّ المؤمن على المؤمن وحتى نصل إلى هذه الأهداف، والمؤمن والمحيي الذي يحضر فمرّة يأخذون على أنفسهم أن يعيشوا حالة الإيمان قلباً وعملاً، وأن يُبرزوا وجه الإيمان وعطاء الإيمان والآثار والبركات التي تكون في ظلّ الإيمان، وهذا عن طريق الممارسات المدروسة، وكلّ ذلك عن طريق التقيّد بأمر الله سبحانه وتعالى ونهيه في

ممارساتنا بلا تكلّف.

الإسلام ليس فقط صلاة وصيام، وإنّما هو نظام وتعاون، والإسلام رفْع مستوىً اقتصاديّ، ورفْع مستوىً اجتماعيّ ووعي شامل، فحينما نأتي بهذه الصورة فإنّا على طريق تحقيق الأهداف التي مرّ ذكرها.

- مطلوب للطهر الإيماني أن يبرز في سلوكنا وعلاقاتنا وعشرتنا، وفي وجودنا كوجود مجموعي. وهناك حقّ المؤمن على المؤمن لا بدّ أن يظهر، وليس إهمال المؤمن للمؤمن وسبّه وشتمه في الإحياء!

المطلوب إظهار رعاية المؤمن لحقّ المؤمن، والمسلم على المسلم، والإنسان على الإنسان، فقد يكون هناك نصرانياً أو يهودياً أو بوذياً فنتعامل معه تعاملاً إنسانيّاً.

مرة نعطي انعكاساً عن الإسلام بأن نتعامل مع الإنسان تعاملاً غير إنساني، ومرة نعطي انعكاساً بأنّ المسلم يتعامل مع الإنسان المسلم ومع غير المسلم تعاملاً إنسانياً فيعترف له بحقوقه الإنسانية، ويعترف بكرامته الإنسانية، فيجب أن نكون في صورة تتكلّم عن الإسلام بأنّه لا يعادي الإنسانية، وأنّ الإسلام أحرص ما يكون على حرمة الإنسان من حيث إنسانيته وبمستوى إنسانيته.

أهل البيت عليهم السلام لهم حق ثابت على الأمّة كلّ الأمّة، وعلينا نحن الذين ندَّعي التعبّد بما جاء عنهم من حكم فنحرص أن لا ننقص من وزنهم، وزن الإمامة في الدين والدنيا، فنعرف لهم هذا الحق فكراً، ونعرف لهم

عملاً، وأن تكون حياتنا كلّها منقادة لهذا الفهم وهذا الاعتراف الفكري بأنّ لهم إمامة الدين والدينا وهذه منزلة.

وأئمة أهل البيت عليهم السلام لا يرضون بإنقاصهم حقّهم، أيْ: حقُّ الإمامة؛ لأنّه حقّ الله تبارك وتعالى، ولا يرضون بالتزيد في حقّهم والمغالاة، ولقد كانوا أشدّ على من غالى فيهم منهم على من عاداهم، فلقد كانوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين شديدين على أعدائهم، ومن ينكرون حقهم، وشديدين في الحقّ، وشدّتهم على الباطل فلا يرضون ممن أنكر عليهم حقّهم وجحد عليهم حقّهم وقدّم عليهم غيرهم، ولكنّ إعلانهم بالعداوة لمن غالى فيهم كان أوضح وأشدّ.

فنحن الشيعة -أخص الشيعة- من واجبنا أن نعيش حالة الاعتراف الفكري والعملي في أقصى درجة نستطيعها بأنّ أهل البيت عليهم السلام هم أئمة حقّ هادون مهديون، لا تجوز مخالفتهم في أمرٍ كبيرٍ أو صغيرٍ، وينضاف على هذا أن لا نحاول أن نتزحزح بهم إلى شيء خاص بالله تبارك وتعالى، فهذا حرام كلّ الحرمة، فأهل البيت عليهم السلام يعادوننا، ويتبرؤون منّا، ويلعنونا حينما نصفهم بصفةٍ من صفات الله تبارك وتعالى، فالحذر الحذر.

ومما يخدم تلك الأهداف تكثيف الزيارة، والمشاركة في المواكب، وكلّ الخدمات التي تتطلّبها عملية إنجاح الإحياء وتغطي احتياجاته.

أن يكون كلّ المؤمنين حرّاساً أمنيين في كلّ حسينية، وموكب،

وشارع، ونقطة من ساحات الإحياء في كلّ مكان من كربلاء، وكلّ بلدان المؤمنين، ويكون ذلك بقاعدة «كلٌّ وما يمكنه».

مسألةٌ ملحقة:

ينقل أنّه يحدَث في البحرين شيء من الاختلاف بين الرواديد المحترمين أنفسهم وفي داخلهم بعض الاختلاف، أو بين البعض منهم وآخرين من أصحاب الفضيلة المشايخ من حيث طريقة الأداء عندهم في الردّات، فهذا يقول: أنّ هذه الردّة تلحينها خارج عن المباح وعما هو حلال، وآخر يقول: إنّه داخل في الحلال. هذه مسألة تُطرح بين حين وآخر، أنّ هناك تعدٍّ عن الحدّ الحلال والمباح أو غير تعدٍّ.

المسألة على مستوى الحكم الشرعي الكلّي الذي يتكفّل بالتمييز الوصفي بين ما هو مباح وحرام، ووضَع حدّاً لما هو حلال وما هو حرام من التلحين، فهذه الوظيفة اجتهادية، أو من لم يجتهد يأخذ بالتقليد في هذا الأمر، ومن لم يكن مجتهداً رجع فيها إلى مقلده، ومع رجوعه إلى رأي [مقلّده] في المسألة لا لوم عليه.

من أقلده يقول: إنّ هذه التلحينة ليست من الألحان الحرام وليست من ألحان أهل الفسق والطرب، وليست مما يتناسب مع مجالس أهل الفسق، وهو يأخذ بهذا، فهذا في نفسه لا لوم عليه.

قلت هذا، ويُلتفت مع ذلك أنّ الرادود لا يردّد ردّاته ببينه وبين نفسه، فليس جالساً في حجرته ويردّد الردات باللحن الذي يراه

حلالاً ومباحاً، وهذا في خط مختلف، وأحياناً جالس مع من يشترك معه في التقليد أو يقلد فقيهاً آخر ويرى رأياً مثل رأي مقلَّده، فهنا لا مشكلة، كذلك فيمن يتواجدون في الحسينية مثلا وهم يرجعون لمثل يرى مثل رأي مقلَدي.

إذا جاء باللحن بينهم وبهذه الشكل فلا لوم عليه؛ لأنّنا نؤمن كلّنا بأنّ هذا اللحن حلال، ولكن ليس هذا هو وضع العزاء والمواكب، وإنّما وضعها أنّ هذا الرادود يقلّد فقيهاً واحداً وهناك عشرة مقلَدين أو أكثر من ذلك يرجع إليهم المعزون، فهل أستطيع أنا الرادود الذي أقلّد من يبيح لي هذا التلحين وهذا النّغم هل أستطيع أن أفرض نفسي على عشرة آلاف أو عشرين ألف في الموكب يقلّدون مقلَّدين مختلفين؟ هل هذا صحيح؟

أنا لا أراه صحيحاً أن أفرض على الآخرين، فأنا لست لوحدي، فالأحسن الأخذ بالمشترك من الألحان، وهناك ألحان كثيرة مجازة ومتفق عليها، فلأستغني عن هذا اللحن وأذهب البيت وأنشد لوحدي.

ولكي نقضي على الفتنة وعلى الاختلاف فليتنازل الأخ الرادود الكريم عن مثل هذا التلحين المختَلفُ عليه، ويأخذ بالمجمع عليه، وهذا اقتراح منّي للأخوة الكرام أخوتي الرواديد.

واضح جداً، أنّ فرض النّفس سيخلق تصدّعات في العزاء، وسوء ظنّ، واتهامات، ولغط، وتفرّق، وتمزّق، وربما أكثر من ذلك، فما أغنانا

عن هذا كلّه؛ حيث يستغني الأخ الرادود الكريم عن الأخذ بالتلحين المختَلَفُ عليه والمسبب للفتنة، وجزاه الله خير الجزاء، وفي هذا احتياط للرادود.

ففي أيّ مسألة كالنكس في الوضوء مثلا أن مقلَدي يجيز ولكن يوجد ثلاث أو أربعة مقلَدين لا يرون به ولا يجوزنه فلا يجب أن أمسح بالنكس وأعاند بأنّي يجب أن أطبّق ما يراه مقلَدي؟ مقلَدك يرى بأنّ المقلَد الآخر صحيح فخذ به، وفي كلّ الأحكام من صلاة ووضوء كلّما أخذت بالأحوط من الأحكام كان أفضل لك وإن لم يكن احتياطاً وجوبياً.

خطاب للخطباء والرواديد وشعراء المنبر الحُسيني

اسمحوا لي بأن أخاطب الأخوة الأعزاء من خطباء المنبر الحسيني، ورواديد، وشعراء المنبر الحسيني.

مع الأسف أنّ شعراء المنبر الحسيني لحدّ الآن لم يوجدوا بشكل ملحوظ، فنحن محتاجون لشعراء للمنبر الحسيني؛ فالمنبر الحسيني لا زال يعيش في كثير من الأبيات النّبطية على عطاء الفكر السابق، والثقافة السابقة، والمستوى السابق، والتصور الموضوعي السابق، والنّفسية السابقة، والتربية السابقة، والإرداة السابقة، وجوانب كثيرة ارتفعت من المستوى الثقافي، وإرادة الإنسان المؤمن ارتفعت بدرجةٍ ما والتفاته ووعيه الموضوعي، وكلّ هذا ونحن ما زلنا نعيش على أبيات القدماء، جزاهم الله خير الجزاء، أعطوا ما كانوا يملكون وفيه الصحيح الكثير،

ولكن في سبق من الطرح الشعري بعض الهنات، وبعض الضعف، وبعض التجبين والتهويل، والبعد عن الواقع، وكلّ هذا فيه.

انظر إلى ردّت[١] الأمس وردّت اليوم في ردّات المواكب، وقايس بينها، فلا زلنا نحتاج إلى تصحيح، ورفع مستوى، فلقد دخلت إيجابيات جديدة، وربما دخلت معها بعض سلبيات، وبعض الروادید أداؤهم يبعث على النوم، والمطلوب منكم أن تحيوا النّفوس. بارك الله فيكم جميعاً فلكم الجميل، ولكم المنُّ والكثير من الكلمات عندكم تحيي، وأسلوبكم قد لا يروق للسابقين، ولكنّكم جيلٌ جديد ولكم أسلوبكم.

نحتاج إلى شعراء للمنبر الحسيني تغطّي حاجة الأبيات النبطية، لكن بفكر جديد، وحتى لو كانت أشعار عربية تأخذ طور الشعر النبطي فهذا أمر حسن، ويرتفع بمستوى الطرح، ومخاطبة القلب، ومخاطبة الفكر، والمعالجات الموضوعية الخارجية.

والكلام هنا ليست إزاحة للقديم وإحلالاً للجديد مكان القديم، وإنّما الأخذ من القديم ما حسُنَ منه ومن الجديد ما حسُنَ منه، وستكون هناك فرصة أكبر للانتقاء، ولا شك أنّ الموجودين يملكون شيئاً جديداً مفيداً بلا أدنى إشكال. ونفس اللغة يجب أن يرتفع مستواها بأن نقترب من العربية أفضل، على أنّكم تعترفون بأنّ مستوى الإرادة عند كلّ شعوبنا ارتفع بمستوى معيّن، والفهم الموضوعي الخارجيّ

(١) المقصود هو تفاعل المعزين مع الرادود في موكب العزاء.

ارتفع، ومعرفة الإنسان اتسعت وعولجت قضايا معينة، وتلك اختفت واستجدّت قضايا، ويوجد موضوعات كثيرة تعجّ بها الساحة الثقافية والخلقية والاجتماعية والسياسية، وكلّ هذه الساحات لها موضوعاتها الجديدة، ومشاكلها الجديدة، ومتطلّباتها الجديدة، وكلّ هذه مهملة، فلمّا يأتي شعر جديد ويعمل على هذا الجانب سيغطّي بعض النّقص.

الأخوة الخطباء والروايد الأعزاء وشعراء المنبر الحسيني صاروا يشاركون بقوّة، واختاروا لأنفسهم هذا الموقع الشريف الكريم، وهو موقع المشاركة والإسهام في صناعة وعي الأمّة وإرادتها وسلوكها، وهم اليوم لا يشاركون بقصد إدرار الدمعة فقط، وحتى إدرار الدمعة هي من أجل البناء، ومن أجل ربط وشدّ النّفس إلى جبهة الحقّ، وهذه الدمعة تحمل معنيين؛ فيجب أن تعطى هذين البعدين، وهذا من مسؤولية الذاكِر المصيبة، وصورة المشهد المؤلم.

الدمعة تحمل بعدين؛ ارتباطاً وانشداداً وحبّاً والتحاماً بالحق وبرموز الحقّ، وسخطاً ونأياً وحنقاً ومواجهة لجبهة الباطل وأهل الباطل.

هذه هي الدمعة، وأرادها أهل البيت عليهم السلام لهذين البعدين، فأيّ دمعة خالية من هذين البعدين فلا قيمة لها، فأنا أبكي كثيراً على ولدي، وعلى زوجتي، وعلى أمّي مجرّد عاطفة، قد يضربون طفلاً أمامك وتريد أن تنقذه، فقد تبكي لأجله، وقد يكون لك ثواب عاطفة كريمة بدرجة ما.

لكن أهل البيت عليهم السلام ليسوا محتاجين أن نذرف دموعاً عليهم، وإنّما

الدموع من أجل أن تصنع ديناً والتحاماً بالدين، وارتباطاً بجبهة الحسين عليه السلام، وانفكاكاً عن جبهة يزيد، تبكي لأنّ الأمة تترك الحق إلى هذا الحد فهذا هو سبب البكاء.

دور الأخوة الكرام دور يرفع من شأن صاحبه بين المؤمنين ما صدق، وإذا صدق هذا الدور سواء كنت رادوداً أو خطيباً أو شاعراً، فإذا صدق مع هذا الدور كان من شأنه أن يرفعني بين المؤمنين لارتباط المؤمنين بهذا الدور، ولتقديرهم لهذا الدور، وليس للذات نفسها فينعكس على صاحبه.

والحمد لله ربّ العالمين

آخذٌ بقولك ،،، مع إمامٍ منصور

الشيخ علي فاضل الصدديّ

الملخّص:

تحدّث الكاتب حول عبارة (آخذ بقولك) الواردة في بعض الزيارات من جهتين: الأولى: كانت حول الإلزامات الشرعية وفرض تعارضها مع المصالح الشخصية؛ حيث لا بدّ من تقديم الدين. والثانية: حول الرخص الشرعية والأخذ بها والتصلّب في تركها.

ثم تحدّث حول عبارة (مع إمام منصور) الواردة أيضاً في بعض الزيارات وتحدّث حول الاعتداء والافتراء الواقعين على الإمام الحسين، وأوضح كيفية أن يكون الإمام الحسين منصوراً بالإمام المهدي عليهما السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على محمّد نبيّه وآله وسلّم تسليماً

إليك أيّها القارئ الكريم مقالتين خطابيّتين، أولاهما تناولت فيها شعار عاشوراء لعام ١٤٤٠ هـ بحسب بلدنا البحرين، وهو «**آخذ بقولك**»، والثانية تناولت فيها شعار عاشوراء لعام ١٤٤١ هـ ، وهو «**مع إمام منصور**».

المقالة الأولى: آخذ بقولك

تصدير:

روى الشيخ الأقدم ابن شعبة الحرّاني رحمه الله في كتابه تحف العقول عن آل الرسول، عن أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام أنّه قال: «**في مسيره إلى كربلاء: إنّ هذه الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة[1] مع الظالمين إلا برماً، إنّ النّاس عبيد الدنيا، والدين لَعْق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون**»[2].

مقدّمة:

شعار عاشوراء لهذا العام (١٤٤٠ هـ) بحسب البلد(البحرين)

---

(١) في بعض المصادر (والحياة)، انظر مناقب آل ابى طالب، ج ٣، ص ٢٢٣.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ٢٤٥.

هو «آخذ بقولك»، في خطاب من المُوالي لإمامه، وكأنّه يعاهده على ذلك، وهذا بلفظه موجود في إحدى زيارات أمير المؤمنين عليه السلام بحسب البحار، في هذه الزيارة: «**إنّي عبدك وابن عبدك**[١]، **ومولاك وابن مولاك-إلى أن يقول الزائر- آخذ بقولك، عامل بأمرك**»[٢]، كما أنّ هذا اللفظ موجود بصيغة الجمع في الزيارة الجامعة: «**بأبي أنتم وأمّي وأهلي ومالي وأسرتي، أُشهد الله وأشهدكم أنّي مؤمن بكم وبما آمنتم به-إلى أن يقول الزائر- محقّق لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم مطيع لكم- إلى أن يقول- آخذ بقولكم، عامل بأمركم**»[٣].

والحديث حول لفظ الشعار في محورين، وهذا الحديث بمحوريه كما قد يواجه به العامّي من الناس- يواجه به غير العوام- أي الخواصّ- ومنهم طلبة العلوم.

المحور الأول: الإلزامات الشرعيّة والمصالح الشخصيّة:

ثمّة إلزامات ووظائف وتكاليف شرعية، ومصبّ هذه التكاليف مرّةً يكون هو الذات، وأن تفعل أو لا تفعل، وأخرى يكون مصبّها مثلاً المال، وأن يصرف أو لا يصرف، وأن يصرف في هذا المورد، وأن لا يصرف في ذاك، وثالثةً يكون مصبّها الجاه، وأن يوظّف في كذا أو لا.

ثمّ كلّ هذه الإلزامات في هذه المصبّات الثلاثة وغيرها ممّا يتقاطع

(١) والعبودية هنا كما في غيرها من الزيارات هو عبودية الطاعة والانقياد لا عبودية العبادة.

(٢) بحار الأنوار٩٧: ٣٥٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه٢: ٦١٤.

مع هوى النّفس والمصلحة الشخصيّة في الأعمّ الأغلب، وعلى تقدير الالتزام بهذه الإلزامات تتقلّص مساحة المشتهيات والنزوات، فلمن القرار؟ ومن الحاكم؟ وعمّن أصدر؟ وما هو قطب الرحى الّذي أدور وأتمحور حوله؟

(نعم) كلّنا يقرّ بأنّ الّذي يجب أن نصدر عنه هو الله ورسوله وأولياؤه، ولا أحد من المتديّنين يشكّ فيمّن يصدر عنه، ولا يشكّ فيمن له القرار، ومن هو الحاكم، وأيّ قطبِ رحى أدور حوله- لكنّ الالتزام النفساني شيء، والسلوك الخارجي شيء آخر، وهنا نطرح على أنفسنا هذا السؤال: هل لغير الله في أنفسنا وأموالنا وجاهنا وغير ذلك من مصبّات للإلزامات الشرعية نصيبٌ أم لا؟

نعم لا بدّ من إعادة الحسابات في كافّة التصرّفات وكلّ سلوك، وأنّي أصدر فيه عن أيّ شيء، وما هي منطلقاته؟ ما هي بواعثه الحقيقيّة- وإن أوحيتُ إلى الآخرين بأنّي لا أريد إلا الله والدار الآخرة-؟ وهل يمكن أن أتقرّب بما صدر منّي إلى الله سبحانه، فأضيفه إليه سبحانه بلا تردّد وتلكّؤ؟

وفي مقام الجواب قد يقول الواحد منّا: إنّه ليس لغير لله سبحانه في أنفسنا أو جاهنا أو غير ذلك نصيبٌ أصلا!

فنعاود السؤال هل لغير الله سبحانه نصيبٌ في ذلك ولو في ظرف البلاء؟ إذ لا ينبغي منّا التعويل على الجواب في ظرف السّعة والرخاء.

فلو أجبت عمّا مضى من الأيام بـ: أرجو أن يكون كلّ شيء قد وظّف لله تعالى، وليس لغير الله نصيب- فإنّ هذه الإجابة قد لا تخلو من ارتجال وتسرُّع، وعليها فنحن مدعوون لأَن نعيد حساباتنا وبدقّة، وأن نراجع ما مضى على تَؤدّة حتى يتبيّن لنا واقع الحال، وأنّه هل لغير الله في متعلَّقاتنا نصيب أم لا؟

وأمّا ما هو آتٍ من مستقبل الأيّام، فالسواد الأعظم- حتى من الخواصّ- لا يحسب حساباً لساعات العسرة والبلاء والفتنة، وبالتالي لا يكون له أدنى تحسُّب واستعداد وإعداد لمثل هذه الساعات، وكأنّه غافل عن سُنّةٍ إلهيّة عامّة تطاله وتطال غيره، ولا تفرّق بين شخص وآخر من حيث الشمول، وهي سنّة الابتلاء، يقول الله سبحانه: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ (العنكبوت: ٢-٣)، وقد يتبجّح الإنسان، ويرفع عقيرته، ويقول بلسانه الشيء الكثير فيما يعود لعُدّته الّتي أعدّها لأيّ ظرف من ظروف البلاء والفتنة، ولكنّ هذا لا يجدي؛ لأنّ البلاء إذا ما أتى- والحال أنّ أمر الإعداد إذا ما كان إلا لقلقة لسان- فستصدمه المحنة، ويصاب بنحو من البلبلة، وقد تخرجه من دين الله سبحانه.

لنتذكّر- أيّها الإخوة- أنّ صورة التديّن الّتي عندنا قد لا يكون لها باطن، وأنّ التديّن سطحيّ وغير متجذّر، كما نبّه على ذلك الإمام الحسين عليه السلام في المأثور عنه: «**إنّ الناس عبيد الدنيا، والدين لَعْق على ألسنتهم**

يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»، نعم غالب الناس كذلك، يتمحورون حول الدنيا، وتكون قطب رحاهم، وهي عبارة عن الهوى والمشتهيات، وليست الدنيا التي تقابل الآخرة؛ فإنّ في الدنيا ما يوصل إلى الله تعالى، وفيها ما يخلد به إلى الأرض، ثمّ الدين عند أولئك ما هو إلا لحسة، في مبالغة للقول بأنّ التديّن لا يتجاوز الشفتين، وأنّه قول من دون أن يأخذ محلّه من السلوك والتصرّف، وإذا ما رأيت في الخارج بأنّ هناك نحواً من الحياطة والحفظ من مثل أولئك لدينهم- فلا تتوهّم أنّهم يحوطون دينهم؛ فإنّ عبد الدنيا قد يحفظ دينه ويعضّ عليه بالنّواجذ في بعض المواقف والمحطّات، ولكن هل ذلك لأجل الدين أو لأجل الدنيا؟

إنّ حياطة الدين لا تتقاطع دائماً مع حياطة الدنيا، فقد يحوط دنياه بدينه، فإذا ما رأيته يحوطه في يوم من الأيام أو في مساحة معيّنة فهو لا يحوط إلا دنياه، ولا تظهر حقيقة الحال إلا عند البلاء، أي عندما تصل البلية إلى حفظ الدنيا، ولا يمكن حفظها إلا بذهاب الآخرة أو الدين، فهل يحفظ دينه، أو يحفظ دنياه؟ والجواب العملي من أولئك إنّه لا محلّ للدين أصلاً!!

وأما أصحاب الدين والّذين يضافون إلى الدين، ويضاف الدين إليهم- فهم النّفر القليل جداً.

وهلمّ نعيد السؤال السابق- ولو بنحو آخر-: كم للهوى في مساحة

سلوكي وتصرّفاتي بحيث عدت أسيراً له؟

يتحدّث الله تبارك وتعالى عن أحد عباده الّذين كانوا قريبين منه أيّما قرب، فيقول: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ*وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ..﴾(الأعراف: ١٧٥، ١٧٦)، نعم ﴿اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، وماذا بعده؟ ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾، والمراد من هذا التعبير- وهو الوحيد في القرآن فيما يرجع بعلاقة الشيطان مع أخٍ له-: أدركه إلى أن استولى عليه، فصار هو الّذي يحرّكه ويديره، حتى يصير هذا الإنسان من الغاوين؛ لمطابقة تصرّفاته لتصرّفات الشيطان، مع أنّ هذا الإنسان قد أوتي آيات الله الّتي من اللازم أن يرتفع بها، لكنّه انسلخ وخرج عنها، وكأنّها لا تعني له شيئاً، وأنّ وجود هذه الآيات عنده كعدم وجودها.

ثمّ الله سبحانه إنّما يمدّ يده إلى العبد إذا ما أراد العبد ذلك، أما إذا رفض ذلك، وأخلد إلى الأرض فلا يطلب ما عنده الله والدار الآخرة، ويدعها؛ لوجاهة في هذه الدنيا، واتّبع هواه، والمشكلة كلّ المشكلة في اتّباع الهوى!

أخي الكريم: ما عندك من علم هل هو سلّمٌ لتصعد وتتكامل به أم لمزيد إخلادٍ إلى الأرض وحيازةِ أكبر قدر ممكن من قاذوراتها؟- وإن كان في ظاهر الحال شيء تروق له النّفس، وتنشدّ إليه، ولكنّه ما دام مربوطاً بالأرض ولا أَصِلُ به إلى الله فهو قاذورة وإن كانت صورته رائقة-.

وبعبارة أخرى، من يحكمُك؟ ومن يسيّرك؟

يا طالب العلم: إنّ تخصّصك- الّذي أنت فيه- مطلوبٌ لله سبحانه ولآخرتك ولدينك، وهو مطلوبٌ لكلّ بازارات الأرض- حتى لو كانت شهادتك مزيّفة-، فكلّ الأبواب مشرعة أمامك، وكلّ البازارات مفتوحة لك على اختلافها وتنوّعها، ولن تتعطّل، ولا تقاعدَ في هذا التخصص في تلك البازارات[١]، وإن استقلت من بازار فإنّ سائر البازارات ستتلقّفك، وستخلع عليك ما يملأ عينيك وستفيض عليك كلّما مددت عينيك.

لذا، حاذر! من أن يكون علمك أمام دينك، بحيث تتصرّف بعلمك بمعزل عن دينك.

حاذر! أن تجعل من علمك مطيّة لمآربك.

حاذر! أن يغيب الدين كحاكم في أيّ خطوة تخطوها في أيّ بازار من بازارات الأرض، وما أمكنك حياطة دينك فافعل، ففي الخبر: «**فاحتط لدينك بما شئت**»[٢]، نعم بما شئت، فكلّ ما سوى دينك اجعله فداءً لدينك، ولست مغامراً ولا مخطئاً أبداً.

وأقول: إذا ما استزلّك الشيطان ولم يحُط الناس خُبراً بذلك فليس ذلك عزائك، فاطّلاع الناس ليس هو الفجيعة[٣].

---

(١) جمع بازار، وهو السوق.

(٢) الأمالي للمفيد: ٢٣٨ المجلس ٣٣ ح٩.

(٣) البعض يستزلّه الشيطان، وإذا ما خفي ذلك على الناس فإنّ هذا يكون سلوته، ويظنّ بأنّ الأمر هيّن، وتهون عليه مصيبة المعصية.

لا تسلّي نفسك بأنّ لهاثك ما هو إلا لهاث قليل بلحاظ لهاث الآخرين؛ فإنّ القليل من اللهاث وراء الدنيا يقود إلى الكثير من اللهاث، ويمرّدك على ارتكابه، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا..﴾(آل عمران: ١٥٥)، فما الّذي جرّأ هؤلاء على ارتكاب كبيرة الفرار من الزّحف؟ إنّه الشيطان وقد استعان ببعض ما كسبوا، فلو لم يكن القليل والصغير لم يقدر الشيطان أن يقودهم إلى الكبير والكثير؛ فإنّ الشيطان لا سلطان له عليّ، بل أنا الّذي أسلّطه وأمكّنه من نفسي إلى أن يتمكّن من إدارتي وقيادتي إلى المهالك والموبقات.

وقد يلهث وراء القليل وفي ظنّه سوف يتوقّف بعده، إلا أنّ بعض البازارات وإن تظاهرت بقناعتها بما تقدّمه لها من القليل إلا أنّ غاية مأمولها هو دينك وكلّ دينك، فهي لا تقنع بالقليل أبداً، وعليه فلا تتقدّم خطوة غير محسوبة وبمعزل عن دينك وعلى غير هديه.

أنت مغبون إذا ما بذلت دينك أو بعض دينك بإزاء أيّ ثمنٍ كائناً ما يكون، حتى لو قال خبراء البازارات بأنّك رابح، فهم لا يعرفون قيمة دينك وخطره.

نظراً لخطر دينك فلا تجازف بالدخول في بازار من بازارات الأرض اعتماداً على إجابة بالإيجاب عن سؤالك الّذي صاغه الهوى، فأفرغ البازار الّذي تريد دخوله من كلّ محذور، بل خلع عليه كلّ جميل، وهوّن فيه كلّ خطب، ولا تقُل بعد ذلك سألت مرجعي الفقيه العادل، والحال أنّ السؤال وصياغته فيها ما فيها.

بلى إنّ العاقل منّا فيما يرجع إلى غير أمر الدين كالمرض العضال- لا يقنع بإجابة طبيب واحد، ويبقى مرتاباً من جوابه، فَلِمْ لا تبقى مرتاباً إذا ما أردت الدخول في تلك المداخل وإن أجابك فيه الفقيه العادل؛ إذ لعلّك أغفلت بعض معطيات الإجابة، أو لعلّه لم يلتفت إلى بعض المعطيات وإن ذكرتها أجمع.

أيّها الإخوة: حقيق بنا ولأجل ديننا أن نتّهم أنفسنا إذا ما طوّعت لنا وباسم الدين والعلم أن ندخل في أيّ بازار من بازارات الأرض؛ لذا توثّق من رائدك ومن يكشف لك الطريق وأنّه غير مخطور، وأنّه معبّد وسالك- فلم يُترك لك أمر اختياره، فقد اختار لك أولياؤك عليهم السلام رائدك في طريقك، وهو الفقيه العادل[1]، فلا تستبدل به أحداً، ولا تختر على اختيار أوليائك، وراجع مختارهم في الصغيرة والكبيرة من الأمور، هذا.

والمعجِّب -يا إخوة- الّذي لا ينقضي منه العجب ممن يراجعه في مثل الاستنجاء والاستبراء، ويحقّ له وعليه أن لا يتجاوزه فيهما وفي غيرهما، ولكنّه يرغب عنه وعن الرجوع إليه في موبق الدين بتزيين من النفس وعبيد الدنيا، فتراه في مثل تلك المسائل لا يحرّك ساكناً إلا أنّه يتصرّف في المسائل ذات الخطر تصرّف الفقيه العادل!

ختاماً، كن على عهدك مع إمامك وحجّة الله عليك، ودُمْ على هذا

(١) وهُم عليهم السلام وإن لم يسمّوه باسمه إلا أنهّم ذكروه بمواصفاته.

العهد والميثاق، وقل- بكلّ صدقٍ وعلى كلّ حال وأنت تزوره-: (آخذٌ بقولك).

المحور الثاني: الرخص الشرعية والتصلّب:

إلى جانب الإلزامات الشرعية ثمّة رخصٌ شرعيّة، ولنضع نصب أعيننا أنّ الذي له ولاية الترخيص هو الذي له ولاية الأمر والنهي، وعليه فلا يسوغ أن ألزم نفسي أو ألزم الآخرين بشيء في مورد الرخصة، مثلما لا يسوغ الترخيص في مورد الإلزام، وإنّ الوفاء بعهدِنا وميثاقنا مع الإمام عليه السلام وبقولِنا له آخذ بقولك- لا يتمّ إذا ما تصلّبنا في موارد الرخص وإن لم نتجاوز الإلزامات، وقد عاتب الله تبارك وتعالى نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ..﴾(التحريم: ١)، حيث إنّه صلى الله عليه وآله التزم بترك ما هو حلال له رغم أنّه لم يقل: (هو حرام) فجاءه العتاب في هذه الآية.

ولا فرق في التصلّب المذموم بين الّذي يلبّى من خلاله رغبة النفس أو يلبّي رغبة الآخرين كالزّوجات في الآية، كما لا فرق في التصلّب بين الّذي يكون محلّه النفس وبين الّذي يكون موضعه ومصبّه الآخرون، فالبعض في إطار الأسرة قد يلزم عياله أو زوجته بشيء ليس لازماً عليهم فيعود ملكياً أزيد من الملك- كما في المثل السائر-، إلى جانب التساهل في بعض الواجبات أو المحرمات، وهذا ينبئ عن وجود خللٍ لا محالة.

نعم ترى البعض يمنع نفسه أو يمنع عياله عمّا هو جائز، وكأنّه أغير من الله ورسوله وأوليائه (صلوات الله عليهم)، مثلاً تراه يتشدّد في أمر تغطية زوجته لوجهها، وتغطيتها لوجهها وإن كان أمراً راجحاً شرعاً- ولو من باب الاحتياط-، ومما يجمُل بالمرأة، ولئلا يطمع الّذي في قلبه مرض، فلو اتخذت ستر الوجه فهو شأنها، ولكن لو لم يلزمها مرجعها بذلك، وألزمها زوجها به إرضاءً لنفسه، وقد يتساهل في أمرها بستر ما فوق كفّيها أو أمرها بستر قدميها، مثل هذا التشدّد والتصلّب لا يلتقي من الميثاق الغليظ مع الإمام عليه السلام: (آخذٌ بقولك)، هذا.

وتمتدّ بعض التصلّبات إلى الحياة الاجتماعية العامّة، فيتّخذ البعض منحى من التصلّب على أساس من تغاير مرجع التقليد، أو المباينة في الخطّ والمنهج، إلى غير ذلك من الفروقات المصطنعة، والحال أنّه يوجد جامع ينبغي على أساسه بناء العلاقات وتمتينها وتوثيقها ألا وهو الإيمان، ولكنّ المشكلة كلّ المشكلة وعلى مستوى الممارسة لم نفعّل هذا العنصر رغم إحاطتنا خُبراً به، وبمتطلّباته، وما يجب لك عليّ، وما يجب لي عليك، انظر في مثل كتاب (المؤمن) للحسين بن سعيد الأهوازيّ، وهو كتاب معدّ لما للمؤمن على أخيه بحيث إذا ما قرأته ستقول: ما الّذي لم يجعل من حقٍّ للمؤمن، على غرار (حتى ظننت أنّه سيورّثه)، وهنا لو قلتَ: سأبذل نفسي فداءً له لما كنت مبالغاً.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الأطيبين الأطهرين.

المقالة الثانية: مع إمام منصور
(شعار عاشوراء ١٤٤١ هـ)

نقرأ في زيارة عاشوراء: «**فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك**[١]، **وأن يرزقني طلب ثارك مع إمام منصور من أهل بيت محمد** صلى الله عليه وآله».

ونحن نستقبل عاشوراء الحسين صلوات الله وسلامه عليه وفي ظلّ الشعار لعاشوراء المقبل وهو (مع إمام منصور) حديثي معكم أيّها الإخوة والأخوات في ثلاث نقاط:

النّقطة الأولى: حول انتصار الحسين عليه السلام

ولن يكون حديثي في هذه النقطة حول طبيعة النّصر الحسينيّ فبعد أن لم يكن النّصر الحسيني نصراً على مستوى المعركة، بل حديثي عن انتصار الحسين عليه السلام بموجب وعد الله سبحانه، فالحسين- كما كلّ مظلوم- منصورٌ ومنتصر لا محالة، ففي بعض الروايات فيما يرجع إلى المقتول أو المظلوم «**لأنتصرنّ لك ولو بعد حين**»[٢]، والآية الكريمة أيضاً ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً**﴾ (الإسراء: ٣٣) فالذي قتل مظلوماً فإنّه لا محالة سينتصر الله له، فمرّةً ينتصر الله له على مستوى التشريع بأن يجعل لوليّه سلطاناً بحيث يقتدر وليّ الدم بموجب هذا الحكم الشرعي أن يأخذ بدم وليّه، ومرّةً أخرى -وهذا الّذي يتفق للحسين ولأبيه-

(١) أو: أن يكرمني بك.

(٢) الخصال، الصدوق، ص١٩٧.

حيث نقرأ في زيارة وارث وغيرها «**السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره**» ثارٌ يطلبه الله تعالى ويأخذ به، فالله سبحانه وتعالى ينتصر للحسين بنفسه بأدوات يهيّؤها لذلك، وهذا ما يدعونا إلى أن نلمح إلى طبيعة علاقة ثورة الحسين عليه السلام ونهضة الإمام المهدي عليه السلام وأنّ هناك نحوَ تعانقٍ من الجهتين، من جهة المهدي والإمام الحسين عليه السلام، ففي أكثر من رواية تطالعنا على أنّ الله تبارك وتعالى هو الذي ينتصر للحسين بالمهدي عليه السلام ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**بهذا انتصر منهم ولو بعد حين**»(١)، أيْ: بالإمام المهدي أنتصر للحسين من أولئك الّذين قتلوه وظلموه ولو بعد حين. وفي بعض الروايات: «**بهذا انتصر منهم لهذا**»(٢) أي بالمهدي انتصر منهم للحسين عليه السلام.

إذاً هناك انتصار للحسين عليه السلام، والقائم على هذا الانتصار هو الله تبارك وتعالى، والذي يوسّطه الله لأن ينتصر للحسين عليه السلام هو المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وفي هذه النقطة لا بدّ من الإلماح إلى:

- أنّ ثمّة من اعتدى على الحسين عليه السلام ومارس فنون التنكيل بجسده ولو بصورة غير مباشرة، كما لو كان هو الآمر كابن زياد وابن سعد.

- وثمّة من اعتدى على الحسين بصورة مباشرة بأن أوقع على جسده

(١) الغيبة، ابن أبي زينب النّعماني، ص٩٦، الباب الرابع، ح٢٦.

(٢) نفس المصدر.

الشريف ضربة سيف أو طعنة رمح وما شاكل، وما أكثر من أعمل ذلك، فالروايات التي تتحدّث عن جراحات كثيرة جدّاً، حتّى أنّ العدد يبدو لمن سمعه أنّه مبالغ فيه، ولكنّ الأئمّة عليهم السلام يتحدّثون عن هذا العدد ويؤكّدونه بقولهم: بأنّ «**الضربة على الضربة**» فما أكثر ما أوقع على الحسين من جراحات.

فإذا ثمة من اعتدى على الحسين بصورة غير مباشرة، وثمة من اعتدى عليه بصورة مباشرة.

ومن جهة أخرى يقابل هذا الاعتداء الجسدي هناك من مارس الاعتداء ولكن بصورة أخرى وهو الاعتداء على شخصية الحسين عليه السلام بأن افترى عليه، فهو وإن عدّ ضربا من ضروب الاعتداء على الحسين عليه السلام إلا أنّه من الشناعة بمكان، فنحن نقرأ في دعاء الندبة «**أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى**» فهناك من اعتدى وهناك من افترى عليه السلام، وقد عطف الافتراء على الاعتداء، وهو من عطف الخاص على العام الدالّ على أهمية الخاص كما في قوله تعالى: ﴿**فيهما فاكهة ونخل ورمّان**﴾(الرحمن: ٦٨) فالرمان من الفاكهة ولكن لما كان له مزيد خصوصية وامتياز عطف على الفاكهة. وكذلك الافتراء على الإمام الحسين عليه السلام فإنّه ضرب من ضروب الاعتداء عليه عليه السلام، إلا أنّه لشناعته ولأشدّيته ووقْعه الكبير عُطف على الاعتداء وإلا فهو من أفراده.

نعم هناك من افترى على الحسين بأن وصفه بأنّه ظالم، أو مارق عن

الدين، أو متجاوز عن الحدّ، أو أنّه يستحقّ القتل، مع علم من ألصق مثل هذه الأمور بالحسين عليه السلام بأنّ هذه الأوصاف مجانبة للواقع، ويعلم المفتري من نفسه بأنّه يمارس الافتراء!

فالبعض قد يفعل فعلته بجسده الشريف لكنّه يقول هو ابن رسول الله، وابن الإسلام الذي لم يشذ عن الإسلام، ولا عن رسول الإسلام، ولكن تدعوه نفسه وطمعه في الدنيا لأن يفعل هذا الفعل بجسد الحسين عليه السلام.

ولكن مَن يعرف مِن الحسين أنّه كذلك -ابن الإسلام وابن رسول الإسلام ولم يتخلّف عن الإسلام قيد أنملة- ومع ذلك يرميه بهذه الأوصاف ففي هذه الحالة فإنّه يعود مفترياً على الحسين عليه السلام.

وكلٌّ من المعتدي والمفتري لا محالة سيدال منهم صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف وسينتصر عليهم، وانتصاره عليه السلام عليهم وإن خرجوا من هذه الدنيا إمّا أن يكون انتصاراً عسكريّاً بعد رجعتهم في ضمن من محّض الكفر والنّفاق كما يرجع من محّض الإيمان، وإمّا أن يكون انتصاره عليه السلام عليهم بإنهاء وتقويض مشاريعهم، فهم أصحاب مشروع وهو ليس مشروعاً آنيّا بل هو مشروع يمتد ما دامت الدنيا، وهو مشروع النّفاق والكفر، ويقابله مشروع الإيمان، ولكلٍّ رجالاته وآلياته، فالمهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف يتصدّى لتقويض مشاريع أولئك فيقضي عليها، ويقصم شوكة اعتدائهم، ويهدم أبنية شركهم ونفاقهم، ويحصد فروع غيّهم وشقاقهم، ويطمس

آثار زيغهم وأهوائهم، ويقطع حبائل كذبهم وافترائهم.. هذا دور المهدي فيما يرجع إلى الانتصار للحسين عليه السلام.

فخلاصة هذه النقطة: أنّه من المؤكّدات أنّ الله تعالى سيأخذ للحسين عليه السلام بثأره، وسينتقم، وينتصر له بواسطة وليّ دمه، وهو المهدي عليه السلام، ولذا نقرأ في هذا المقطع من دعاء الندبة «أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى».

النقطة الثانية: طلب الثأر للحسين عليه السلام مع صاحب الأمر عليه السلام

طلب الثأر لدم الحسين عليه السلام ولما استحلّ منه هو أحد المشاريع الكبرى لصاحب الأمر وواحد من أدواره صلوات الله وسلامه عليه.

فإنّه مهما سعى ساعٍ ليأخذ بثأر الحسين عليه السلام فإنّه لن يدرك ثأره كلّ ثأره كما هو الحال في المختار، فهو وإن أعمل سيفه في قتلة الحسين عليه السلام إلا أنّه لم يأخذ بكلّ ثأره. ولذا فالمهدي عليه السلام هو من يأخذ بهذا الثأر بتمامه.

ومن جهة أخرى: ما من مؤمن إلا ويتمنّى أن ينجح هذا المشروع للمهدي عليه السلام، وأن يكون في ضمن ركب الآخذين بثأر الإمام الحسين عليه السلام، فأمنيّة المؤمن الكبرى أن يكون ناصراً للحسين عليه السلام كما ناصره أنصاره، طالباً بثأره عليه السلام كلّ ثأره، لذا فهو يتمنّى ذلك مع صاحب الأمر وفي ضمن ركبه، فهو المظنّة الوحيدة لذلك، وقد لُقّن المؤمن أن يقول: «**فأسأل الله الذي أكرم مقامك، وأكرمني بك أن يرزقني**

طلب ثارك مع إمام منصور من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله»[١]، وأن يقول: «**وأسأَله.. أن يرزقني طلب ثاركم (ثاري) مع إمامِ هدى (إمامٍ مهديٍّ) ظاهر ناطق بالحقّ منكم**»[٢]، فهذه أمنية كلّ مؤمن وهو مما لقّنه الأئمة صلوات الله عليهم لأوليائهم بأن يرجوا من الله تعالى أن يكونوا في ضمن من يأخذ الثأر ويكون في ضمن ركب المهدي في نصرته.

النقطة الثالثة: حول: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

نقرأ في المقطع (مع إمام منصور)

وللمعيّة أنحاء، ففيما يرجع إلى نصرة الحسين أن تكون في معسكر المهدي عليه السلام وفي ضمن ركبه صلوات الله وسلامه عليه في أخذه للثأر ممن قتله وممن رضي بقتله وبالفعل الذي أوقع عليه.

وهناك معيّة بنحو آخرى وهي التي دلّتنا عليها الآية الكريمة، وهي قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(التوبة: ١١٩) فالصادقون كما ورد في تفسيرها هم الأئمة عليهم السلام ولئن اتّصف أحدنا بالصدق فهو صدق محدود، وليس صدقاً مطلقاً كما هو الحال عند الأئمة عليهم السلام؛ حيث إنّهم لا يتخلّفون عن الصدق قولاً وفعلاً بما يساوق العصمة الإلهية لهم، لذا نقرأ في دعاء الندبة «**أين الحسن، أين الحسين، أين أبناء الحسين، صالح بعد صالح، وصادق بعد صادق**»، إذاً فقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي كونوا مع الأئمة عليهم السلام.

(١) مقطع من زيارة عاشوراء المشهورة.

(٢) المصدر نفسه.

والسؤال عن معنى هذه المعيّة؛ فهي ليست مكانية ولا زمانية، وإنّما هي معيّة طاعة، وقد أمرنا الله سبحانه- بنحوٍ مطلق وبصورة عامّة- بالطاعة للصادقين، والتمسّك بهم، والكون معهم حيث يقول: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عزّ وجلّ عليه من جهادِ عدوه، وبذلِ أنفسهم في سبيله، ونصرةِ رسوله، وإعزازِ دينه حيث يقول: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(الأحزاب: ٢٣)، فلا تكون مع الصادق من أهل البيت إلا حيث تطيعه وتأخذ عنه وتكون في فلكه.

وهذا يدعونا لأن نتعرّض إلى ثلاث معيّات مهمّة فيما يرجع إلى الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وهذه المعيّات هي معيّات بالغة الأهمية، ولئن كانت لنا تجاه غيره من المعصومين معيات وطاعات فيما أمروا وفيما نهوا إلا أنّ هذه معيّات خاصّة بالصاحب وهي مفصلية جداً:

المعيّة الأولى: الأخذ عن الفقهاء من الكون مع صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف

ففي زمن الغيبة- صغرى كانت أو كبرى بحيث ينقطع الشيعة عن إمامهم- فإنّ الأئمة لم يتركوا شيعتهم هملاً بلا مرجع، بل نصبوا لهم فقهاء يرجعون إليهم بمواصفات معيّنة، ويكون الأخذ عنهم من الكون مع الصاحب فيعدّ طاعةً له، فهي وإن كانت طاعة للفقيه إلا أنّها لما كانت طاعة ناشئة عن طاعة الصادق الخاتم، فهي طاعة وكونٌ معه في إرجاعه إلى الفقهاء بقوله عليه السلام في التوقيع الشريف المعتبر صدوره: «**وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم**

وأنا حجّة الله عليهم»[١] فرجوعنا إلى من نصبهم الصاحب وطاعتنا لهم هي بعينها طاعة للمهدي عليه السلام، وهذا يعني أن لا تأخذ إلا عنهم، فلا يسعك الأخذ عن غيرهم بعد هذا الإرجاع من الإمام إلى الفقهاء، وأنّ الإرجاع إليهم بمثابة إرجاع الأمّة من قِبَل النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام بقوله صلى الله عليه وآله في الحديث المشهور: «**أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»**[٢]، فقد أوصد النبيّ صلى الله عليه وآله به باب الرجوع إلى غير الأمير عليه السلام، حتى لا يطرق إلا بابه، فيعود الرجوع إلى غيره من إتيان البيوت من غير أبوابها.

وعندما نقول بأنّ المهدي عليه السلام أرجعنا إلى الفقهاء وألزمنا اتباع الفقيه فهذا لا يختص بموارد الفتيا والمرافعات فنأخذ عن الفقيه فيهما الحكم الشرعي العامّ والخاص بالواقعة، بل يمتدّ ذلك إلى الشأن العامّ الاجتماعي والسياسيّ، ففي عهدته وحده تحديد الوظيفة الشرعيّة فيه، وله كلمة الفصل فيه، فلا يُجاوز رأيه، ولا رأي لغيره فيه، فلا يسع أحداً أن يأخذ عن غير الفقيه.

والمعجِّب جداً من تقيّد بعضهم برأي الفقيه في أدقّ المسائل الشرعية الفرديّة كمثل ما يرتبط بالاستنجاء أو الاستبراء الذي هو مستحبّ! وكيف هو؟ وكم هو؟ وبنحو دقيق ولعلّه مبالغ فيه، وعلى أنّه من دين الله سبحانه، مع الالتزام العمليّ بمصادرةِ رأيه، فلا يصدر عنه على

(١) وسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٤٠، ب١١ من أبواب صفات القاضي، ح٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق، ج١، ص٢١١.

مستوى الشأن الاجتماعي العام، ما لكم كيف تحكمون!

المعيّة الثانية: إبطال السفارة عنه من الكون مع صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف

أن نلتزم ببطلان سفارة كلّ من ادعى السفارة عن المهدي قبل الصيحة وظهور السفياني؛ ففي التوقيع الشريف المعتبر صدوره، وهو آخر كتاب صدر من الناحية المقدّسة إلى السفير الرابع علي بن محمد السمري، فيه: «**من ادعى المشاهدة قبل ظهور السفياني والصيحة فهو كاذب مفترٍ**»[1] فحتى نعود مع المهدي عليه السلام مطيعين له لا بد من أن نبطل ما أبطله، بأن نعتقد بطلان ما أبطله، ونوافق هذا الاعتقاد على مستوى العمل.

المعيّة الثالثة: تكذيب توقيت ظهور الصاحب عليه السلام من الكون معه

فمن الأخذ عنه عليه السلام والكون معه عدم الاعتداد بتوقيت ظهوره، وتسجيل الرجم بالغيب عليه، ففي التوقيع الشريف المعروف والمعتبر صدوره عنه عليه السلام قوله: «**وأمّا ظهور الفرج فإنّه إلى الله تعالى ذكره، وكذب الوقّاتون**»[2]، وفي توقيع آخر معتبر سنده، رواه الصدوق رحمه الله في الإكمال، قال: «**حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانيّ قال: سمعت أبا عليّ محمّد بن همّام يقول: سمعت محمّد بن عثمان العمريّ قدّس الله روحه يقول: خرج توقيع بخطٍّ أعرفه: من سمّاني في مجمع من النّاس بإسمي فعليه لعنة الله، قال أبو عليّ محمّد بن همّام: وكتبت أسأله**

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٥٤٤ ح٤٤.

(٢) المصدر نفسه: ٥١٢ ح٤.

عن الفرج متى يكون؟ فخرج إلي: كذب الوقّاتون»[١].

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد نبيّه وآله وسلّم تسليما.

(١) المصدر نفسه: ٥١١ ح٣.

علىٰ حبّ الحسين يُطعمون

الشيخ علي يعقوب المعاميري

الملخّص:

يعالجُ هذا المقال بعض ما يثار حول مسألة الإطعام في المناسبات الدينية، وأبرزها ما ارتبط بإحياء ذكر الحسين عليه السلام، مسلّطاً الضوء على نظر الشارع في هذا السلوك وهو الإطعام، ثمّ خصّ الكلام في بيان وجوه الإطعام على حبّه عليه السلام، ثم ختم في ذكر عدد من التوصيات النافعة حال تطبيق هذا السلوك في مجتمعاتنا.

توطئة

دأبَ المؤمنون في مجتمعنا الموالي لأهل البيت عليهم السلام على التّفاعل مع مناسبات أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وتَميَّز هذا التفاعل في مجالس الحسين عليه السلام، لا سيّما في عشرة المحرّم الحرام، وكان -ولا زال- أهم مظاهر التفاعل هو المجلس الحسيني الذي تُحكى فيه مصائبهم عليهم السلام، ورافقه مجموعة من الممارسات التي تميّز بعضها في بعض المجتمعات الموالية دون بعضها الآخر، ومن أبرزها: «**الإطعام على حبِّ الحسين**».

وهذه الممارسة -أعني الإطعام على حبِّه عليه السلام- مِمَّا صار في مجتمعاتنا مؤخراً [عند بعضهم] محلاً للجدل والأخذ والردّ، في أصله وتفاصيله، فمثلاً: مِمَّا يُطرَح في هذه النقاشات أنّ الإطعام مجرَّد ممارسة جاءت حديثاً في السنوات العشر الأخيرة أو شبهها، وهذا ما لا نعتقد به؛ فإنّ هذه الممارسة وإن اتخذت أطواراً جديدة في العقدَين الأخيرَين إلا أنَّها ليست وليدتهما كما يتصوَّر بعض الإخوة، لكنّ كلامنا في هذا المقام لن يهتمَّ بهذا البُعد التاريخي ويفصِّل فيه، بل نركِّز إن شاء الله على نقاطٍ ثلاث:

- سلوك «الإطعام» في نظر الشرع.
- وجوه الإطعام على حب الحسين عليه السلام.
- تواصٍ في التطبيقات.

سلوك الإطعام في نظر الشرع

البذل خصلةٌ حميدة ذات بُعْد قِيَمي لا يخفى حُسنُه على أحد في أيٍّ من المجتمعات البشرية، وحينما جاء الإسلام أكَّد على حُسنِها ورجحانها.

والإطعامُ -كما لا يخفى- هو أحد مصاديق البذل، لكنّ الإسلام لم يكتفِ بالتأكيد على حُسن البذل والحثّ عليه فحسب، بل خصَّ -أيضاً- عنوان «**الإطعام**» بالمدح والحثّ، فقال الله ﷻ عند امتداحه أهل الرسالة (صلوات الله عليهم): ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾(الإنسان: ٨-٩)، واستفاضت الروايات عنهم (صلوات الله عليهم) بالمدح والحث أيضاً، فمِمَّا جاء عنهم في ذلك ما رواه الصدوق (رحمه الله) بسنده عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**خيركم من أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلَّى والناس نيام**»[1]، وما رواه الكليني (رحمه الله) بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «**المنجياتُ: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**»[2].

ولم يقتصر الحثّ على عنوان إطعام الطعام لسدّ جوع الجائع أو إطعام المؤمن أو الإطعام إكراماً للضيف وما أشبه ذلك، بل توزّع على هذه العناوين وحتى على أصل الإطعام.

---

(١) الخصال، ب الثلاثة، خير الناس ثلاثة، ح٣٢، ص١١٧ [ط٩ مؤسسة النشر الإسلامي].

(٢) الكافي، ج٧، ك الزكاة، ب٨٥ فضل إطعام الطعام، ح٥(٦١٩٩)، ص٣٣٢-٣٣٣ [ط٣ دار الحديث].

والاهتمام بخصلةٍ تنال هذا المدح ليس شيئاً عبثياً -كما يظنّ بعض الإخوة، وإن كان الاهتمام بغيرها مطلوباً أيضاً، بل الاهتمام ببعض الأمور الأخرى -كعقائد المؤمنين وفِكرهم- أهم وأولى، إلا أنَّ الجمعَ غير ممتنعٍ هنا.

وجوه الإطعام على حبّ الحسين عليه السلام

ونحن هنا لا نتحدَّث عن أصل عنوان «**الإطعام**» فحسب وإن كان حسناً في نفسه، بل نتحدَّث عن «**الإطعام على حبّ الحسين** عليه السلام»، والممارسة المنضوية تحت هذا العنوان وإن تميَّزت بنحوٍ خاص في بعض مجتمعاتنا الموالية -كالمجتمع البحراني والعراقي- دون غيرها من المجتمعات الموالية إلاَّ أنَّ لها خلفيات ووجوه لا تختصُّ بمجتمعٍ دون آخر، يتَّضح ذلك من خلال الالتفات إلى وجوه «الإطعام على حبّ الحسين عليه السلام»، وأبرزها:

■ **الأول: التأسّي بالسجاد عليه السلام**

روى المُحدِّث أحمد بن محمد بن خالد البرقي رحمه الله في كتاب المآكل من كتابه المحاسن ضمن باب «**الإطعام في المأتم**» بسنده عن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: "**لمَّا قُتِلَ الحسين بن عليٍ عليه السلام، لَبَسْنَ نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكُنَّ لا يشتكِيْنَ من حرٍّ ولا بَردٍ، وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهن الطعام للمأتم**"[(١)].

فاستمدَّ الكثير من المؤمنين سيرتهم في ذلك مِمَّا روي عن حال الإمام

(١) المحاسن، ج٢، ك المآكل، ب٢٥ الإطعام في المأتم، ح٢٠٠(١٥٦٤)، ص١٩٥ [ط٣ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام].

السجاد؛ تأسياً به (صلوات الله عليه).

■ الثاني: التقوّي على المصيبة

لَمَّا كان إحياءُ ذكرهم وذكر مصيبتهم والبكاء عليهم (صلوات الله عليهم) أمراً راجحاً حثَّ عليه الهداة (صلوات الله عليهم)، كان التقوّي عليه -هو الآخر- أمراً مطلوباً راجحاً، ولمّا كان الإطعام وتناول الطعام مِمَّا يقع في هذا السبيل، كان من الطبيعي أن يوليه المؤمنون اهتمامهم.

ويرشد إلى ذلك ما رواه الكليني رحمه الله في أبواب التاريخ من الكافي بسنده عن مصقلة الطحّان، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**لما قُتِلَ الحسين عليه السلام، أقامت امرأته الكلبية عليه مأتماً، وبكت وبكيْنَ النّساء والخدم حتى جفَّت دموعهن وذهبت، فبينا هي كذلك [إذ] رأت جاريةً من جواريها تبكي ودموعها تسيل، فدعتها، فقالت لها: ما لكِ أنتِ من بيننا تسيل دموعك؟ قالت: إنّي لمّا أصابني الجهْد شربت شربة سويق. قال: فأمرت بالطعام والأسوقة، فأكلت وشربت وأطعمَت وسقت، وقالت: إنّما نريد بذلك أن نتقوَّى على البكاء على الحسين عليه السلام**»[١].

وشأن الكثير من المؤمنين في ذلك شأن امرأة الحسين عليه السلام الكلبية وجواريها والنساء اللواتي معها -والكلبية هي الرباب بنت امرئ القيس (رضوان الله عليها)، أم الرضيع- يتقوَّون بالطعام على إحياء مصائبهم (صلوات الله عليهم).

(١) الكافي، ج٢، ك الحجة، أبواب التاريخ، ب١١٦ مولد الحسين بن علي، ح٩(١٢٦٨)، ص٥١١.

■ **الثالث: تفرّغ المؤمن لإحياء مصابهم عليهم السلام**

لا يخفى أنّ تكفُّل مجموعةٍ من المؤمنين بإعداد الطعام لبقية المؤمنين مِمَّا يعين على جعل الفرصة متاحةً أكثر لأوسع شريحة من بقية المؤمنين لحضور مجالسهم عليهم السلام وإحياء مصائبهم أو لتفرُّغهم للإحياء.

ويتَّضح ذلك ويتبيَّن أكثر حينما يكون حديثنا عن يوم العاشر؛ إذ قد روى الصدوق رحمه الله بسندٍ معتبرٍ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: «**مَن ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء، قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومَن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه، جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرَّت بنا في الجنان عينه...**»(١)، فالمُستفاد من كلام الإمام عليه السلام الدعوة للتفرُّغ للمصاب في هذا اليوم العظيم على محمَّدٍ وآل محمد، ولا يضرُّ بمحلّ الشاهد استحبابُ الإمساك حتى ما بعد الظهيرة أو العصر.

■ **الرابع: كوننا زيناً لهم عليهم السلام**

إنّ أيَّ خصلةٍ ظاهرةٍ تبرز في أتباعِ محمدٍ وآل محمد من شأنها -وإن لم نقصد- أن تعكس صورةً وتعطي انطباعاً عند الآخر عن طبيعة تعاليم محمدٍ وآل محمدٍ وأثرها في أتباعهم، وبالتالي يتولّد للآخر جذبٌ أو نفور، مع قطع النّظر عن صحة هذا الانطباع أو عدمه، وقد يرشد إلى الالتزام بمؤدَّى ذلك ما رواه المفيد رحمه الله عنهم عليهم السلام: «**كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، حبِّبونا إلى النّاس ولا تُبَغِّضونا إليهم، جرُّوا إلينا كلَّ مودَّةٍ**

(١) الأمالي، الصدوق، المجلس ٢٧، ح٤(٢٠١)، ص١٩١ [ط٢ مؤسسة البعثة].

وادفعوا عنَّا كلَّ قبيح، فما قيل فينا من خيرٍ، فنحن أهله، وما قيل فينا من شرٍّ، فوالله ما نحن كذلك...»[(١)].

وممارسة «**الإطعام**» لا تشُذُّ عن ذلك، فهي من الخصال الحسنة التي تعكس انطباعاً إيجابياً عند الآخر عن أتباع محمَّدٍ وآل محمد، وارتباطُه بالحسين عليه السلام يؤكِّد للآخر ارتباط هذه الخصلة بهذا الانتماء والارتباط المُقدَّس، لا سيَّما حينما يشمل الإطعام الآخرَ من مقيمين في بلداننا أو زوارٍ لها أو سامعين عن أحوالها، وهذا ما شهدنا أثره على سلوك الآخرين نحونا وهو ما صرَّحت به ألسنتهم.

تواصٍ في التطبيق

إنّ مبدأ التواصي مِمَّا دعا الله المؤمنين له وحثَّهم عليه، فقال (سبحانه): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(العصر: ٢-٣)، وكَون عملٍ ما حسناً لا يُغني عن التواصي حياله، لأدائه كما يحب الله ويرضى، أو لأدائه بأكمل صورةٍ وحفظه عمَّا قد يشوِّش ملامح جماله، ومِمَّا يجدر التواصي بشأنه في الإطعام على حبِّ الحسين عليه السلام:

١. عدم تنافر الطعام مع حال الحزن

لعلَّ من الواضح عدم لياقة ممارسة ما يتنافى وحال الحزن في حضرة

(١) الحكايات، ١٠ من أحاديث أهل البيت عليهم السلام في الوصية بالورع والعمل والشكر، ح٢، ص٩٣ [ط٢ دار المفيد (ضمن ج١٠ من موسوعة المفيد)].

أهل المصاب كإقامة مجالس العرس وإبراز مظاهر الفرح وما جرى مجرى ذلك، وكلّما اشتدَّ الحزن والمصاب، كان عدم اللياقة أوضح وأجلى، ولعلّ حدود ما لا يليق -حينها- تتسع أيضاً -نسبةً للمصاب الأخفّ نسبياً-، ومن ذلك مسألة الطعام الذي يُقَدَّم في مصائبهم (صلوات الله عليهم)؛ فإنّ هنالك ألواناً من الأطعمة تتنافر وحال الحزن، بل إنّما توضَع وتُوَزَّع تعبيراً عن الفرح أو في حال السرور والانبساط، أو تكون هي سبباً لإدخال الفرح على مَن تُقَدَّم له، ومن أبرزها وأجلاها في مجتمعاتنا أطباق الحلوى بشتّى أصنافها.

ويرشد إلى ذلك ما رواه الصدوق وابن قولويه رحمهما الله بعدّة طرقٍ -وفيها المعتبر- عن علي بن الحكم، عن بعض أصحابنا، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**بلغني أنَّ قوماً إذا زاروا الحسين بن علي عليه السلام، حملوا معهم السُّفَر فيها الجداء -وفي بعض النّسخ: الحلواء- والخبيصة وأشباهه، لو زاروا قبور أحبائهم ما حملوا ذلك**»[1]. إذ حمل الحلواء -وشبهها- لا يتناسب مع حالة الحزن المندوب لها في زيارة الحسين عليه السلام، ولعلَّ ذلك يزيد وضوحاً بما نبَّه به عليه السلام في ذيل الحديث.

وأوضح منه ما ورد في رواية مصقلة الطحّان عن الصادق عليه السلام

(١) رواه الصدوق في: من لا يحضره الفقيه: ج٢، [الحج]، ب١٧٠ السفر الذي يكره فيه اتخاذ السفرة، ص٢٨١ [ط٥ مؤسسة النشر الإسلامي]. وثواب الأعمال: [الزيارات]، ثواب من زار قبر الحسين عليه السلام، ح٢٣، ص١١٥ [ط مكتبة الصدوق]. ورواه ابن قولَويه في: كامل الزيارات: ب٤٧ ما يكره اتخاذه لزيارة الحسين بن علي عليه السلام، ح١(٣٦٨)، ص٢٧٢ وح٣(٣٧٠)، ص٢٨٣ [ط١ دار الحجة (عجل الله فرجه)].

-المتقدِّم ذكرها-؛ إذ قال عليه السلام: «**وأُهدي إلى الكلبية جُونٌ -وهو نوعٌ من الطيور- لتستعين بها على مأتم الحسين عليه السلام، فلمَّا رأت الجون قالت: ما هذه؟ قالوا: هديةٌ أهداها فلانٌ لتستعيني على مأتم الحسين عليه السلام. فقالت: لسنا في عرسٍ، فما نصنع بها؟! ثم أمرت بهنّ فأُخرِجنَ من الدار، فلمّا أُخرِجنَ من الدار، لم يُحَسّ لها حِسٌ كأنَّما طِرن بين السماء والأرض، ولم يُرَ لَهُنَّ بها بعد خروجهن من الدار أثر**»[1]. فإنّه لمَّا كان إطعام هذا الطير مناسباً لمجالس الفرح والسرور كالأعراس، لم تقبله (رضوان الله عليها) لإعداده وإطعامَه في مأتم الحسين عليه السلام.

نعم، من المحتمل حصول اختلاف في تفاصيل ذلك بنحوٍ يساهم في توسعة وتضييق دائرة الطعام والإطعام الذي لا يناسب في مصائبهم، مثل أن يحصل الاختلاف في بعض أنواع الأطعمة -بحسب العرف- بين مجتمعٍ وآخر، فيكون الطعام الفلاني من أطعمة السرور في مجتمع ومن أطعمة العزاء في مجتمعٍ آخر.

٢. الحذر من الإسراف

ومِمَّا يجدر بنا التواصي حياله والحذر منه كذلك الإسراف في الطعام، قال الله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأعراف: ٣١)، وهو مِمَّا لا ينبغي الرّيب والشك في لزوم الحذر منه؛ إذ الآية والرواية في شأن ذلك صريحة، وفتاوى الفقهاء بيِّنةٌ

---

(١) الكافي، ج٢، ك الحجة، أبواب التاريخ، ب١١٦ مولد الحسين بن علي، ح٩(١٢٦٨)، ص٥١٢.

واضحة، ولكن رغم ذلك، حصلت الشبهة عند بعض الإخوة جرّاء توهُّمٍ من ظاهر بعض النّصوص، فأُشكِل بنصَّين:

■ **أما الأول، فقوله (تعالى):** ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾(هود: ٦٩).

ووجه الإشكال أنّ النبي إبراهيم عليه السلام قد قدَّم لضيوفه عجلاً رغم أنّ عدد الضيوف الذين كانوا على هيئة بشر -وهم في الواقع ملائكة- كان لا يتجاوز الأحد عشر -على أقصى احتمالٍ ذكره المفسرون(١)-، والعجل يزيد عن الحاجة الطبيعية لأحد عشر رجلاً أو غلاماً، ولو كان ذلك مبغوضاً عند الله لما فعله النبي عليه السلام، فلا جرَم في الإسراف في الإطعام ولا حرج.

وهذا غير ناهض؛ إذ الآية النّاهية صريحة في المطلوب، وآية إبراهيم عليه السلام غير ظاهرةٍ فيه أصلاً، بل ساكتةٌ عنه، فذبح العجل وتقديمه للطعام أعمّ من اختصاص الإطعام بالضيوف، نعم داعي ذبحه وتقديمه هو مجيء الضيوف، وهذا لا يمنع من تقديمه لغيرهم أيضاً، كما هو جارٍ عند بعض العرب حتى هذه اللحظة، إذ يذبحون الذبيحة على شرف الضيف الفلاني، لكن يتمّ إطعام مجموعة من الناس سوى هذا الضيف أيضاً، سواء بدعوتهم معه، أو تقديم الطعام لهم

---

(١) راجع: مجمع البيان: ج٥، سورة هود، الآيات ٦٩-٧٦، المعنى ص١٧٩ [ط كتابفروشي إسلامية]. والكشّاف: ج٢، سورة هود، الآيات ٦٩-٧٣، ص٤٠٩ [ط١ مكتب الإعلام الإسلامي].

لاحقاً أو غير ذلك.

▪ **أما الثاني، فهو ما روي بإسنادٍ معتبرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام من أنّه قال: «ليس في الطعام سرف»(١).**

ووجه الإشكال أنّ نفي الإمام عليه السلام إما يُستفاد منه أنّ حكم خصوص ما يحصل من سرف في الطعام ليس كحكم عموم السرف، أي ليس به بأس كسواه، أو نفي انطباق مفهوم السرف على ما يحصل في شأن الطعام.

وهذا منقوض بالنّهي عن السرف في الطعام صريحاً سواء بدلالة مباشرة أو غير مباشرة، فمن هذا النهي:

- ما في الآية المتقدِّمة إذ قال (تعالى): ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١).

- ومنه ما روي بسندَين معتبرَين -ظاهراً- عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال -واللفظ من الكافي-: «**أدنى الإسراف: هراقة فضل الإناء، وابتذال ثوب الصَّون، وإلقاء النّوى**»(٢). إهراقك المتبقي في إناء طعامك إسراف، فما ظنّك بما يتجاوزه؟

بل كذا ورد عنهم (صلوات الله عليهم) النهي حتى عن ملء البطن.

---

(١) الكافي: ج١٢، ك الأطعمة، ب٣٣ في التقدير وأن الطعام لا حساب له، ح٤(١١٦١٠)، ص٣٢٣.

(٢) الكافي: ج١٣، ك الزي والتجمّل والمروءة ب١٤ لُبس الخلقان، ح١(١٢٥٣٤)، ص٦٢. من لا يحضره الفقيه: ج٣، ك المعيشة، ب٣٧٢ المعايش والمكاسب... ، ح١٦(٣٦٢٩)، ص١٦٧. وورد عن غير إسحاق عن الصادق عليه السلام أيضًا.

وأما وجه الرواية النافية للسرف عن الطعام -في ظاهرها-، فالظاهر أنّها في سياق نفي دعوى أنّ التكلفة العالية للطعام -المناسبة لحال الباذل والمنفق وجهة النفقة- تأخذ حكم السرف، ويمكن أن يشهد لذلك:

- ما تقدَّم من نهيٍ عن السرف في الطعام؛ فإنّه لو كان السرف منتفياً في شأن الطعام، لما كان للنهي عنه معنىً مُحَصَّل.

- وما ورد من روايات تُشير إلى أنّ السرف -عموماً- إنّما يكون في ما يفسد البدن أو المال، ومنها ما رواه الكليني رحمه الله بسندٍ معتبرٍ عن إسحاق بن عبد العزيز، قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن التدلُّك بالدقيق بعد النّورة، فقال: «**لا بأس**». قلت: يزعمون أنّه إسراف. فقال: «**ليس في ما أصلح البدن إسراف، وإنّي ربما أمرت بالنقي، فيُلَتُّ لي بالزيت، فأتدلَّك به، إنّما الإسراف في ما أتلف المال وأضرَّ بالبدن**»[1].

- وما ورد من روايات تشير لوجود هذه الدعاوى وتعقيب الأئمة عليهم السلام عليها، ومنها الرواية السالفة الذكر؛ إذ قال السائل: **قلت: يزعمون أنّه إسراف**[2].

فالأقرب الظاهر بملاحظة مجموع هذه الشواهد هو ما ذكرناه.

فإن قيل: فلِمَ إذًا خُصَّ ذلك بالطعام دون سواه في رواية شهاب بن عبد ربه؟

---

(١) الكافي، ج١٣، ك الزي والتجمُّل والمروءة، ب٤٣ الحمَّام، ح١٤ (١٢٧٧٧)، ص١٦١-١٦٢. وورد بطرقٍ أخرى مع اختلافاتٍ يسيرة.

(٢) المصدر السابق.

قلنا: هذه الرواية بعينها تعرَّضت للطعام، وغيرها تعرَّض لغيرها كالثياب والطيب، بل كان لسان العموم في بعضها ظاهراً بيِّناً رغم كون مورد السؤال أو الحديث عمّا يرتبط ببعض هذه الأصناف.

وإن لم يُسلَّم بهذا الوجه، فلا أقل من كَون النهي من المحكمات الواضحة -قرآناً وسنّة-، واستفادة ذلك الوجه من رواية ابن عبد ربه من المتشابهات، وليس من شأن المؤمن اتباع المتشابهات والركون إليها.

والحمد لله رب العالمين.

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

القصص القرآنيّة حقائق واقعة

(نقد فكرة وجود الأساطير والقصص الخياليّة في القرآن)

الشيخ عبد الرؤوف حسن الربيع

الملخّص:

تعرّض الكاتب في مقالته إلى شبهة أحد الأدباء المعاصرين في القصص القرآنيّة، فبيّن مدّعاه وهو أنّ القرآن لا يجب أن يأتي بالقصص الصّادقة، وأنّها من نسج الخيال بالاستعانة بخرافات النّاس، ثمّ أشار إلى بعض الآثار الخطيرة المترتبة على هذه الدّعوة الّتي من أبرزها تكذيب النّاس للقرآن الكريم، ثمّ وقف على أدلّة صاحب الدّعوى وناقشها دليلاً بعد آخر، وبيّن ما فيها من مغالطات وما يلزم بفسادها.

المقدّمة

تعدّ القصّة وذكر أحوال الأمم السّالفة من العناصر المهمّة الّتي يتشكّل منها القرآن الكريم، ويُنطلق منها لتبليغ المفاهيم الدّينيّة وأسس الهداية والمواعظ الحسنة، بأسلوب بليغ ومربٍّ وسريع النّفاذ والتّأثير في القلوب، وما ذاك إلّا لاحتوائها -بالإضافة إلى الهادفيّة- على سمة التّحقّق والوقوع الّتي تجعل ارتباط المستمعين معها بأعلى مستوى من التّفاعل والوثوق والتّصديق، وهي واحدة من مميّزات الكلام الإلهيّ، الّذي لا يضاهى في المنزلة والصّيانة والقدرة والأداء والأمانة: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ (الجاثية: ٢٩)، بيد أنّه -وبالرّغم من وضوح هذا الأمر والتّسالم عليه من قبل عامّة علماء الإسلام- قد ظهرت بعض الأفكار الّتي تصرّح بعدم ضرورة اتّصاف القصص القرآنيّة بالصّدق والتّحقّق، وأنّ الصّبغة الغالبة عليها أنّها أمثال وخيالات، لتقريب الأفكار إلى الأذهان والسّيطرة على عواطف النّاس ومشاعرهم، وأنّ هذا الأسلوب يعدّ من الأنماط الفنّيّة الأدبيّة، الّتي يتعمّدها القرآن في إيصال أغراضه، حتّى لو أدّى به الحال إلى التّأثّر بالأساطير المبثوثة لدى أبناء العصر الجاهليّ الّذي نزل في أوساطهم، ورائد هذه الآراء الشاذّة هو الدّكتور محمّد أحمد خلف الله المصريّ(١) الّذي كان يقول في أطروحته الّتي أصبحت كتاباً

---

(١) د. محمّد أحمد خلف الله (١٩٠٤-١٩٨٣)، أديب مصريّ وعالم باللغة العربيّة، تخرّج في مدرسة دار العلوم العليا ١٩٢٨، ثمّ درس الفلسفة وعلم النّفس بجامعة لندن وعاد إلى مصر ليشتغل بالتّعليم، وتدرّج في المناصب الجامعيّة حتّى صار رئيساً لقسم اللغة العربيّة بكلّيّة الآداب بجامعة الإسكندريّة ١٩٤٧ فعميداً للكلّيّة١٩٥١ ثمّ وكيلاً لجامعة عين شمس١٩١٦ . وبعد بلوغه=

مثيراً للجدل بعد ذلك: **"فإنّا لا نتحرّج من القول بأنّ في القرآن أساطير، لأنّا في ذلك لا نقول قولاً يعارض نصّاً من نصوص القرآن"**(١).

ونظراً لخطورة هذا المدّعى، وفداحة هذه الأفكار، وتناغمها إلى حدّ كبير مع ما يروّجه المستشرقون حول القرآن، من مطاعن ونقوض(٢)، يصبح من اللازم الوقوف على حيثيّات وأبعاد المسألة، وتقييم ونقد المباني الّتي ارتكزت عليها، وسيكون محور الحديث منصبّاً بالدّرجة الأساس على مناقشة أقوال الدكتور وذلك ضمن المطالب التّالية.

أوّلاً: المراد من القصّة الواقعيّة والقصّة الخياليّة والأساطير

القصّة مأخوذة من مادّة قَصَصَ وهو التتبّع، فاقتصّ أثره بمعنى تتبّعه(٣)، والقصّ هو البيان والإخبار(٤)، والقصّة رواية لما هو واقعٌ(٥).

=سنّ التّقاعد عيّن مديراً لمعهد البحوث والدّراسات العربيّة التّابع لجامعة الدول العربيّة... [راجع: موقع الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا): ar.wikipedia.org].

(١) الفنّ القصصّي في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص٢٠٧.

(٢) يوجد قاسم مشترك بين بعض أفكار الدكتور وبين أفكار المستشرقين، منها تأثر القرآن بما لدى العرب وذكره للأساطير، وأنّ العبرة في القصص في مضمونها لا في سردها ووقوعها، وغير ذلك ممّا يمكن ملاحظته أكثر في تضاعيف البحث. انظر: قضايا قرآنيّة في الموسوعة البريطانيّة، لـفضل حسن عبّاس، ص٥٩؛ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، عمر بن إبراهيم رضوان، ج٢، ص٦٠٢.

(٣) الصّحاح (تاج اللغة وصحاح العربيّة)، الجوهريّ، ج٣، ص: ١٠٥١؛ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٥، ص١١.

(٤) مجمع البحرين، الشّيخ الطّريحيّ، ج٤، ص١٧٩.

(٥) التّحقيق في كلمات القرآن الكريم، السّيّد المصطفويّ، ج٩، ص٢٧٥.

ويراد منها هنا القصص القرآنيّة الّتي تذكر شطراً من حياة الأمم السّابقة والأنبياء عليهم السلام وحواراتهم ومواقفهم.

والقصص الواقعيّة هي الثّابتة الّتي حصل مضمونها(١)، وتقابلها القصص الخياليّة، وهي الّتي تصوّر على هيئة الجارية والحاصلة وإن لم تجرِ، حالها من حيث التّشبّه والتلوّن كحال ما يشاهَد في المنامات(٢).

نعم، قد يقال إنّ أصل القصّة هو حكاية لما هو واقعٌ واستعمالها في غير ذلك يكون من باب التّجوّز، بمعنى أنّه أخذ في مفهومها الوقوع، ويمكن استفادة ذلك من نفس معنى التّتبّع الّذي هو اقتفاء للأثر، أيّ الّذي حدث وجرى، ومنه جاء معنى القِصاص، يقول ابن فارس: **"ومن ذلك اشتقاقُ القِصاص في الجِراح، وذلك أنَّه يُفعَل بهِ مثلُ فِعلِه بالأوّل، فكأنَّه اقتصَّ أثره. ومن الباب القِصَّة والقَصَص، كلُّ ذلك يُتَتبَّع فيذكر"**(٣).

ويقول الجوهريّ: **"قد اقْتَصَصْتُ الحديثَ: رويتُه على وجهه"**(٤)، ولربما إلى هذا يشير العلّامة المصطفويّ رحمه الله: **"والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو رواية واقعة جارية مضبوطة بأيّ وسيلة كانت، قراءةً أو سماعاً،**

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الرّاغب الأصفهانيّ، ص٨٨٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢، ص٢٣٥؛ مفردات ألفاظ القرآن، الرّاغب الأصفهانيّ، ص٣٠٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٥، ص١١.

(٤) الصّحاح (تاج اللغة وصحاح العربيّة)، الجوهريّ، ج٣، ص: ١٠٥١.

على ما طابق الواقع"[١].

وأما الأساطير فهي جمعٌ لأسطورة، وهي الحديث الباطل المفتعل، يقول الخليل: "ويقال: سطّر فلان علينا تسطيراً إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل. والواحد من الأساطير إسطارة وأسطورة، (وهي) أحاديث لا نظام لها بشيء. ويسطّر معناه يؤلّف ولا أصل له"[٢].

ثانياً: خلاصة آراء الدكتور حول القصص القرآنيّة

ارتأى الدكتور -بحسب ذوقه- أنّ القصص القرآنيّة على ثلاثة ألوان، وهي[٣]:

١. اللون التّاريخيّ: ويعني به المرتبط بالشّخصيّات التّاريخيّة، كالأنبياء والمرسلين عليهم السلام نظير قوله تعالى حكاية عن قصّة لوط عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾(هود: ٧٧).

ويعتقد أنّ أصل القصّة في هذا اللون متحقّق تاريخيّاً، ولكن طبيعة العرض القرآنيّ لأحداثها لا ينظر إلى المجريات وتفاصيلها وتسلسلها المنطقيّ أساساً بقدر ما يرتكز وينصبّ على الأسلوب الفنّيّ والأدبيّ الرفيع في البيان الّذي يجتذب الأفئدة ويؤثّر على النّفوس، وكأنّ هذا

(١) التّحقيق في كلمات القرآن الكريم، السّيّد المصطفويّ، ج٩، ص٢٧٥.
(٢) كتاب العين، الخليل الفراهيديّ، ج٧، ص٢١٠.
(٣) الفنّ القصصّي في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص١٥٢.

هو المهمّ والهدف من القصص بنحوٍ عامّ وليس الصدق فيها من عدمه، يقول في هذا الإطار:

"يأخذ القرآن مواد القصص فيه (اللون التّاريخيّ) من أحداث التّاريخ ووقائعه لكنّه يعرضها عرضاً أدبيّاً ويسوقها سوقاً عاطفيّاً، يبيّن المعاني ويؤيّد الأغراض ويؤثّر بها التّأثير الّذي يجعل وقعها على الأنفس وقعاً استهوائيّاً خطابيّاً يستثير منها العاطفة والوجدان"(١).

"القصّة التّاريخيّة ليست عرضاً تاريخيّاً تطلب فيه المطابقة الواقعيّة المحقّقة للصّدق العقليّ... وانتهينا إلى أنّ القصّة التّاريخيّة في القرآن قصّة أدبيّة يقصد منها غير ما يقصد من التّاريخ"(٢).

ويرى أنّ القرآن يجيز لنفسه أن ينقل القصص التّاريخيّة بالخلفيّة المنطبعة عند النّاس المخاطبين حفاظاً على التّأثير في نفوسهم وانسجاماً مع التفنّن الأدبيّ: **"على أنّا نستطيع أن نمعن في الدّلالة على أنّ القصّة التّاريخيّة في القرآن قصّة أدبيّة يعتمد فيها القرآن على تصوير الأحداث كما يعتقدها المخاطبون، وهو الأمر الذي أجازه بعض القدماء، بل رآه بعضهم أمراً لا بدّ من القول به ليسلم القرآن من المطاعن ويستقيم الأسلوب الأدبيّ في قصص القرآن الكريم"**(٣).

(١) الفنّ القصصّي في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص١٥٦.

(٢) المصدر السّابق، ص١٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧٢.

٢. **اللون التّمثيليّ**: ويريد به ما يحتوي المثال والفرض والخيال، أي: **"العمل الأدبيّ الذي يكون نتيجة تخيّل القاص لحوادث وقعت من بطلٍ لا وجود له، أو من بطلٍ له وجود ولكن الأحداث الّتي ألمّت به لم تقع أصلاً"**[١].

وحينئذٍ: **"لا يلزم أن تكون أحداثه من الحقائق، فقد يكتفى فيه بالفرضيّات والمتخيّلات»**[٢]، **بل المتعينّ لديه أنهّا من نسج الخيال: «لن نجد من يعارض في وجود القصّة التّمثيليّة في القرآن الكريم وأنهّا وليدة الخيال"**[٣].

ومن أمثلة هذا اللون الّتي ذكرها قصّة نبيّ الله عزير عليه السلام: ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ...**﴾[٤] (البقرة: ٢٥٩).

٣. **اللون الأسطوريّ**: وقد عرّفه باللون الّذي يستعين به القرآن في تفسير غاية أو ظاهرة معيّنة بالأساطير المحكيّة لدى النّاس فيضمّنها الآيات كأداةٍ ووسيلة لتحقيق ذلك، وبهذا تصبح الأساطير أحد الموادّ الأدبيّة الّتي تتشكّل منها القصص في القرآن[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٤) الفنّ القصصّي في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص١٩٢.

(٥) المصدر السّابق، ص١٥٣.

ثالثاً: الآثار المترتّبة على هذه الآراء

إنّ من أجلى وأوضح النّتائج الّتي تترشّح من الاعتقاد بهذه الأفكار هو ضمور التّفاعل الحيّ والصّادق بين القارئ وهذه القصص، بل مع جميع آيات القرآن بنحوٍ عامّ؛ لأنّ القرآن بالنّسبة إلى المسلم هو الدّستور والخطاب الإلهيّ المعصوم والمعجز الّذي لا يقاس بغيره، ويمثّل النّصّ المقدّس الّذي يجزم بحقّانيّته وصدقه ومطابقة آياته للواقع، وبسبب شدّة استيثاقه به وبالخالق الّذي أرسله يقبل أن يستقي منه الأحكام والحجج، ويستلهم منه ومن قصصه المواعظ والدّروس والعبر، ويقتدي بالشّخصيّات العظيمة المذكورة في ثناياه، أمّا لو تزلزل هذا الوثوق وتزعزع مستوى هذا الاعتقاد، فالنّتيجة الحتميّة لذلك هي ضعف التّصديق بالقرآن وبمرجعيّته في حياة وسلوك الإنسان وصلاحيّته في إدارة شؤونه، ومن الواضح أنّ مسايرة آراء الدكتور كفيلة في عدم التّفاعل الحقيقيّ والجدّيّ مع المجريات التّاريخيّة والقصصيّة في القرآن، وفي الإحساس بعدم قابليّتها للانطباق التّامّ على الواقع المعاش، وبعبارة صريحة: إذا أحسّ المسلم باضطرابٍ وريبةٍ تجاه القصص القرآنيّة الّتي تمثّل بعضاً من القرآن فسوف يرتاب ويفقد الثّقة في القرآن كلّه.

ثمّ إنّ هذه الأفكار تنسجم كثيراً مع النّظريّة الّتي يذهب إليها الفريق الواسع من المستشرقين وبعض المنفتحين بأنّ القرآن الكريم قد تأثّر

بالثّقافة والبيئة الّتي ظهر فيها[١]، حتّى صار يستعمل أمثلة الجاهليّين العرب وآدابهم ورسومهم وأساليب قصصهم وحكايات أساطيرهم، ولا يخفى أنّ هذا الرّأي العليل أحد أبرز لوازمه هو القول ببشريّة القرآن وعدم إعجازه، وأنّه مؤطّر بالزّمن الّذي نزل فيه، ولم يعد صالحاً لهذا العصر، وهو لازمٌ خطيرٌ وهدّامٌ ولا يبقي للقرآن وزناً، ويدعو صراحاً إلى هجر التّعامل والتّعاطي الإيجابيّ معه.

رابعاً: - مستندات الدكتور حول آرائه ونقدها

أ. مستنده حول رأيه في اللون التّاريخيّ:

عمد الدكتور في هذا اللون على التّركيب بين مجموعة من الأفكار اعتبرها مستنداً ودليلاً على رأيه، وأوّلها: أنّ القرآن تخلّى عن ذكر الكثير من التّفصيلات التّاريخيّة مما يعني عدوله عن قصد النّقل التّاريخيّ، ففي قوله تعالى -مثلاً- حكاية عن قصّة قوم عاد: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر: ١٨-٢١) لم يذكر لنا القرآن شيئاً عن صفة عاد أو بيوتها أو ما دار بين قومها وبين نبيّ الله هود عليه السلام[٢].

وثانيها: أنّ سرد القصّة وطبيعة ما يذكر فيها لا يتوقّف أساساً على السّير التّاريخيّ، وإنّما يعتمد على مناسبتها للأغراض البلاغيّة المؤثّرة،

(١) انظر مثلًا: قرآن وفرهنگ زمانه، السّيّد محمّد علي أيازيّ، ص١٠٥.

(٢) الفنّ القصصّي في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص١٥٤-١٥٥.

فقضيّة أحداث الطّوفان مع نبيّ الله نوح عليه السلام -مثلاً- رغم كونها مفصلاً مهمّاً في قصّته، وتعدّ زاخرة بالمواقف، لم يُشِر القرآن إليها إلّا بمقدار الآية والآيتين، ونحو ذلك ممّا يدخل في الغرض والمقصد المرجوّ بيانه من الآية.

يقول: "**... المقاصد والأغراض هي الّتي تدفع إلى ذكر بعض الأحداث وحذف بعضها الآخر،... وإنّ هذا الاختيار إنّما يقوم على الاعتبارات البلاغيّة الأدبيّة الّتي نردّها إلى منطق العاطفة لا إلى منطق النّظر العقليّ**"(١).

وثالثها: وجود الاختلاف أحياناً في ترتيب الأحداث في القصص من سورة إلى أخرى، وهو الّذي جعل المفسّرين يختلفون ويتحيّرون في كيفيّة التّوفيق بين مجرياتها والتّوحيد بينها(٢).

ورابعها: تصوير القرآن للأحداث كما يعتقدها المخاطبون، وأنّ هذا الأمر لابدّ من الالتزام به "**ليسلم القرآن من المطاعن ويستقيم الأسلوب الأدبيّ**"(٣).

وكشاهد على ذلك ذكر أنّ القرآن في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾(الكهف: ٢٢)، ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ

(١) المصدر السّابق، ص١٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ١٥٨.

(٣) المصدر السّابق، ص١٧٢.

مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾(الكهف: ٢٥) لم يقم بالتّنصيص على عدد أهل الكهف أو بيان المدّة الّتي لبثوا فيها لأنّ مرجع هذا التّحديد إلى قول السّائلين من القوم، وأمّا موقفه فهو الرّدّ بـ ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، وحينئذٍ يصبح بيان هذا المقدار تمشّياً لما هو منتشرٌ عند النّاس ولما يعتقده المخاطبون: **"فالقوم يسألون النّبيّ عن العدد وعن المدّة وقد جعلوا آراء اليهود قياساً يقيسون به صدق النبي عليه السلام، ولو نزل القرآن بغير هذه الآراء وبخلاف هذا المقياس لكذّبوا النّبيّ ولما آمنوا به أو بالقرآن"**[1].

نقد وتقييم هذه المستندات:

يلاحظ على ما تقدّم الأمور التّالية:

١. القرآن الكريم هو كتاب هداية وإرشاد، وهذا هو هدفه الأساس الّذي جاء في نفس الآيات: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(النّحل: ٦٤)، وبالتّالي فما يرد فيه من قصص وأخبار الماضين فالغاية منه بيان ما فيه العبرة والاعتبار والهداية، وليس ذكر ما جرى على الأمم السّابقة بالنّحو الموجود في كتب التّاريخ وأحوال الشّعوب، وحينئذٍ فمن الطّبيعيّ أن يختار من الأحداث ما يناسب هدفه وغرضه وإن أدّى ذلك إلى إغفال التّسلسل الزّمنيّ أو التّرتيب المنطقيّ لجريانها، ولا يدلّ هذا على عدم تحقّق الوقائع.

(١) الفنّ القصصيّ في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص١٧٤.

٢. اختلاف المفسّرين في تسلسل أحداث بعض القصص ناتج من تفاوتهم في إدراك وفهم بعض النّكات والقرائن المعيْنة في اكتشاف الترتيب بينها، ولا يصلح أن يعدّ دليلاً على وجود التّهافت في القرآن، والأجدر أن يحمل ذلك على عجز المفسّرين لا على الكتاب العزيز.

٣. تصوير القرآن للأحداث كما يعتقدها المخاطَبون لا كما هي في الواقع هي دعوى فاقدة للدّليل، ولا يملك أصحابها برهاناً شافياً بدرجة من الإحكام، وكلّ ما يذكرونه لا يعدو بعض الاحتمالات الذّوقيّة الخاصّة والتّأويلات البعيدة عن الارتكازات العرفيّة الواضحة في بعض الآيات، ومن المؤسف أن يؤسّس رأي مهمّ كهذا بهذه البساطة؛ ففي مثال عدد أصحاب الكهف أو مدّة لبثهم في الكهف صوّر لنا الدكتور أنّ القرآن كان مضطراً لذكر العدد، الّذي هو محكيٌّ عن اليهود ليسلم عن المطاعن ويستقيم أسلوبه الأدبيّ الّذي يراعي حال المخاطب ليؤثّر فيهم -أي لو ذكر غير هذا العدد لما استطاع القرآن أن يؤدّي دوره ويسلم من محاجة واعتراض اليهود- وهذا الاستظهار في غاية الرّكاكة، فمن أين عرفنا -مثلاً- أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾(الكهف: ٢٥) هو حكاية عن اليهود وليس إخباراً من الله تعالى بمدّة اللبث؟! أوَليس اختيار الحكاية والخروج عن الإخبار -الّذي هو أصل- يحتاج إلى قرينة قويّة وساطعة؟! وهل القول بالحكاية والتأثّر باليهود هو أقوى من سياق الآية الذي يتحدّث عن عقيدة البعث وقدرة الله العجيبة

وآياته الباهرة الّتي يناسبها التّنصيص على المدّة بجلاء؟!!

يقول العلّامة الطّبرسيّ قدس سره في تفريع وجه الحكاية: "**وقد ضعّف هذا الوجه بأنّ أخبار الله لا ينبغي صرفها إلى الحكاية، إلّا بدليل قاطع، ولو كان الأمر على ما قاله، لم تكن مدّة لَبثهم مذكورة. ومن المعلوم أنّ الله سبحانه أراد بالآية الاستدلال على عجيب قدرته، وباهر آيته، وذلك لا يتمّ إلّا بعد معرفة مدّة لبثهم**" [١] وبالتّالي يصبح مفاد الآية الّتي بعدها -﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾(الكهف:٢٦)- إبطالاً لقول اليهود وأمثالهم عبر الأخذ بالمدّة الّتي صرّح بها الله سبحانه، فأين هذا المعنى المتّزن والقويم والمناسب للسّياق مع الدّعوى المذكورة؟!!

ثمّ إنّنا لو تنزّلنا وقلنا إنّ العدد هنا ذكر للحكاية، فكيف لنا أن نفسّر ذلك باستسلام القرآن لليهود، واضطراره لذكر عقيدتهم الخاطئة وترجيحها على ذكر الحقيقة؟ أهو ضعفٌ في القدرة الإلهيّة وهي الّتي لا يعوزها شيء و: ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾(الطّلاق، ٣.)؟! أم هو أسلوبٌ وديدنٌ في الكِتاب وقد صدحت آياته: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ...﴾(المائدة: ٤٨)؟!!

٤. استعمال القرآن الكريم لقوّة الأدب والفنّ والبلاغة في إيصال مطلوبه وأغراضه أمرٌ لا ينكر، بل إنّ من أوائل معاني الإعجاز فيه هو

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشّيخ الطّبرسّي، ج٦، ص٣٣٤.

الإعجاز البيانيّ، ولكن لا يكون بميزان العاطفة المجرّدة عن الحكمة والعقل؛ فاستعمال الخيال والتّصرّف في الأحداث التّاريخيّة والزّيادة فيها إذا اعتبرناه معزّزاً للأسلوب الأدبيّ المقنع والمؤثّر في تحقّق الغرض، كما يشير الدكتور فإنّه يقابله في الوقت ذاته ما ينقض الفائدة منه، ويبعّد عن إصابة غرضه من ناحيةٍ أخرى وهو عدم الصّدق والواقعيّة، وهذا خلاف الحكمة والهادفيّة الإلهيّة، الّتي هي من أبرز سمات وصفات المدبّر والمرسل للقرآن، ولا يتناسب مع قدرته على البلاغة.

ب. مستنده حول رأيه في اللون التّمثيليّ:

يقتنص من مجموع كلام الدكتور حول هذا اللون أنّه يرتكز على عدّة حيثيّات، وهي بإعادة صياغة وترتيب كالتّالي:

الأولى: أنّ التّمثيل يمتاز عن الكلام العاديّ المجرّد عنه أنّه يوضّح المعنى بصورة أجلى، إذ قد تذكر معنىً فلا يتّضح للسّامع، فتردفه بمثال وتشبيه فيرتفع الإبهام فيه ويصبح الأداء أرقى وأتمّ كمالاً، فإذا كان كذلك فالقرآن بحكم كونه تبياناً لكلّ شيء وكونه كاملاً فيجب أن تحتوي قصصه على التّمثيل، ويجدر بنا أن نتعامل مع قصصه بهذا النّحو(١).

الثّانية: بالرّغم من اتّفاق الكلّ على وجود الأثر النّفسيّ للتّمثيل، إلّا أنّ البعض لا يتعاطى مع القرآن والنّصوص الدّينيّة إلّا بمنطق الصّدق العقليّ وينكر أو ينسى ما عداه، ويعتبر القول بالتّمثيل والخيال حينئذٍ

(١) الفنّ القصصي في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص١٨٦.

ضرباً من الكذب، وهذا الصّنف لم يكتشف الحقيقة الأدبيّة، ولم يوفّق لهضم أنّ استعمال التّشبيهات لا تعدّ في البلاغة كذباً وإن عدّت كذلك في المنطق[١].

الثّالثة: إذا عرفنا أنّ المتحدّث يسلك التّمثيل ويستعمله، فلنا أن نتعامل مع كلامه بالأسلوب الأدبيّ وبما يجول في نفوسنا وخيالاتنا من معنى جرّاء قراءتنا أو سماعنا لألفاظه؛ إذ هو قاصدٌ لذلك ونحن نعلم به، فنصبح جميعنا على تواطئٍ بالأمر، ولا يعدّ صنيعنا كذباً وخلافاً للواقع؛ لأنّه يطابق ما بنفوسنا ومشاعرنا من خيال[٢].

الرّابعة: كما أنّ البيان العربيّ يقوم على الواقع كذلك يتّكئ على العرف والخيال والعاطفة والمبالغة: **"فليس يلزم في الأحداث أن تكون قد وقعت، وليس يلزم في الأشخاص أن يكونوا قد وجدوا، وليس يلزم في الحوار أن يكون قد صدر، وإنّما قد يكتفى في كلّ ذلك أو في بعض ذلك بالفرض والخيال ومن هنا كانت القصّة التّمثيليّة عند المفسّرين قصّة بيانيّة، أيّ قصّة فنيّة"**[٣].
وهذا يعرف باقتفاء أقوالهم(المفسّرين) في التّفسير، والكثير ممّن اعتبر القصص التّمثيليّة من الآيات المتشابهة هو عاجزٌ عن فهم التّمثيل واستخراج المعانيّ منه[٤].

(١) المصدر نفسه، ص١٨٦-١٨٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١٨٧.
(٣) المصدر نفسه، ص١٨٣.
(٤) المصدر نفسه، ص١٨٣.

ومن الشّواهد الّتي اقتبسها الدكتور من كلمات المفسّرين انتصاراً لرأيه:

أ. ما في قوله تعالى: ﴿وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(الزّمر: ٦٧)

نقلاً عن الكشّاف:

"... ثمّ نبّههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التّخييل فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتّوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز"[١].

ب. في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ ...﴾(البقرة: ٢٥٩) نقلاً عن تفسير المنار: "ويحتمل أن تكون القصّة من قبيل التّمثيل والله أعلم"[٢].

ج. في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ... فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾(المائدة: ٢٧-٣٠) نقلاً عن تفسير المنار -أيضاً-:

(١) الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، الزّمخشريّ، ج٤، ص١٤٢.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، السّيّد محمّد رشيد رضا، ج٣، ص٤٤.

"والحقّ فيما قصّه علينا الوحي من قتل قابيل أنّه بيان لما في استعداد البشر، من التّنازع بين غرائز الفطرة بالتّعارض بين عاطفة وشيجة الرّحم وحبّ العلوّ والرّجحان والامتياز على الأقران في رغائب النّفس ومنافعها وما قد يلد من الحسد وما قد يتبع الحسد من البغي العدوان فضرب الله مثلاً لبيان هاتين الحقيقتين ليرتّب عليه بيان كون غريزة الدّين بل هدايته هي المهذّبة للفطرة البشريّة بترجيح الحقّ على الباطل والخير على الشّرّ فكان قابيل مثلاً لمن غلبت عليه النّزعة الثّانية وهابيل مثلاً لمن غلبت عليه الأولى بترجيح هداية الدّين ..." [١].

د. في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾(البقرة: ٢٤٣) نقلاً عن تفسير ابن كثير: "وقال ابن جريج عن عطاء قال: هذا مثل" [٢].

الخامسة: أنّ وجود الخيال في القرآن هو بسبب حاجة البشر إليه في محادثاتهم وتعابيرهم وأحاسيسهم، فلا يحتجّ بأنّه مستحيلٌ على الله تعالى لغنائه عنه[٣].

وبمجموع هذه الحيثيّات يتوصّل الدكتور إلى أنّ القصّة التّمثيليّة موجودة في القرآن، وقد اعترف بوجودها أهل التّفسير.

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، السّيّد محمّد رشيد رضا، ج١٠، ص٢٠٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص٥٠٢.
(٣) الفنّ القصصّي في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص١٨٨.

التّعليق والملاحظة على هذه الحيثيّات والمستندات:

ويرد على هذه الحيثيّات -الخمس- النّقاط والمؤاخذات التّالية:

١. ليس الكلام الأكمل والأصوب هو المرتبط بالتّمثيل دائماً؛ فيمكن أن يوسم بالتّمام والكمال من ناحية جودة تأليفه وقوّة بيانه ووضوح مقصده من دون دخلٍ لوجود المثل فيه، بل قد يصبح اقترانه به أحياناً علامة وآية على ضعف تركيبه وركاكته، ولو كان الأداء الكامل لا يتمّ إلّا به لأصبح هو الأصل في محادثاتنا وتعابيرنا، ولكان كلّ تمثيل يحتاج في كماله إلى تمثيل أيضاً؛ لنفس النّكتة.

وبناء على ذلك لا يصحّ التّعامل مع القصص والإخبارات القرآنيّة على أنّها خيال بمجرّد ادّعاء أنّ تمام بيانها بالتّمثيل، وكأنّ المدّعي يريد بفكرته أن يقول: إنّ الأصل في حكاية المواقف والقصص في القرآن هو عدم وقوعها لعدم إرادة المتحدّث -وهو الله تعالى- الصّدق الوقوعيّ، وإنّما تتعلّق إرادته بالتّبيين الّذي لا يحصل إلّا بضرب الأمثال الخياليّة، إلّا إذا ثبت العكس بالقرينة، وهو قولٌ مجانب للصّواب ومخالف لما عليه العرف ونظام اللغة والاستعمال.

٢. تخطئة الدكتور لمن وصفهم بالتّعاطي مع القصص القرآنيّة بمنطق الصّدق العقليّ فقط مع اعترافه باتّفاق الجميع على وجود الأثر والنّفع في استعمال المثال ليس في محلّها؛ لأنّ تعاطيهم هذا لا يعني رفضهم لتضمين بعض الآيات للأمثال، كيف وقد صرّح القرآن نفسه في بعض الآيات بـ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ

﴿خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الحشر: ٢١)، وإنّما كان موقفهم هذا مبنيّاً على عدم صحّة التّعامل مع القصص والإخبارات على أنّها تمثيل وخيال مع عدم وجود قرينة صارفة عن إرادة الوقوع الّذي هو الأصل، سواء كانت القرينة لفظيّة متضمّنة في نفس السّياق القرآنيّ أو قرينة لبّيّة، وهذا هو مقتضى ظهور أيّ إخبار وحكاية في العرف، والخروج عن هذه الطّريقة يعدّ خلافاً لقصد المتكلّم الحكيم الّذي لا يقصر في تبيين مراده، وبالتّالي إذا لم تصرّح الآيات بالتّمثيل أو يستشفّ من سياقها ولم ينهض دليل عقليّ صارف عن إرادة الجدّ والتّحقّق فلا يمكن رفع اليد عن الصّدق والوقوع في الأحداث.

٣. كيف علمنا أنّ المتحدّث -وهو الله سبحانه- يسلك التّمثيل والأسلوب الأدبيّ في قصصه بحيث نتواطأ معه في مقصده ونتعاطى معها بنفس النّيّة؟!! وحتّى لو عرفنا أنّه يستعمل المثال في بعض المواضع -من باب الفرض- فمن أين لنا القطع بإرادته واستعماله التّمثيل في سائر المواضع؟!! والخلاصة: طالما أنّه سبحانه لم يفصح عن إرادة الخيال ولم يظهر ذلك من قرينة لا طريق لنا إلى القول بعدم واقعيّة القصص فكيف وقد صرّح في آيات الكتاب العزيز بأنّه أنزل القرآن -بما فيه من إخبارات وقصص- مصاحباً للحقّ والأمر الثّابت الّذي لا يخالطه الباطل: **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾**(آل عمران: ٦٢)، **﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾**(البقرة: ٢٥٢)، **﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾**(آل عمران: ٣)؟!!

٤. قوله بأنّ المفسّرين يتعاملون مع القصص التّمثيليّة على أنّها مقطع فنّيّ أشبه بالمصادرة؛ فأصل القصص التّمثيليّة لم يثبت بعد، وأنّ ديدن المفسّرين هو التّعامل مع قصص القرآن بالخيال مجافٍ للواقع؛ إذ الغالبيّة العظمى منهم يسلّمون بواقعيّتها، وإنّما النزر اليسير منهم توقّف عند بعض المواضع الّتي احتار في كيفيّة تفسيرها أو التّوفيق بينها وبين نظائرها أو قام بالاستيحاش منها واستبعادها فاحتمل التّمثيل أو لجأ إليه، وتصرّفهم هذا ناتجٌ من ضيق خناقهم وعجز قدرتهم عن الوصول إلى التّفسير القويم والمعقول، ولا يقلب النّتيجة على الأغلب ويصيّرها هي الصّواب، فمجرّد استيحاش بعض المفسّرين بشكل شخصيّ من مثل قصّة عزير عليه السلام أو قصّة طالوت وغيرها لا يعدّ دليلاً علميّاً صارفاً للمعنى الحقيقيّ طالما أنّه لا يصادم استحالة عقليّة أو يخالف أمراً قطعيّاً، خاصّة إذا نظرنا إلى سعة قدرة الله المطلقة وحكمته وتدبيره غير المحدود.

والخروج عن ظاهر الآيات وإرادة المعاني البعيدة منها لا يعدّ تفسيراً، ومنه يظهر الإيراد على ما ذكره الدكتور حول قصّة ابني نبيّ الله آدم عليه السلام -من تفسير قابيل بنزعة الشّرّ الموجودة في البشر وتفسير هابيل بنزعة الخير والصّفاء- نقلاً عن تفسير المنار فهو تكلّفٌ واضحٌ ولا يعد تفسيراً للظّاهر.

ثمّ إنّ قسماً من الأمثلة الّتي ساقها خلف الله ليست من قبيل القصص، وإنّما هي ضربٌ من بيان بعض معاني التّوحيد والعقيدة والدّين وما

شاكل ذلك، والّتي تكون القرينة في إرادة التّمثيل فيها بارزة وجليّة، وهي خارج نطاق موضوعنا أصلاً، كقوله تعالى: ﴿وَ ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ ...﴾(الزّمر: ٦٧)، حيث استعملت الآية الشّريفة القبضة للكناية عن السّلطنة الإلهيّة على الموجودات، وأين هذا من القول بوجود الخيال في القصص القرآنيّة؟!!

٥. حاجة النّاس إلى الخيال بالمعنى الّذي أشار إليه خلف الله لا تعدو استفادتهم للمعاني المجازيّة عند توجّههم للقرينة المكتنفة للكلام لتصرفه عن معناه الحقيقيّ، وهي لا تحصل مع فقدانها، وحينئذٍ: ليست الحاجة إلى الخيال عند النّاس هي السّبب في لجوء المتحدّث إلى استعمال التّمثيل، وإنّما نفس المتكلّم إذا أراد المثال يقرن كلامه بما يشعر بذلك فيفهم منه المستمعون أنّه يريد الخيال لا الواقع، وهذه نقطة جوهريّة فلا يقع اللبس فيها.

فيتّضح ممّا تقدّم أنّ جميع الحيثيّات الّتي ساقها خلف الله لإثبات فكرة التّمثيل في القصص القرآنيّة مردودة وليست تامّة.

ج. مستنده حول رأيه في اللون الأسطوريّ:

رغم اعترافه بإجماع المفسّرين على رفض وجود الأساطير في القرآن، وأنّه ينحى منحىً منفرداً وشاذّاً عن مسلكهم بدأ خلف الله تمهيده لرأيه بالتّفريق بين هيكل القصّة -ويسمّى جسم الحكاية أيضاً- وهدفها الّذي يحوي الحكمة والتّوجيه والإرشاد، وأنّ الأدباء وأهل

الفنّ أجازوا أن تكون مادّة الهيكل باطلة وخرافيّة وغير صحيحة في نفسها، ولا يعتقد بها المتكلّم بينما هدف القصّة يكون مقصوداً منه بداعي الوعظ والتّوجيه وبيان المبادئ، ثمّ علّق -مستفيداً من نصّ للرّازي في تفسيره[١] وآخر لصاحب المنار[٢]- قائلًا: **"إذ الواضح أنّ الأستاذ الإمام يجيز أن يكون في التّعبير القرآنيّ قصصاً وغير قصص أثر للأساطير إجراء للعبارات على تلك الظّواهر الخرافيّة لأنّه يحكي من عقائدهم الحقّ والباطل، كما يجيز أن يكون القرآن قد أجرى أساليبه كما هو المعروف عند الأدباء فجعل الخرافات الوثنيّة أداة للتّعبيرات البلاغيّة"**[٣].

ثمّ قام بجمع كلّ الآيات الّتي ورد فيها ذكر (أساطير الأوّلين) في القرآن -وعددها تسع- وذكر أنّ بها أربع دلالات تقود إلى القول بنظريّته حول الأساطير، وهي بنحوٍ من التّلخيص[٤]:

الدّلالة الأولى: أنّ جميع الآيات التّسع المتناولة لمفردة الأساطير هي من القرآن المكّيّ، حتّى الّتي تضمّنتها سورة الأنفال المدنيّة؛ إذ رجّح كون بعض آياتها مكيّة.

ويترتّب عليها تالٍ، وهو أنّ الحديث حول الأساطير كان من أهل مكّة وجمهرتهم من المشركين ولا ربط له بأهل المدينة.

(١) التّفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الفخر الرّازيّ، ج١٧، ص٢٥٥.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، السّيّد محمد رشيد رضا، ج١، ص٣٣٠.

(٣) الفنّ القصصّي في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص٢٠٠.

(٤) لاحظ: المصدر نفسه، ص٢٠٢ - ٢٠٨.

الدّلالة الثّانية: أنّ القائلين بالأساطير أغلبهم من الّذين ينكرون البعث واليوم الآخر، وهو ظاهرٌ من مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾(المؤمنون: ٨٢-٨٣.)وغيره.

الدّلالة الثّالثة: أنّ المشركين لمّا جادلوا النّبي ﷺ واعترضوا عليه كانوا يؤمنون بوجود الأساطير في القرآن بعقيدة صلبة وصادقة لا يعتريها شكٌّ أو تردّد، وإلى درجة أنّهم كانوا يتحدّون: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(الأنفال: ٣١-٣٢).

يقول خلف الله: **"ونحن إذ نعتقد بصدق القرآن ودقّته في تصوير إحساساتهم لا بدّ لنا من التّسليم بأنّ هذه العقيدة كانت قويّة عندهم وتقوم على أساس يطمئنون إليه من حيث وسعهم معه أن يقرّروا بهذه القوّة وجود الأساطير في القرآن ذلك لأنّهم لا يستطيعون هذا القول إلّا إذا كان هناك ما يبرّر فعلاً هذا القول في تقديرهم ويجعلهم يؤكّدونه هذا التّأكيد"** [(١)].

الدّلالة الرّابعة: أنّ القرآن لم يحرص أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه؛ فالآيات إمّا أنّها لم تعقّب على ذلك، أو اكتفت بالتّهديد على إنكار البعث أو الصّدّ عن اتّباع النّبيّ ﷺ، وإمّا أنّها ردّت وعقّبت ولكن من أجل نفي كون الأساطير من عند النّبي ﷺ يكتتبها ويملّيها وإثبات أنّها

(١) الفنّ القصصّي في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص٢٠٤.

من عند الله تعالى.

والنّتيجة من مجموع هذه الدّلالات -بحسب زعمه- هي ثبوت نظريّته و: "**إذا كان إحساس القوم بورود الأساطير في القرآن قويّاً عنيفاً وعقيدتهم في ذلك قويّة ثابتة. وإذا كان القرآن لا ينفي ورود الأساطير فيه وإنّما ينفي أن تكون هذه الأساطير هي الدّليل على أنّه من عند محمّد ﷺ وليس من عند الله. إذا كان كلّ هذا ثابتاً فإنّا لا نتحرّج من القول بأنّ في القرآن أساطير لأنّا في ذلك لا نقول قولاً يعارض نصّاً من نصوص القرآن**" (١).

مناقشة هذه الدلالات وأصل النظريّة:

ونبدأ بالفكرة الّتي مهّد بها الدكتور عرض نظريّته حول الأساطير في القرآن، وهي تجويز الأدباء استعمال المادّة القصصيّة الكاذبة والباطلة في بثّ الإرشادات والتّوجيهات والمبادئ إلى القارئ والمستمع، فنقول: أجازوا أم لم يجيزوا فلا تعدّ إجازتهم مبرّراً لسماح ذلك وإمكانه في القرآن، وليسوا هم من يقرّر طبيعة الأسلوب والنّهج القرآنيّ في بثّ الوعي والتّوجيه إلى النّاس، فلا يقاس القرآن المعجز الصّادر من القادر والحكيم والقهّار والمسيطر والمحيط بما لدى المقهور والمحاط من أسلوب لا يرقى بأكثر من مستواه وغرضه ومحدوديّته في أحسن التّقادير، وإنّما نفس الكتاب الشّريف هو يفصح عن ذلك، وآياته الكريمة قد نطقت وتحدّثت بأنّه حقٌّ كلُّه وقد أُنزل

(١) الفنّ القصصّي في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله، ص٢٠٦-٢٠٧.

بالحقّ من لدن الحقّ تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾(الإسراء: ١٠٥)، فلم يداخله باطل أو يساوره فساد أو كذب، لا من جهة المادّة ولا من ناحية الغاية والهدف، وحتّى قصصه وأخباره -كقصص نبيّ الله موسى ونبيّ الله عيسى عليهما السلام- وسمت بالحقّ الّذي بإزائه واقعٌ وثبات: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(القصص: ٣)، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾(آل عمران: ٦٢)، وكأنّ لسانه يشير إلى رفض مبدأ أنّ الغاية -وإن كانت حقّة- تبرّر الوسيلة ولو عبر الاستعانة بالمادّة الكاذبة، وأنّه عمل الله تعالى الّذي لا تقصر قدرته عن إبلاغ الهدى والرّشاد بالصّدق والإخبار الواقعيّ، فكلُّ ما في الوجود هو خلقه ولا يخرج عن تدبيره وتقديره: ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(الطّلاق: ٣) فكيف يعوز ويفتقر إلى أسلوب وضيع كالاتكاء على الأساطير؟!!

وكلامنا السّابق الّذي نفيناه عن القرآن هو تضمينه المادّة الكاذبة في إخباراته وقصصه بهدف الاستفادة منها في بثّ الأحكام والتّوجيهات، أمّا إذا كان ذكره للأباطيل بداعي كشف غيّها وزيفها وبيان مواطن الخلل فيها فهو لا مانع منه ولا يتعارض مع الصّدق والواقع وهو خارج منظورنا.

أمّا ما يرتبط بالدّلالات الّتي ساقها فهي غير موصلة إلى مبتغاه، وقد شطّ بها بعيداً جدّاً وتصنّع في تأليفها بما لا يخدم عليه السّياق أو تعين عليه القرينة، وما بني على أساس فاسد فنتيجته مثله، وتفصيل ذلك:

ذكر الدكتور أربع دلالات، والدّلالتان الأُوْلتان منها جعلهما تدعيماً ومعبراً للتّاليتين اللتين هما العمدة ورأس الحربة في استدلاله، ولذا لا يهمّنا التوقّف كثيراً في الدّلالتين الأُولتين ولا توجد حزازة وغضاضة فعلاً من جهتهما -إذ القول بمكّيّة الآيات التّسع أو غالبيّتها وأنّها تتحدّث عن لسان أهل مكّة وجمهرتهم من المشركين هو ممّا لا يخفى، وكون أكثر القائلين بالأساطير هم من الّذين ينكرون البعث والمعاد ممّا لا ينكر أيضاً ولا ضير فيه بحسب ما سنذكره من معنى لا الّذي اختاره القائل بالأساطير- وإنّما نقصر المناقشة على الدّلالتين الثّالثة والرّابعة.

أمّا الدّلالة الثّالثة الّتي يذكرها -والّتي حاصلها أنّ المشركين صادقون في اعتقادهم بوجود الأساطير في القرآن- فيردّ عليها:

أوّلاً: من أين عرف الدكتور أنّ المشركين لديهم ما يبرّر لهم قولهم وأنّ ما يذكرونه يعتقدون بصوابيّته بصدقٍ وصلابة؟!! وهل الآيات التّسع في مقام بيان صدق أحاسيسهم كما يدّعي أم أنّها في مقام التّوبيخ والذّمّ لهم على لجاجهم وعنادهم وتكذيبهم للقرآن والنّبي صلّى الله عليه وآله ؟!!

لو نقوم بمسحٍ سريع لمجموع هذه الآيات لاتّضح إلينا بجلاء هشاشة الدّعوى الّتي حاول الدكتور التّمسّك بها بدون موضوعيّة واستقامة في فهم سياق الآيات، ففي موضع الشّاهد من سورة المطفّفين ذكرت الآية التّالي: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(المطفّفين: ١٠-١٤)، أي

أنّ هناك صفاتاً ثلاثاً لمن يكذّب بالمعاد ويوم الدّين، وهي أنّه معتدٍّ وأنّه أثيم وأنّه يصف القرآن بالأساطير المكذوبة للأوّلين، وأنّ الله تعالى قد طبع على قلبه لتكذيبه، فأين الدلالة على مبرّرات وصدق كلام المشركين الّتي يذكرها المستدلّ في الوقت الّتي يصفهم القرآن بالمكذّبين والمعتدين المتجاوزين؟!! إنّه لغريبٌ حقّاً.

وفي موضع الشّاهد من سورة المؤمنون يقول تعالى: ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(المؤمنون: ٨٢-٨٥)، ومضمونه أنّ الكافرين والمكذّبين بالآخرة وفي سياق استهزائهم واستبعادهم للبعث يقولون إنّ مسألة المعاد والقيامة هي ممّا وُعِدْنا بها نحن وآباؤنا من قِبَل الأنبياء السّابقين عليهم السلام وإلى الآن لم تتحقّق، فلو كانت حقّاً لوقعت فهي إذاً من الأحاديث الكاذبة والخرافيّة، ثمّ تردّ عليهم الآية بإثبات المعاد عبر بيان مالكيّة الله تعالى ومملكته، وهذا المورد هو الآخر يثبت أنّ لجوء الكفّار إلى وصف القرآن بالخرافات ناتج من استبعادهم وتسفيههم لليوم الآخر وليس بسبب اعتقادهم وجود مادّة الأساطير فيه. ونفس هذا التّقريب والمضمون يجري في موضع الشّاهد من سورة النّمل[1] وسورة الأحقاف[2].

(١) سورة النّمل: ٦٨.

(٢) سورة الأحقاف: ١٧.

وأمّا في سورة الفرقان فيقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(الفرقان: ٤-٦)، وتقريبها: أنّ الّذين كفروا لمّا عرض عليهم الرّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآله القرآن قاموا باتّهامه ظلماً وكذباً بأنّه وبالاستعانة ببعض الآخرين افتراه ثمّ اختلق نسبته إلى الله، أو أنّه كانت تملى عليه أكاذيب وخرافات السّابقين بشكلٍ يوميّ ومتتابع فيحفظها ويلقيها على أنّها من الله، ثمّ تأمر الآية النّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآله بالرّدّ عليهم بأنّ ما تدّعونه واهٍ ومرفوض؛ إذ إنّه مُنزلٌ من قِبَل الّذي يعلم الخفايا والأسرار وليس بحسب ما تزرون من كونه أساطير وإملاءات من الغير. وهذا الموضع أيضاً لا دلالة فيه على كون الكافرين صادقين في أحاسيسهم، خاصّة مع تقريع الآيات لهم وأمرها للنّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآله بالرّدّ عليهم.

وبنفس هذا البيان والكلام بنحوٍ قريب ينطبق على الشّاهد في سورة النّحل[١] وسورة القلم[٢] وسورة الأنعام[٣].

والشّاهد التّاسع والأخير هو قول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ

---

(١) سورة النّحل: ٢٤.

(٢) سورة القلم: ١٥.

(٣) سورة الأنعام: ٢٥.

عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(الأنفال: ٣٠-٣٢)، ولسانها لا يختلف عن سابقاتها من الآيات من حيث التّعرّض إلى صورة العناد والتّكذيب من قبل المشركين لنزول القرآن من الله تعالى الّذي مصيره إلى تكذيب النّبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً، فبعد ذكر ما يخطّط له المشركون من مكرٍ إلى شخص الرّسول صلى الله عليه وآله يردف عليه بيان كيفيّة استهزائهم واستهانتهم بمقام الكتاب الشّريف؛ حيث يدّعون أنّهم عقلوا ما به من آيات فوجدوها هشّة ولا قيمة لها، ولا تعدو كونها تأليفاً من أساطير وأباطيل السّابقين والّتي بوسعهم الإتيان بمثيلاتها، والعجيب أنّهم يعلمون بعجزهم عن الإتيان بمثله -إذ لو استطاعوا لعارضوه وتحدّوه به- ومع ذلك يتصنّعون القول بالقدرة، وهذا دليلٌ على عدم اعتقادهم بوجود الأساطير في القرآن بنحو الصّدق والإصرار الشّديد كما يدّعي خلف الله؛ بل إنّ لهم مآرب وأغراضاً أخر، ولو من باب التّمويه على أتباعهم وحفظ مركزهم.

وأمّا ذيل المقطع -والّذي تمسّك به الدكتور لإثبات وجود التّحدّي من المشركين الدّالّ على صدق دعواهم للأساطير- فهو لا يخدم رؤيته أيضاً بحالٍ؛ وذلك لأنّه إمّا أن يكون مواصلة لغرض الكافرين في تمويه الحقائق على النّاس وخداعهم باختلاق التّحدّي بنزول العذاب فيصبح تتميماً للمقطع المتقدّم، وإمّا أن يكون له شأنٌ آخرٌ يختلف مع سابقه شكلاً ويتّحد معه روحاً؛ وتوضيحه بحسب نظر صاحب الميزان رحمه الله: أنّ قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ به ظهور

في الحصر فيلائم قول من كان يعتقد بالدّين ورسالة السّماء إلّا أنّه أنكر ما أتى به النّبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أو شطراً معيّناً منه -كما لو لم يحتمله أو ثقل عليه تصديقه والالتزام به- فترجم إنكاره وردّته بمخاطبة الله بهذا الأسلوب(١).

والخلاصة ممّا تقدّم: أنّ جميع الآيات التّسع الّتي تناولت لفظة الأساطير على لسان المشركين لا تلوح منها قرينة أو إشارة إلى كونهم يعتقدون بصدق بوجودها في القرآن.

ثانياً: يفهم من دعوى الدكتور أنّ اعتقاد المشركين الجازم والصّادق بوجود مادّة الأساطير في القرآن يختصّ بالقصص والإنباءات، بينما يظهر من الآيات الشّريفة السّابقة أنّ المكذّبين والكافرين كانوا يصفون كلّ القرآن بأنّه أساطير الأوّلين، فيلزم من كلامه ودعواه كون كلّ القرآن -أو على الأقلّ غالبه- متشكّل من الأساطير، والتّالي باطلٌ بالضّرورة -باعترافه هو أيضاً- فالمقدّم مثله.

ثالثاً: لو تنزّلنا وقلنا إنّ المشركين كانوا في قمّة جزمهم بصوابيّة مقولتهم وإنّ القرآن حكى ذلك عن واقعهم مع ذلك لا نسلّم بفكرة الدكتور؛ إذ إنّ عملهم في حدّ ذاته لا اعتبار له ولا يصيّر المادّة الباطلة موجودةً فعلاً في ثنايا الآيات.

وأمّا بالنّسبة للدّلالة الرّابعة المدّعاة والّتي حاصلها أنّ القرآن لم

(١) الميزان في تفسير القرآن، السّيّد الطّباطبائيّ، ج٩، ص ٦٨ (بتصّرف).

ينفِ عن نفسه تهمة وجود الأساطير فهي من العجائب والغرائب، إذ كلّ الأوصاف الّتي أنزلتها الآيات التّسع على القائلين بالأساطير كالكاذبين الّذين مصيرهم جهنّم والّذين قد ران على قلوبهم وقد أقاموا على الإثم والاعتداء والتّجاوز ونكران الآخرة -كما في آيات سورة المطفّفين[١]- يكفي واحد منها للدّلالة على النّفي فكيف باجتماعها وانضمامها معاً؟!! وهل نتصوّر أنّ الله الحكيم عزوجل في الحال الّذي يأمر فيه رسوله صلى الله عليه وآله -في آيات سورة الفرقان المتقدّمة[٢]- بردّ كلام المفترين الّذين اتّهموا القرآن بالأساطير والإفك يبرز بنفس الوقت وعبر ذات الآيات أنّه لا ينفي وجود الأساطير بل يؤكّد عليها؟!! هذا ما لا يقبل الجمع.

وبذلك يتّضح سقم الدّلالة الرّابعة أيضاً، ويتحصّل من ردّها وردّ الدّلالة الثّالثة عدم صحّة نظريّة الأساطير الّتي نادى بها الدكتور وبطلانها بالكامل.

خامساً: - الأدلّة على واقعيّة القصص القرآنيّة

رغم أنّ نفس المناقشات لآراء الدكتور وآثارها تتضمّن ذكر عدّة من الأدلّة على صدق وقوع القصص القرآنيّة إلّا أنّ جمعها في موضعٍ واحد لا يخلو من بركات وفائدة أيضاً، وهي بشكلٍ عامٍّ:

(١) سورة المطفّفين: ١٠-١٤.

(٢) سورة الفرقان: ٤-٦.

الدّليل الأوّل: - الغاية والهدف القرآنيّ السّامي

لا شكّ أنّ من أعظم أهداف القرآن هو هداية النّاس وإرشادهم وإيصالهم إلى الكمال المنشود، وأنّ أسلوب القصص فيه يعدّ من أبلغ الطّرق وأسرعها في إيصال العبرة والعظة والاعتبار بالسّنن والتّجارب: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الأعراف: ١٧٦)، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ... وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(يوسف: ١١١)، فلو كانت قصصه خياليّة ولا حظّ لها من الواقع لكان ذلك أبعد من ناحية الاقتداء والاستيثاق والتّفاعل.

الدّليل الثّاني:- دور القرآن في الهيمنة على الكتب السّماويّة السّابقة وتصحيحها

يقول تعالى شأنه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(المائدة: ٤٨).

من خصائص القرآن المجيد أنّه معيارٌ وميزان لمعرفة الحقّ والباطل الّذين امتزجا واختلطا في الكتب السّماويّة السّابقة المحرّفة والّتي منها قصص الأنبياء عليهم السلام والأمم السّالفة، فلو لم نقبل الصّدق والواقعيّة في إخباراته وحكاياته لما كان مسيطراً على الكتب المحرّفة ومصحّحاً لأخطائها.

الدّليل الثّالث:- دور القرآن في تفصيل وشرح الكتب السّماويّة السّابقة

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(يونس: ٣٧).

والآية فيها دلالة على أنّ القرآن الكريم يمتاز بكونه تفصيلاً لما أجمل في الكتب السّماويّة السّابقة عليه، فكلّها من حيث الرّوح واحدة، ولكنّ القرآن متفوّق عليها بسمة الشّرح والتّفصيل حتّى في قصصها ومواعظها، فما كان هذا شأنه كيف يحتوي الخيال والأساطير؟

الدّليل الرّابع: - وصف القرآن لقصصه بالحقّ

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾(آل عمران: ٦٢)، ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(القصص: ٣)، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(يوسف: ٣). والحقّ يعني المطابق الّذي بإزائه واقع، والّذي لا يجامع الباطل والخيال أبداً: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(يونس: ٣٢).

وهذا النّعت لا يختصّ بالقصص بل يشمل القرآن برمّته: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾(البقرة: ٢٥٢)، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾(الإسراء: ١٠٥).

الدّليل الخامس:- استبطان الوقوع والتّحقّق في نفس مفهوم القصّ

ربّما يذهب البعض إلى عدّ نفس مفهوم القصّة لوحده كافياً في استفادة وقوع المحكيّ بتقريب: أنّ أصل القصّة هو حكاية لما هو واقعٌ؛

لأنّها تتبّع واقتفاء للأثر الّذي حدث وجرى كما ذكرنا في أوّل البحث، وحينئذٍ يكون استعمالها في غير معنى الوقوع من باب التجوّز ويحتاج إلى نصب القرينة، وطالما أنّ القرآن استعملها مطلقةً بدون إضافةٍ إلى شيء أو تضميم علامة فتدلّ على معناها الأصليّ.

الدّليل السّادس: - القرآن لا يناسبه إلّا الصّدق من جميع الجهات

عندما نلاحظ سعة قدرة الله تعالى وسيطرته على مملكته وشؤونه وإحكامه الإحاطة لكلّ أموره: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾(الطّلاق: ٣)، ومن جهة أخرى نلحظ موقعيّة القرآن وكونه الرّسالة الخالدة الّتي أنزلت بالحقّ وحُرِص على صيانتها وحمايتها من كلّ أسباب الضّعف والتّحريف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر: ٩)، وأنّه منيعٌ عزيزٌ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(فصّلت: ٤١-٤٢)، نصل إلى اطمئنان أنّه لا يلائمه إلّا الصّدق والوقوع والتّحقّق، ولا يليق بعظمته أن يحوي مثل الخيالات ومادّة الأباطيل.

الخاتمة

في النّهاية، وبعد عرضٍ مفصّلٍ لآراء محمّد أحمد خلف الله حول القصص القرآنيّة والخيال والأساطير ومناقشة كلّ مستنداتها وبيان آثارها، وبعد دراسة مجموعة وافرة من الآيات الكريمة حول المسألة نستخلص النّتائج التّالية:

أ. قسّم الدكتور القصص القرآنيّة إلى ثلاثة ألوان، هي اللون

التّاريخيّ الّذي قد يكون واقعيّاً ولكن ليس بالضّرورة، واللون التّمثيليّ الّذي هو نسجٌ من الخيال، واللون الأسطوريّ الّذي يستعين بالخرافات الموجودة لدى النّاس.

ب. من أبرز الآثار المترتّبة على آراء الدكتور حول الألوان الثّلاثة هو ضمور التّفاعل الصّادق والحيّ بين القارئ وهذه القصص، بل مع جميع آيات القرآن بنحوٍ عامّ.

ج. تصوير القرآن للأحداث كما يعتقدها المخاطبون لا كما هي في الواقع هي دعوى فاقدة للدّليل، ولا يملك أصحابها برهاناً شافياً بدرجة من الإحكام.

د. الآيات الكريمة قد وصفت القرآن -بما فيه القصص- بأنّه حقٌّ كلُّه ولا يخالطه باطل وقد أُنزل بالحقّ من لدن الحقّ تعالى، ولسانها يشير إلى رفض مبدأ أنّ الغاية -وإن كانت حقّة- تبرّر الوسيلة ولو عبر الاستعانة بالمادّة الكاذبة والأساطير.

ه. جميع الآيات التّسع الّتي تناولت فرية الأساطير في القرآن من قبل المشركين جاءت في سياق الاستنكار والرّفض لها، ولقائليها ووسمتهم بالكذب والافتراء والتّجاوز.

و. كلّ آراء الدكتور مردودة ولا تتوفّر على شرائط القبول، وبمقابلها توجد أدلّة متنوّعة عقليّة وتعبّديّة على كون جميع القصص القرآنيّة صادقة وواقعة.

وبهذا نكون قد استوفينا الكلام حول الموضوع، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين المنتجبين.

تدوين القرآن الكريم في زمن النبوّة أم زمن الخلافة؟

الشيخ عزيز حسن الخُضران

الملخّص:

لا يخفى عظم وأهميّة القرآن العظيم وكونه المعجزة الكبرى للنبي الأعظم، ومن هذا المنطلق وجد تساؤل حول تدوين هذا القرآن في أيّ زمن كان، وهل يمكن إهماله في زمان النبي صلى الله عليه وآله فجاء هذا البحث مجيباً عن هذا التساؤل مبتدئاً بتحرير محلّ النزاع وهو المراد من التدوين مستعرضاً الأقوال في ذلك مع مناقشتها.

المقدّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد..

لا يوجدُ كتابٌ سماوي أو غيره أهمُّ وأعظمُ من القرآن الكريم، وتكمنُ أهمِّيَته:

١. في كونه خاتم الكتب السماوية لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

٢. وفي كونه المعجزة الكبرى للنَّبي الأعظم صلى الله عليه وآله والتي لا تختصُّ بزمانه المبارك.

٣. وفي كونه الكتاب المتكفِّل لهداية البشرية إلى يوم القيامة.

وبذلك يمتاز هذا الكتاب عن بقية الكتبة السماوية التي وإن كانت منزلة من عند الله تعالى لهداية الناس، إلا أنَّها لم تكن معجزة خالدة ودالَّة على النبوَّة كالقرآن الكريم، ولم تكن لنبيٍّ خُتم به الأنبياء عليهم السلام، ولذلك يستحق هذا الكتاب اهتماماً خاصاً، فلا يُتصوَّر الإهمالُ وعدمُ المبالاةِ في حفظه، سواء من قبل الله تعالى أو من قبل نبيه صلى الله عليه وآله، ولذلك نرى تعهَّد الباري عز وجل بحفظِه في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر: ٩).

وأيضاً لا يمكن تصوُّر الإهمال من قبل أئمة الدين عليهم السلام، وكذلك المؤمنين المخلصين الحريصين على الدين والمحامين عنه.

بناءً على هذا يأتي تساؤلٌ مهمٌ يتعلَّقُ بتدوين القرآن الكريم في زمن

النبي ﷺ، وهل أنَّه دُوِّن فعلاً أم لا؟ فإذا لم يدوَّن، ألا يدلُّ ذلك على إهمالٍ يخالف ما تقدَّم من مكانة القرآن الكريم؟! وكيف يمكن تفسير ذلك وتصوُّر صدوره من قبل النبي ﷺ؟!

وإذا فُرِضَ تدوينُه في زمن النبي ﷺ فما معنى ما نُقِل في التاريخ من جمع القرآن الكريم زمن أبي بكر أو عمر أو عثمان على اختلاف النّقولات؟! بل ما هو معنى ما نُقِلَ عن اعتكافِ أميرِ المؤمنين عليه السلام لجمعِ القرآن الكريم بعد رحيل النبي ﷺ؟!

ولكي نصل إلى نتيجة معيَّنة نطمئنُّ لها في زمن تدوين القرآن الكريم نحتاج إلى طرح عدّة مطالب لعلَّنا نصل إلى ما يروي الفؤاد ويشفي الغليل، وهنا مطالب أربعة:

المطلب الأول: تحرير محلَّ النزاع

لا بدَّ من حصر موضع النزاع بينهم، حتى تحاكم أدلّة الطرفين على وفق ذلك، وكلماتهم في المسألة لا تخلو من تشويش وارتباك في معنى التدوين والجمع المختلف في حصوله زمن النبي ﷺ، ويمكن أن نحصر المسألة في التالي:

الظاهر أنّه يوجدُ إجماعٍ على أنَّ القرآنَ الكريم كانَ في زمن النبي ﷺ مكتوباً في الصُّحفِ والأوراق وما شاكل ذلك ممَّا يُكتَبُ عليه، ولم يذهب أحدٌ إلى خلوِّ زمانه ﷺ من الكتابة بشكل مطلق، بل كانت

الآيات والسور تُكتب على الألواح والرقاع والأكتاف والعسب[١] ولو بشكل متفرِّق غير مجموع.

وكذلك من المفترض أنَّه لا خلاف في كون عثمان ليس هو الجامع؛ لأنَّ روايات الجمع في زمانه تدلُّ على أنَّه كانَ مكتوباً قبلَه، وأنَّه بسببِ اختلافِ القراءات وحَّدَهُ في قراءة واحدة وحَرَقَ بقيةَ المصاحف، لا أنَّه جمعَه ابتداءً من دون وجوده سابقاً، وإن كانت بعض الروايات قد تُوهِمُ ذلك[٢].

وتجدرُ الإشارة إلى ما ذكره بعضُهم ممَّن ذهبَ إلى أنَّ القرآنَ جمع في عصر النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: **"ثم إنَّ هذا القول -وهو الأولى بالقبول- لا يستلزمُ أن يكون القرآنُ مجموعاً في مصحفٍ واحد، قد خيط بخيوط، ووضع له جلد، بل المهم فيه هو إثبات أنَّه جُمِعَ بأمره صلى الله عليه وآله، ولو في ضمن قراطيس متعدِّدة كثيرة، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله إلى وصيِّه أن يجمعه في مصحفٍ واحد حتى لا يضيعَ منهُ شيءٌ، ويكونُ النسخةَ الأولى التي تنسخ عنها المصاحف كلُّها، ويثقُ الجميعُ به وبقرآنيته، بخلاف ما لو قلنا بعدمِ وجودِ مصحف عند النبي صلى الله عليه وآله، فإنَّ معنى ذلك أن لا يكون لدى المسلمين ثمَّةَ قرآنٌ مضبوطٌ**

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، ج٥، ص٢١٠.

(٢) كما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٢٤٣ عن مصعب بن سعد قال: «قام عثمان، فخطب الناس فقال: أيّها الناس عهدكم بنبيكم صلى الله عليه وآله منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون قراءة أبي، وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك، فأعزم على كلِّ رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجئ بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلا، فناشدهم لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أمله عليك فيقول: نعم..».

ومرتَّب"(١).

ويمكن أن نستفيد من بعض ما ذكر أنَّ محلَّ النزاع -وهو الجمع بين الدفتين- ليس بالمعنى المصطلح اليوم بشكلٍ دقيق؛ حيثُ لا يقال للكتاب كتاباً إلا إذا وُضِعَ له جلدان في الظهر والبطن، وخيط ذلك بحيث يكون المجموع شيئاً واحداً لا يمكن تجزأتُه إلا بتمزيقه، بل بمعنى الجمع في الصحف والأوراق مرتَّباً ترتيباً متكاملاً ولا ينقصُه إلا التجليد فقط. وسيأتي في المطلب الآتي أنّ ممَّن نسب إليهم القول بالتدوين زمن النبوة إنّما ذهبوا إلى أنَّ الترتيب الحالي هو من قبل النبي صلى الله عليه وآله.

نعم، يفهم من بعضهم أنَّه لا ملازمة بين القول بأنَّ الترتيب الحالي هو ترتيب النبي صلى الله عليه وآله وبين التدوين زمنه صلى الله عليه وآله، قال النّووي: **"اعلم أنَّ القرآنَ العزيز كان مؤلَّفا في زمن النبي صلى الله عليه وآله على ما هو في المصاحف اليوم، ولكن لم يكن مجموعاً في مصحف، بل كان محفوظاً في صدور الرجال، فكان طوائف من الصحابة يحفظونه كلّه وطوائف يحفظون أبعاضاً منه"**(٢).

وقال الزركشي في البرهان-تعليقاً على رواية تبرير عثمان عدم كتابة البسملة بين الأنفال وبراءة(٣): **"فثبت أنَّ القرآن كان على هذا التأليف**

(١) بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، سيد مير محمدي زرندي، ص١٢١.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن، النّووي، ص١٨٥.

(٣) «قال ابن عباس: قلت لعثمان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي=

والجمع في زمن النبي ﷺ، وإنَّما ترك جمعَه في مصحفٍ واحد؛ لأنَّ النسخ كان يرد على بعض، فلوجمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ"[١].

فالذي ينبغي أنْ يبحث عنه من الخلاف هو:

هل كُتِبَ القرآنُ الكريمُ بشكل مصحف له أوَّل وآخر معلومان، وبشكلٍ مرتَّبٍ أم كان مجرَّد صحف متناثرة عند هذا وذاك؟

وينبغي أن يعلم أنَّ محلَّ النزاع أيضاً ليس هو وجود نسخة واحدة شخصية عند فلان من الناس؛ فإنَّ إثبات ذلك مع عدم كون تلك النسخة مرجعاً للناس، وعدم إمكان الوصول إليها لا يثبت إلا شرف كون فلان أول من دوَّن القرآن الكريم، والمهمَّ عندنا والذي يفيدنا في البحث هو أن نثبت أنَّ القرآن الذي بين أيدينا هل هو نفسه الذي كان على عهد النبي ﷺ أم لا؟ فحينئذٍ لا بدَّ من معروفيّة هذا الجمع المفترض عند عامَّة الناس ووجود نُسَخٍ للقرآن كلِّه.

=من المئين؛ فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر ❊ (بسم الله الرحمن الرحيم) ❊؟ قال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وتنزل عليه السور، وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتبه فقال: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت « الأنفال » من أوائل ما نزل من المدينة، وكانت « براءة » من آخر القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنّها منها؛ فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر ❊ (بسم الله الرحمن الرحيم) ❊، ثم كتبت..».

(١) البرهان، الزركشي، ج١، ص٢٣٥.

فالمطلوب إثباته أو نفيه -حسب نظرنا- يتكوَّن من مجموع أمرين:

الأول: تدوين القرآن بأكمله في أوراق مجموعة مع بعضها البعض في محلٍّ واحد.

الثاني: تعدُّد تلك النسخ، أو لا أقل وجود نسخة واحدة تعتبر المرجع للناس مع إمكانية الوصول إليها.

المطلب الثاني: الأقوال في المسألة

لقد اختلف العلماءُ والمحقِّقونَ في تدوين القرآن الكريم في زمن النبي صلى الله عليه وآله بين الدفتين ونستعرض رأي الفريقين باختصار:

رأي الإمامية:

المعروف على لسان الأساتذة أنَّ مشهور الإمامية يذهبون إلى أنَّ التدوين بدأ في عصر النبي صلى الله عليه وآله، ولم أجد في كلمات القدماء من يصرِّح بذلك إلا ما نقله الطبرسي وغيره عن السيِّد المرتضى؛ حيث ادعى الإجماع في المسألة وقال: **"أنَّ من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتدُّ بخلافهم، فإنَّ الخلاف في ذلك مضافٌ إلى قومٍ من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفةً ظنُّوا صحَّتَها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته"**(١). ويظهر من عبارته أنَّ هناك من ذهب إلى العدم، وأنَّ هناك روايات صريحة تدلُّ على ذلك، ولكنَّه تركها لما اعتبره مخالفة للمقطوع به من التدوين زمن النبي صلى الله عليه وآله.

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ج١، ص٤٣، وزبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، ج١، ص١٠.

وقد يظهر من عبارات بعض المعاصرين أنَّ المشهور عكس ذلك(١)، وسيأتي كلام صاحب الحدائق أيضاً.

وممَّن ذهب إلى أنّ الجمع كان في زمن النبوة من المعاصرين السيد الخوئي في البيان(٢). وكذلك الشهيد الحكيم في علوم القرآن(٣)، والظاهر أنَّه رأي السيِّد الشهيد، وإن كان كلامُ الحكيم يفهم منه أنَّ معنى التدوين الذي يتحدَّث عنه هو أصل التدوين وإن كان في صحفٍ مفرَّقة(٤).

وذهب بعضُهم إلى نفي ذلك، وأنَّ القرآن إنّما جُمِعَ بعدَ رحيلِ النبي صلى الله عليه وآله، ويحتمل أنَّه القولُ المشهور، يقول صاحب الحدائق في إشكاله على وجود البسملة بين سورتي الضحى والانشراح، والفيل وقريش: "و(ثانيا) **أنَّ الاستدلال بإثباتها في المصاحف إنَّما يتمُّ لو كان هذا القرآن الموجود بأيدينا جمع الإمام عليه السلام، وليس كذلك؛ لاتفاق الأخبار،**

(١) يظهر ذلك من كلام الشيخ معرفة؛ حيث قال: «ما قدمنا (أي من حديث الجمع أيام أبي بكر) هو المعروف عن رواة الآثار، وعند الباحثين عن شؤون القرآن، منذ الصدر الأول فإلى يومنا هذا، ويوشك أن يتفق عليه كلمة أرباب السير والتواريخ، ولكن مع ذلك نجد من ينكر ذلك التفصيل في جمع القرآن، ويرى أنَّ القرآن بنظمه القائم، وترتيبه الحاضر كان قد حصل في حياة الرسول صلى الله عليه وآله. وقد ذهب إلى الرأي جماعة من علماء السلف كالقاضي وابن الأنباري والكرماني والطيبي، ووافقهم علم الهدى السيد المرتضى قدس سره..» تلخيص التمهيد، ج١، ص١٤٥.

ويظهر ذلك أيضاً من السيد مير محمدي زرندي حيث لم يذكر من متقدمي الإمامية إلا السيد المرتضى، انظر: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ص١٢١.

(٢) انظر، تفسير البيان، السيد الخوئي، ص٢٤٨ و ٢٥٦.

(٣)انظر: علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ص١٠١.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص١٠٥.

وكلمة الأصحاب وغيرهم على أنَّه جَمَعَ الخلفاء الثلاثة، وأمَّا القرآن الذي جمعه عليه السلام فلم يخرج، ولم يظهر لأحدٍ حتى يقوم القائم عليه السلام"(١).

ومن ذهب إلى ذلك:

١. الفيض الكاشاني في التفسير الصافي قال: "وأمّا كونه مجموعاً في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما هو عليه الآن فلم يثبت"(٢).

٢. العلامة الطباطبائي: قال: "ويؤيّده ما كان عليه الأمر في زمن النبي صلى الله عليه وآله؛ فإنّ القرآن لم يكن مؤلَّفاً بعد، ولم يكن منه إلا سور أو آيات متفرّقة في أيدي الناس فكان في تفسير كلّ قطعة قطعة منه خطر الوقوع في خلاف المراد"(٣).

٣. الشيخ معرفة: قال "نعم، كان التأليف آنذاك -أيام حياته صلى الله عليه وآله عبارة عن ترتيب الآيات ضمن السور، إما حسب النزول كما هو الأغلب- أو حسب إرشاد النبي صلى الله عليه وآله بتوقيف من جبرائيل، كان يقول: ضعوا هذه الآية في موضع كذا من سورة كذا"(٤).

---

(١) الحدائق الناظرة، ج٨، ص٢٠٦.

(٢) التفسير الصافي، ج١، ص٥٤.

(٣) تفسير الميزان، ج٣، ص٧٧.

(٤) ويقول أيضاً في موضع آخر: «كانت السور مكتملة على عهده صلى الله عليه وآله مرتبة آياتها وأسمائها، غير أنّ جمعها بين دفتين لم يكن حصل بعد، نظراً لترقّب نزول قرآن على عهده صلى الله عليه وآله، فما دام لم ينقطع الوحي لم يصحّ تأليف السور مصحفاً، إلا بعد الاكتمال وانقطاع الوحي، الأمر الذي لم يكن=

٤. الشيخ البلاغي: "هذا ولما كان وحيه لا ينقطع في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن كلُّه مجموعاً في مصحف واحد، وإن كان ما أوحي منه مجموعاً في قلوب المسلمين وكتاباتهم له.. ولمّا اختار الله لرسولِه دار الكرامة وانقطع الوحي بذلك فلا يرجى للقرآن نزول تتمة رأى المسلمون أنْ يسجّلوه في مصحف جامع.."[(١)].

رأي العامة:

والمعروف عند العامة أنَّ الجمعَ بين الدفتين إنَّما حصل بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله.

ولكن ذهب جمعٌ آخر إلى الرأي الآخر وهو التدوين زمن النبي صلى الله عليه وآله: منهم ما نُسبَ إلى القاضي وابن الأنباري والكرماني والطيبي[(٢)]،

=يتحقق إلا بانقضاء عهد النبوة واكتمال الوحي». ويقول أيضاً: «لم يكن جمع زيد مرتباً ولا منتظماً، وإنّما كان الاهتمام في ذلك الوقت على جمع القرآن عن الضياع، وضبط آياته وسوره حذراً عن= =التلف بموت حامليه، فدوّنت في صحف وجعلت في إضبارة، وأودعت عند أبي بكر مدة حياته ثم عند عمر بن الخطاب..»، تلخيص التمهيد، ج١، ص١٣٣و١٤٣و١٤٤.

(١) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، العلامة البلاغي، ج١، ص١٨.

(٢) نسبه إليهم الشيخ معرفة في تلخيص التمهيد، ج١، ص١٤٥، نقلًا عن الإتقان، وعبارة الإتقان هكذا:

«وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضاً أو هو باجتهاد من الصحابة خلاف، فجمهور العلماء على الثاني منهم مالك والقاضي أبو بكر في قوليه.. وذهب إلى الأول جماعة منهم القاضي في أحد قوليه، قال أبو بكر الأنباري: أنزل الله القرآن كلّه إلى سماء الدنيا ثم فرّقه في بضع وعشرين فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وآله على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلّه عن النبي صلى الله عليه وآله فمن قدّم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.

ونقل عباراتهم السيوطي في الإتقان، وكان الكلامُ حول الخلاف في توقيفية ترتيب السور، فهؤلاء ذهبوا إلى توقيفية ترتيب السور فنسب إليهم القول بالتدوين زمن النبي صلى الله عليه وآله.

وممن ذهب إلى ذلك ابن حزم في الإحكام(١).

ومن معاصري العامَّة ممن ذهب إلى هذا الرأي محمد عزة دروزة (١٣٠٥ - ١٤٠٤ هـ) (١٨٨٧ - ١٩٨٤م)(٢)، وكذلك الدكتور محمد

وقال الكرماني في البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان صلى الله عليه وآله يعرض على جبريل كلّ سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولاً ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾، فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين.

وقال الطيبي: أنزل القرآن أولاً جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ». الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج١، ص١٧٠-١٧١.

(١) انظر: الإحكام، ابن حزم، ج٦، ص٨٣٣-٨٣٤: قال ـ بعد نقله حديث الزهراء عليها السلام «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله سارّها قبل وفاته فقال لها: إنَّ جبريل كان يعارضني القرآن في كلِّ عام مرَّة، وإنَّه عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب..»ـ: فهذا نصٌ جليٌ على أنَّ القرآن إنّما هو جمعه وألفه الله تعالى.. وإنَّه لم يجمعه أحدٌ دون الله تعالى، فهو كما هو الآن على ذلك الجمع الأول..، ثم قال بعد كلام طويل: «فصحَّ بهذا أنَّ رتبة الآي، ورتبة السور مأخوذة عن الله عز وجل إلى جبريل، ثمَّ إلى النبي صلى الله عليه وآله، لا كما يظنُّه أهل الجهل أنَّه ألَّف بعد موت النبي صلى الله عليه وآله، ولو كان ذلك ما كان القرآن منقولا نقل الكافة..».

(٢) قال في تفسيره «التفسير الحديث، ج٦، ص١٢٧: « أما ما روي عن تدوين القرآن أو جمعه في زمن أبي بكر وعثمان (رضي اللهّ عنهما) فليس ذلك جمعاً وتدويناً وترتيباً جديداً. فالقرآن كان مدوَّناً ومرتَّباً، وكان لكثير من أصحاب رسول اللهّ صلى الله عليه وآله مصاحف، غير أنَّ القرآن كان مفتوح الصحف لاحتمال نزول الوحي بقرآن جديد، فلمّا مات رسول اللهّ صلى الله عليه وآله ولم يعد هناك احتمال لذلك رأى أبو بكر وعمر وكبار الصحابة أن يكون هناك مصحف إمام ليكون المرجع لما قد يكون من خلاف في=

عناية الله أسد سبحاني في كتابه بهجة الجنان في تاريخ تدوين القرآن، ونقل أيضاً عن أحد علماء الهند وهو الشيخ عبد اللطيف رحماني ممن ذهبوا إلى ذلك وألَّف فيه كتاباً تحت عنوان «تاريخ القرآن» باللغة الأردية(١).

المطلب الثالث: أدلة المثبتين

والمهم البحث في أدلّة الطرفين، فأمَّا أدلّة المثبتين للتدوين زمن النبوة فأهما ما يلي:

الدليل الأول: ما عن السيِّد المرتضى: من أنَّ **"القرآن كان يُدرَس ويحفظُ جميعُه في ذلك الزمان، حتى عيَّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وإنَّه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله، ويتلى عليه، وإنَّ جماعةً من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهما، ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله عدة ختمات"**(٢).

الجواب: أمَّا حفظُه فإنَّه يصدقُ على من يحفظُ جميعَ السِّوَر من دون أنْ يقتضي ترتيب تلك السور عنده حتى لو فرضنا أنَّها مكتوبة عنده، فإنَّها قد تكون في صحف متفرِّقة وموزَّعة غير مرتبة، وهذا ليس محلَّ النزاع كما تقدَّم.

=المصاحف المتداولة، فكتب هذا المصحف الذي بذلت الجهود العظيمة في كتابته، وقورن وقوبل كلّ ما كان متداولاً مخطوطاً ومحفوظاً من القرآن بسبيل ذلك».

(١) انظر: كتاب بهجة الجنان في تاريخ تدوين القرآن، لمحمد عناية الله أسد سبحاني، ص١٠.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ج١، ص٤٣، وانظر: زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، ج١، ص١٠.

وأمَّا العرضُ على النبي صلى الله عليه وآله فأيضاً هذا لا يقتضي أنَّه كان مكتوباً منظماً ومرتباً، خصوصاً أنَّه لم يكتمل حينذاك، وأقصى ما يقتضيه أنَّه عُرِضَ عليه صلى الله عليه وآله بعضُ الآيات أو السِّور، لا أنَّه عُرِضَ عليه المصحف الموجود بين الدفتين.

الدليل الثاني: ما ذكره السيد الخوئي من أنَّ: **"كثيراً من آياتِ الكتاب الكريمة دالَّةٌ على أنَّ سور القرآن كانت متميِّزةً في الخارج بعضُها عن بعض، وأنَّ السِّور كانت منتشرةً بين الناس، حتى المشركين وأهل الكتاب؛ فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله قد تحدَّى الكفار والمشركين على الإتيان بمثل القرآن، وبعشر سور مثله مفتريات، وبسورة من مثله، ومعنى هذا: أنَّ سور القرآن كانت في متناول أيديهم"**[1].

ويرد عليه: أنَّ كون القرآن الكريم في متناول أيديهم لا يلزم منه تدوينه بين الدفتين، فمن الممكن كما حصل عند التحدِّي مع بعضهم أنْ يقرأ النبي صلى الله عليه وآله سورة معينة ويعرضها عليهم للتحدي، بل حتى لو افترضنا أنَّه صلى الله عليه وآله كانَ يعرض عليهم بعض السور مكتوبة، ولكن ذلك لا يقتضي الجمع والترتيب في المصحف كما هو المدعى، خصوصاً وأنَّ التحدي إنّما كان في بداية الدعوة ولم يتنزل أكثر السور بعد.

الدليل الثالث: ما ذكره أيضاً من إطلاق لفظ الكتاب على القرآن في بعض الآيات، وهو لا يصحُّ إلا على المكتوب المجموع، قال: **"وقد أُطلق لفظُ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وفي قول**

(١) البيان في تفسير القرآن، ص٢٥١.

النبي ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»، وفي هذا دلالة على أنَّه كان مكتوباً مجموعاً؛ لأنَّه لا يصحُّ إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما كتب في اللخاف، والعسب، والأكتاف، إلا على نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة، فإنَّ لفظ الكتاب ظاهرٌ فيما كان له وجود واحد جمعي، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزأً غير مجتمع، فضلا عمَّا إذا لم يكتب، وكان محفوظاً في الصدور فقط"[١].

وذكر هذا الدليل أيضاً السيد شرفُ الدين فقال: "وقد كان القرآن زمن النبي ﷺ يطلق عليه الكتاب قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(البقرة: ٢)، وهذا يُشعرُ بأنَّه كان مجموعاً ومكتوباً، فإنَّ ألفاظَ القرآن إذا كانت محفوظةً ولم تكن مكتوبةً لا تُسمَّى كتاباً، وإنَّما تسمَّى بذلك بعد الكتابة كما لا يخفى"[٢].

والجواب:

أولاً: إنَّ هذا الدليل يعتمد على الظهور، وهو على فرض تسليمه لا يصحُّ في المقام؛ حيث إنّ المطلوب دليل يورث اليقين أو الاطمئنان لا مجرّد الظن.

وثانياً: إنَّ إطلاق لفظ الكتاب على القرآن الكريم من غير المعلوم إرادة المعنى اللغوي المتعارف لدينا اليوم، بل من المعلوم صحَّة إطلاقه

(١) البيان في تفسير القرآن، ص٢٥١.

(٢) أجوبة مسائل جار الله، السيد عبد الحسين شرف الدين، ص٣٧.

على الصحف والأوراق والرسائل، حيث يقال كتب كتاباً إلى القبيلة الفلانية مثلا، وهكذا.

ثم إنَّه بملاحظة الآيات الشريفة يمكن القول بأنَّ الاستعمال القرآني لهذه اللفظة يختلف عن المعنى المتعارف، قال تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾(طه: ٥٢). وكذلك تسمية المسيح واليهود بأهلِ الكتاب، فهل يشار إلى الكتاب المكتوب بين دفتين؟!

وكذلك ما ورد في لفظ التنزيل والإنزال كقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(السجدة: ٢)، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ..﴾(ص: ٢٩)، وقوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ..﴾(الحج: ١٦)، فهل هو إنزال وتنزيل كتاب مكتوب بين دفتين؟!

الدليل الرابع: أنَّه وردَ في الروايات ما يدلُّ على أنَّ هناكَ مجموعةً من الصحابة قد جمعوا القرآن الكريم:

منها: مسند أحمد والبخاري عن قتادة عن أنس قال: **"جمعَ القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ أربعة نفرٍ كلُّهم من الأنصار؛ أُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد"**(١).

ومنها: وعن عامر الشعبي قال: **"جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار؛ زيد بن ثابت، وأبو زيد، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن**

---

(١) مسند أحمد، ج٣، ص٢٣٣، البخاري، ج٤، ص٢٢٩.

عبادة، وأبي بن كعب، وكان جارية بن مجمع قد قرأه إلا سورةً أو سورتين"[١].

ومنها: عن ابن أبي داود من طريق محمد بن كعب القرظي قال: "جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار؛ معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري، و إسناده حسن مع إرساله"[٢].

ومنها: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "جمعت القرآن، فقرأت به في كلِّ ليلة، فبلغَ ذلك رسولُ الله ﷺ فقال: إنِّي أخشى أن يطول عليك زمان أن تمل، اقرأه في كلِّ شهر، قلت: يا رسول الله، دعني أستمتع من قوّتي وشبابي، قال: اقرأه في كلِّ عشرين، قلت: يا رسول الله، دعني أستمتع من قوّتي وشبابي، قال: اقرأه في عشر، قلت: يا رسول الله، دعني أستمتع من قوّتي وشبابي، قال: اقرأه في كلِّ سبع، قلت: يا رسول الله، دعني أستمتع من قوّتي وشبابي، فأبى"[٣].

ويرد عليها:

نفس ما أورده السيد الخوئي على روايات الجمع في زمن الصحابة، فإنَّها روايات ضعيفة على مبانينا، واختلافها في عدد الجامعين، ومخالفتها القطعية للواقع ولمقتضى الحال من أولوية أمير المؤمنين عليه السلام بالحفظ والجمع، حيث كان الملازم للرسول ﷺ، وكان يعرض عليه

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج٢، ص٢٦١.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ج٩، ص٤٨.

(٣) مسند أحمد، ج٢، ص١٦٣.

كلّ ما نزل، وهو من كُتّاب الوحي. ولم تذكره هذه الروايات.

ثمَّ إنَّ الجمع وإن كان ظاهراً في المكتوب، ولكنَّه لا يستلزم الجمع بين الدفتين، فربما هي صحفٌ متفرِّقة، بالإضافة إلى احتمال أن يكون معنى الجمع ليس هو الكتابة في الصحف، بل بمعنى القراءة على النبي صلى الله عليه وآله أو ما شابه ذلك، كما ربما يشير إليه ما في رواية الشعبي المتقدِّمة في قوله: **"وكان جارية بن مجمع قد قرأه إلا سورةً أو سورتين"**.

الدليل الخامس: النّصوص والآثار الأخرى

هناك عدة نصوص متناثرة يمكن أن تولِّد اطمئناناً على جمعِ القرآن الكريم زمن النبي صلى الله عليه وآله؛ خصوصاً إذا ضممنا إليها الأدلّة السابقة حيث تشكِّلُ قرائنَ تدعم هذا المدعى، وهي واردة من طرق الفريقين.

- **أمّا ما ورد من طرق الخاصة:**

١. الكافي، عن روح بن عبد الرحيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألتُه عن شراءِ المصاحف وبيعِها فقال: «**إنَّما كان يوضعُ الورقُ عند المنبر، وكان ما بين المنبر والحائط قدر ما تمرُّ الشاة أو رجل منحرف**» قال: «**فكان الرجل يأتي ويكتب من ذلك، ثمَّ إنهَّم اشتروا بعد ذلك**». قلت: فما ترى في ذلك؟ قال لي: «**أشتري أحبُّ إليَّ من أن أبيعه**»، قلت: فما ترى أن أعطي على كتابته أجراً؟ قال: «**لا بأس، ولكن هكذا كانوا يصنعون**»[1].

---

(١) الكافي، الكليني، ج٥، ص١٢٢.

٢. تهذيب الأحكام: ".. عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عن بيع المصاحف وشرائها فقال: «إنّما كان يوضع عند القامة والمنبر»قال: «وكان بين الحائط والمنبر قيد ممر شاة ورجل وهو منحرف، فكان الرجل يأتي فيكتب البقرة ويجئ آخر فيكتب السورة وكذلك كانوا، ثم إنّهم اشتروا بعد ذلك»، فقلت: فما ترى في ذلك؟ فقال: «أشتريه أحبُّ إلى من أنْ أبيعه»[(١)].

والظاهر أنَّ الإمام عليه السلام يخبر عن زمن النبي صلى الله عليه وآله، ويؤيّده ما رواه في صحيح مسلم عن يزيد يعني ابن أبي عبيد عن سلمة وهو ابن الأكوع: "أنَّه كان يتحرَّى موضع مكان المصحف يسبح فيه، وذكر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتحرَّى ذلك المكان، وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة"[(٢)].

٣. جبلة بن سحيم عن أبيه عن أمير المؤمنين قال: «لو ثنيت لي الوسادة، وعرف لي حقي، لأخرجتُ مصحفاً كتبتُه، وأملاه عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله[(٣)]». وهذا الحديث يتحدَّث عن (مصحف)، وأنّه بإملاءِ النَّبي صلى الله عليه وآله، ممَّا يدلُّ على حصوله في زمن النبي صلى الله عليه وآله لا بعده.

■ وأمَّا من طرق العامة:

١. مسند أحمد: عن أبي أمامة الباهلي، قال: لَمَّا كان في حجة الوداع قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أيّها الناس خذوا من العلم قبل أنْ يقبض العلم،

(١) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٦، ص٣٦٦.
(٢) صحيح مسلم، ج٢، ص٥٩.
(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج١، ص٣٢٠.

وقبل أن يرفع العلم»، وقد كان أنزل الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾(المائدة: ١٠١)، (إلى قال الراوي): فأتينا أعرابيا فرشوناه برداء.. ثمَّ قلنا له: سل النبي ﷺ قال: فقال له: يا نبيَّ اللهَ كيف يرفع العلم منَّا وبين أظهرنا المصاحف، وقد تعلَّمنا ما فيها، وعلَّمناها نساءنا وذرارينا وخدمنا، قال: فرفع النبي ﷺ رأسه، وقد علت وجهه حمرةٌ من الغضب، قال: فقال: «**أي ثكلتك أمك، وهذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف، لم يصبحوا يتعلّقوا بحرف مما جاءتهم به أنبياؤهم، ألا وإنَّ من ذهاب العلم أن يذهب حملته**»[(١)].

والتعبير بـ«بين أظهرنا المصاحف» تدلّ على انتشارها، والتعبير بالمصاحف دون الصحف يدل على أنَّها بين دفتين، وليست صحف متفرِّقة.

٢. السنن الكبرى: عن علي بن الحسين عن ابن عباس قال: "**كانت المصاحف لا تباع، كان الرجل يأتي بورقه عند النبي صلى الله عليه[وآله] وسلم فيقوم الرجل فيحتسب فيكتب، ثم يقوم آخرفيكتب، حتى يفرغ من المصحف!**"[(٢)].

وهذه الرواية تدلُّ على وجود مصحف يرجع إليه لنسخ من يريد من القرآن.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٢٦٦، ومجمع الزوائد، ج١، ص١٩٩.

(٢) السنن كبرى، البيهقي، ج٦، ص١٦، وقريب منه في الدر المنثور عن ابن أبي داوود، ج١، ص٨٣.

٣. شعب الإيمان للبيهقي: عن أنس، قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يجري للعبد أجرهن من بعد موته وهو في قبره: من علّم علماً، أو كرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلا، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته**»(١).

٤. مسند أحمد والبخاري ومسلم، عن ابن عمر: «**أنَّ رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أنْ يناله العدو**»(٢)، مما يشير إلى أنَّ المسلمين كانوا يحملون معهم القرآن الكريم.

٥. السنن الكبرى: عن عمرو بن حزم: "**أنّ رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن بكتابٍ فيه الفرائض والسنن والديات.. وفيه: «ولا يمس القرآن إلا طاهر**»"(٣)، وهو يدلُّ على بعث القرآن مدوناً لأهل اليمن.

٦. المعجم الكبير: عن أبي محرز أنَّ عثمان بن أبي العاص وفد إلى رسول الله ﷺ مع ناسٍ من ثقيف، فدخلوا على النبي ﷺ فقالوا له احفظ علينا متاعنا أو ركابنا، فقال: على أنَّكم إذا خرجتم انتظرتموني حتى أخرج من عند رسول الله ﷺ قال: فدخلتُ على رسول الله ﷺ، فسألته مصحفاً كان عنده، فأعطانيه، واستعملني عليهم وجعلني إمامهم" (٤).

(١) شعب الإيمان، البيهقي، ج٣، ص٢٤٨، ومجمع الزوائد، الهيثمي، ج١، ص٦٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص٧ و٥٥، وصحيح البخاري، ج٤، ص١٥، وصحيح مسلم، ج٦، ص٣٠.

(٣) السنن الكبرى، البيهقي، ج١، ص٨٨ و٣٠٩.

(٤) المعجم الكبير، الطبراني، ج٩، ص٦١، والآحاد والمثاني، للضحاك(م٢٨٧)، ج٣، ص١٩١.

وهذا الحديث يدلُّ على أنَّ النبي ﷺ لديه أكثر من نسخة من المصحف، وإلا لما أعطاه للسائل.

٧. المعجم الكبير: قال رسول الله ﷺ: «**قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك ألفي درجة**»(١).

٨. مجمع الزوائد، عن واصل قال: "**أدركت رجلاً من أصحابِ النبي ﷺ يقال له ناجية الطفاوي، وهو يكتب المصاحف..**"(٢).

وهذه الروايات وإن كان يمكن المناقشة في بعضها سنداً أو دلالة إلا أنَّها قد تورث ظناً قويّاً بوجود المصاحف بالمعنى المختلف فيه زمن النبي ﷺ، وأنَّها كانت منتشرةً على نطاق واسع.

الدليل السادس: حكم العقل

استدلَّ البعضُ بالدليل العقلي على التدوين زمن النبي ﷺ، وقال السيد الخوئي في بيانه في تفسير البيان ما لفظه: "**إنَّ عظمة القرآن في نفسه، واهتمام النبي ﷺ بحفظه وقراءته، واهتمام المسلمين بما يهتم به النبي ﷺ، وما يستوجبه ذلك من الثواب، كلُّ ذلك ينافي جمع القرآن على النحو المذكور في تلك الروايات، فإنَّ في القرآن جهات عديدة كلُّ واحدة منها تكفي لأن يكون القرآن موضعاً لعناية المسلمين، وسبباً لاشتهاره حتى**

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج١، ص٢٢١.
(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج١، ص٢٩٣.

بين الأطفال والنساء منهم، فضلا عن الرجال"[١].

وقد ذكر هذا الدليل السيد الحكيم بشرحٍ مسهب من خلال خمس نقاط وسمّاه (طبيعة الأشياء)، واختصارها:

١. أهمية القرآن الكريم، وكونه المرجع الفكري الوحيد للمسلمين مما يقتضي الاهتمام الكبير به.

٢. خطر تعرض القرآن للتحريف من دون تدوينه في الصحف.

٣. إدراك النبي صلى الله عليه وآله لهذا الخطر.

٤. إمكانية التدوين ومع وجود المانع من ذلك.

٥. إخلاص النبي صلى الله عليه وآله وحرصه على الدين والقرآن الكريم[٢].

ومن الممكن الإضافة إلى ذلك: أنَّ ما تواتر من وجود عدد كبير جداً من حُفَّاظ القرآن الكريم من الصحابة يدلُّ على التدوين، ببيان أنَّ هذا الحفظ من هؤلاء القُرَّاء كيف كان؟ ألم يكونوا محتاجين إلى ترديده حتى يُحفظ، وبعد الحفظ ألا يتعرَّضون للنسيان بحيث يحتاجون إلى الرجوع إليه، وهذا يقتضي تدوينه لديهم حتى يرجعوا إليه وقت الحاجة وعند النسيان.

وقد يجاب على هذا الدليل:

أنَّ الغاية من التدوين إذا كان هو حفظ القرآن من الضياع،

(١) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ص٢٥٣.

(٢)انظر: علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ص١٠١-١٠٥.

فهذا يتحقَّق مع علم النبي صلى الله عليه وآله أنَّه لا يضيعُ بعدَه، إمَّا لوجود أميرِ المؤمنين عليه السلام وتصدِّيه لأيِّ محاولة لتحريفه أو أنَّ اللهَ سبحانَه يُهيئ الظروف لتدوينه ولو كان على يد الصحابة، ويمكن تبريرُ ذلك وبيان وجه الحكمة فيه، أنَّه أدعى للحفظ؛ لأنَّهم سيعتبرون أنَّ ذلك فخراً ومنقبةً لهم حيث جرى على أيديهم، وبالتالي لن يغيِّروه بعد ذلك، وهذا يعتبر من الأسباب الطبيعية للحفظ.

والذي لا يمكن تصوُّر صدوره من قبل النبي صلى الله عليه وآله إنّما هو إغفال هذه المسألة، وعدم إيصاء أحد بها، وأمَّا مع الوصية والتأكيد فلا محذور عقلي في ذلك، ما دام أنّ الغرض يتحقق، بل حتى مع عدم تحققه كما في مسألة حادثة اتهامه بالهجر عندما طلب الدّواة والكتف، فعدم كتابته ذلك كان لوجود مصلحة، فإذا احتملنا هنا أيضاً وجود مصلحةٍ ما -حتى لو كنّا نجهلها-، فيكفي ذلك في عدم صحة الدليل العقلي الذي يجب أن تكون نتيجته قطعية.

نعم، يبقى أنَّ هذا الدليل يشكّل قرينة قويَّة على التدوين في زمن النبي صلى الله عليه وآله، وبانضمامه إلى بقية القرائن قد يحصل للباحث يقيناً أو اطمئناناً بذلك.

المطلب الرابع: أدلّة النافين

في المقابل استدلَّ القائلون بحصول التدوين في زمن الصحابة بعدِّة أدلة، من أهمِّها:

الدليل الأول: أنَّ القرآن لَمَّا لم يكتمل بعدُ، وكانت الآيات تتوالى في النزول، فإنَّ وضعَه بين دفتين يقتضي تغييره مرَّات عديدة، وذلك يخالف الحكمة من تدوينه بين الدفتين، ممَّا يقتضي عدم الجمع.

والجواب:

أنَّ هذا الدليل الذي ذكرَه كثيرٌ من النّافين للجمع زمن النبي ﷺ إنّما كان كلامُهم تعليلاً لعدم الجمع؛ أيْ كأنَّهم قد فرغوا من ثبوت الجمع بعد رحيل النبي ﷺ، فكان كلامهم رداً على إشكال عدم جمعه من قبل النبي ﷺ.

وعلى كلِّ حال إنَّ عدم اكتمال القرآن الكريم لا يدلُّ على كلامهم؛ لأنَّه من الممكن ترتيب الصحف على وفق ما يريده النبي ﷺ وكلّما نزل شيءٌ وضعه في ذلك المصحف في مكانه المناسب، ولا يلزم التغيير والتبديل.

ويبدوا أنَّ بعض العامة الذين ذكروا هذا الدليل اعتمدوا فيه أيضاً على القول بنسخ التلاوة[1]، بمعنى أنَّ بعض الآيات أو السور تنسخ فيقتضي ذلك حذفها بعد تثبيتها في المصحف، ولكنّنا لا نقبل القول بنسخ التلاوة، بل نعتبر ذلك من القول بالتحريف.

ثم إنَّ آخر آية نزلت من القرآن الكريم هي آية إكمال الدين، نزلت يوم ١٨ ذي الحجّة، وبين ذلك وبين رحيل النبي ﷺ أكثر من شهرين،

---

(١) انظر: البرهان، الزركشي، ج١، ص٢٣٥.

ألم يكن الوقت كافياً لجمع القرآن وهي جاهزة في الصحف؟!

الدليل الثاني: قد يستدلُّ على عدم التدوين زمن النبي صلى الله عليه وآله بأنَّ أدواتَ الكتابة لم تكن متوفِّرةً بكثرة، بسبب عدم معرفة غالبية العرب للكتابة إلا قلّة منهم، وكتابة القرآن -بهذا الحجم الكبير نسبياً- يحتاج إلى صُحُفٍ كثيرةٍ جداً، ولذلك إنّما كُتب على كتف الحيوانات وعظامها وصفائح الحجارة.

والجواب: أنَّ هذا غير مسلَّم بشكل مطلق، فإنَّه وإن لم يكن غالبية العرب يعرفون القراءة، وكانوا يعتمدون على الحفظ، ولكن لم تكن أدوات الكتاب نادرة بشكلٍ تمنع من تدوين القرآن الكريم.

بل هناك من الروايات الدالَّة على وجودِ الكتابة في شتَّى الأمور الحياتية، ففي زمن الجاهلية كانت المعلَّقات السبع، وقد كتبتْ قريشُ كتاب المقاطعة ووضعته في الكعبة، وأوَّل آية نزلت كانت تتحدَّثُ عن الكتابة بالقلم: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾(العلق: ٤)، وفي سورة القلم: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(القلم: ١).

وقد جاء في قصَّة إسلام عمر: **"قال أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه، قال: وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت أخته: إنَّك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل...، فقام عمر فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ طه.."**[(١)]، وهذا يعني التسليم بوجود الكتابة في ذلك الوقت المبكِّر من

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٣، ص٢٦٨.

الإسلام، حتى لو لم تصحّ هذه الرواية.

وكتابة صلح الحديبية، وكذلك كان النبي صلى الله عليه وآله يكتب الكتب لإنفاذها مع الرسل الذين يرسلهم للدعوة.

وما ورد عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه "قال: «أكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من النّاس»، فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل، فقلنا: نخاف ونحن ألف وخمس مائة؟!.."(١).

وقيل إنّ: "الزبيرابن العوّام وجهم بن سعد يكتبان أموال الصّدقة، وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص النّخل، وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نميريكتبان المداينات والمعاملات"(٢).

وعن أبي قلابة "أنّ عمربن الخطاب مرّ برجل يقرأ كتاباً سمعه ساعة فاستحسنه، فقال للرجل: أتكتب من هذا الكتاب؟ قال: نعم، فاشترى أديماً لنفسه ثم جاء به إليه، فنسخه في بطنه، وظهره، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وآله فجعل يقرأه عليه، وجعل وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتلوّن، فضرب رجل من الأنصار بيده الكتاب، وقال: ثكلتك أمك، يا ابن الخطاب! ألا ترى إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله منذ اليوم، وأنت تقرأ هذا الكتاب، فقال النبي صلى الله عليه وآله عند ذلك: «إنّما بعثت فاتحاً وخاتماً، وأعطيت جوامع الكلم، وفواتحه، واختصرلي الحديث اختصاراً، فلايهلكنكم المتهوكون»"(٣).

(١) صحيح البخاري، ج٤، ص٣٤.

(٢) نهاية الإرب في فنون الأدب، النّويري، ج١٨، ص٢٣٦.

(٣) المصنف، ابن أبي شيبة، ج٦، ص١١٣.

مما يشير إلى سهولة الحصول على ما يكتب عليه.

وعن أبي قبيل قال: " **كنَّا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي، وسئل أيِّ المدينتين تفتح أولاً، القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ أيّ المدينتين تفتح أولا قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «مدينة هرقل تفتح أولاً»، يعنى قسطنطينية**"(١).

وكذلك آية الدين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ..﴾(البقرة: ٣٣).

وهذا يعني ازدياد عدد العارفين للكتابة، وتوفر الأدوات حتى في السفر.

الدليل الثالث: روايات جمع الأمير عليه السلام للمصحف

وهي وروايات متعدّدة وصريحةٌ في عدمِ حصول الجمع بشكلٍ مرتَّبٍ وكامل في زمن النبي ﷺ، وإنّما تدلُّ على أنّه كان متناثراً، نذكر منها:

١. ففي تفسير القميّ: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ رسول الله ﷺ قال لعلي: يا علي القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه، ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة، فانطلق**

(١) مسند أحمد، ج٢، ص١٧٦.

علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر، ثمَّ ختَمَ عليه في بيته، وقال: لا أرتدي حتى أجمعه، فإنَّه كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه».. عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما أحدٌ من هذه الأمّة جمع القرآن إلا وصيّ محمد صلى الله عليه وآله»[١].

٢. وفي مناقب آل أبي طالب: "عن ابن عباس في قوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾(القيامة: ١٦)، كان النبي يحرّك شفتيه عند الوحي ليحفظه، وقيل له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾، يعني بالقرآن ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ من قبل أن يفرغ به من قراءته عليك، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، قال: ضمن اللهُ محمداً أنْ يجمع القرآن بعد رسول الله علي بن أبي طالب عليه السلام. قال ابن عباس: "فجمع اللهُ القرآن في قلب علي، وجمعه علي بعد موت رسول الله بستة أشهر".

وفي أخبار ابن أبي رافع: أنَّ النبي قال في مرضه الذي توفى فيه لعليّ: «يا عليّ، هذا كتابُ اللهِ خُذه إليك، فجمعه عليٌّ في ثوبٍ فمضى إلى منزله، فلمّا قبض النبي صلى الله عليه وآله جلس علي عليه السلام، فألّفه كما أنزله الله، وكان به عالما»"[٢].

٣. وعن علي عليه السلام قال: «لمّا قُبض رسول الله أقسمت لو حلفت أن لا أضع رداي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت رداي حتى

(١) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج٢، ص٤٥١.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج١، ص٣١٩.

جمعت القرآن»(١).

٤. الخصال: في حديث طويل عن الأمير عليه السلام: «وأمّا الخامسة والخمسون، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: سيفتتن فيك طوائف من أمتي فيقولون: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخلِّف شيئاً فبماذا أوصى علياً؟ أو ليس كتاب ربي أفضل الأشياء بعد الله عزّ وجلّ؟! والذي بعثني بالحقِّ لئن لم تجمعه بإتقانٍ لم يجمع أبداً "فخصَّني الله عزّ وجلّ بذلك من دون الصحابة"»(٢).

٥. وورد عنهم عليهم السلام أيضاً: "أنَّه آلى أن لا يضع رداءه على عاتقه إلا للصلاة حتى يؤلِّف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدَّة إلى أنْ جمعه، ثمَّ خرج إليهم به في إزار يحمله، وهم مجتمعون في المسجد فأنكروا مصيره بعد انقطاع مع البتة فقالوا: لأمر ما جاء به أبو الحسن، فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم ثم قال: «إنّ رسول الله قال: إنّي مخلف فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وهذا الكتاب، وأنا العترة»، فقام إليه الثاني فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما، فحمل عليه السلام الكتاب، وعاد بعد أن ألزمهم الحجة"(٣).

وهذه الروايات تكاد تكون صريحةً على المدَّعى، والظاهر أنَّها مقبولة عند الفريقين إجمالاً، فبعد التسليم بأصل الحادثة يصعب القول بأنَّ القرآن كان مدوناً زمن النبي صلى الله عليه وآله والاطمئنان بذلك، إلا

(١) المصدر السابق، ج١، ص٣٢٠.

(٢) الخصال، الصدوق، ص٥٧٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٣٢٠.

أن تؤوَّل هذه الروايات على أنَّ المقصودَ بالجمع ليس هو مجرَّد جمع القرآن خالياً من التوضيح والتفسير والتأويل، ومما يؤيد ذلك الرواية الأخيرة التي قال فيها عمر: «إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما» فإنَّه يفهم من كلامه أنَّ الجمع كان موجوداً لديهم أيضاً، وإنّما رفض ما جاء به علي عليه السلام؛ إمَّا لأنَّ قبوله يكون تصديقاً بقوله، فيلزمهم اتباعه فيما يقول في أمر العترة، وإما كما قيل لاحتواء ما جاء به عليه السلام مشتملاً على التأويل.

الدليل الرابع: الدليل العقلي

من الممكن ذكر دليل عقلي -ملفَّق من وقائع تاريخية- على عدم تدوين القرآن زمن النبي صلى الله عليه وآله وذلك من خلال البيان التالي:

على فرض وجود القرآن بين الدفتين زمن النبي صلى الله عليه وآله، يمكن أن نتسائل: هل كان على ترتيب النزول، أم كما هو الآن؟

فإن كان الأوَّل، فلماذا غيَّروهُ؟ ولماذا لم يَعترض أحدٌ على ذلك؟ ولم ينقل لنا التاريخ أنَّ أحداً امتنع عن قبول الترتيب الجديد لمخالفته ما عنده كما حدث في توحيد القراءات وامتنع ابن مسعود عن قبول القراءة التي اختارها عثمان خلافاً لقراءته الخاصة.

وإنْ كان الثاني، فما هو معنى ما نقل بأنَّ مصحفَ الأمير عليه السلام كان على ترتيب النزول؟! يعني خلافاً للترتيب الذي أمر به النبي صلى الله عليه وآله حسب الفرض!

النتيجة:

أنَّ الأدلَّة من الطرفين متعارضة ومتضاربة، ولا يمكن القطع برأي معيَّن في ذلك، وإن كانت النفس تميل حسب الأدلّة المتقدِّمة إلى حصول التدوين زمن النبي صلى الله عليه وآله؛ وذلك لأنَّ المنقول عن جمع أبي بكر أنَّه لم ينشر هذه النسخة، بل بقيت محفوظةً في بيت الخلافة وكانت عند حفصة، وهذا يعني أنّ المسلمين كانت لهم نسخ أخرى متداولة غير نسخة الخلافة.

وأما ما نقل عن عثمان من الجمع -كما تقدّم في المقدّمة- إنّما هو جمع الناس على قراءة واحدة، وليس جمع القرآن بين دفتين، وهذا يعني وجود النسخ بين الناس قبل ذلك، فلم يبق إلا القول بأنَّ الجمع حصل في زمن عمر، وهذا لو كان موجوداً لذاع صيتُه، ووصلتنا أخبارُه كفضيلة من فضائله، بينما نرى روايات العامة إنّما تذكر الجمع في زمن أبي بكر وعثمان، ولم تركِّز على الجمع أيّام عمر على فرض وجوده(١).

والله العالم بحقائق الأمور، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) من مصادر البحث:

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ أجوبة مسائل جار الله، عبد الحسين شرف الدين، مطبعة العرفان، صيدا، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٣م.

٣ـ الآحاد والمثاني، الضحاك(م٢٨٧)، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٤ـ بحوث في تدوين القرآن وعلومه، مير محمدي زرندي، مؤسسة النشر الإسلامي (جماعة المدرسين)، قم المقدسة، الطبعة الأولى المحققة، ١٤٢٠هـ.

٥ـ البرهان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم لزركشي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٦ـ البيان في تفسير القرآن(موسوعة الإمام الخوئي:٥٠)، أبو القاسم الخوئي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم المقدسة.

٧ـ بهجة البيان في تاريخ تدوين القرآن، محمد عناية الله أيد سبحاني، مؤسسة نظام القرآن، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٨ـ تلخيص التمهيد، محمد هادي معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي (جماعة المدرسين)، قم المقدسة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.

٩ـ تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤هـ ش.

١٠ـ الخصال، محمد بن الحسين الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار النشر الإسلامي (جماعة المدرسين)، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ.

١١ـ زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٢ـ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٣ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر (طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول)، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

١٤ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٥ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٢هـ.

١٦ـ علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ.

١٧ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٨ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٩ـ مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت لبنان.

٢٠ـ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

٢١ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن شهر آشوب، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٥٦هـ/ ١٩٧٦م.

٢٢ـ الميزان في تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، ، ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ.

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

نقد مقالة ‹التفسير الموضوعي، مآزقه وإشكالياته›

السيد ياسين السيد قاسم الموسوي

الملخّص:

يناقش الكاتب في هذا المقال بعض الأفكار حول التفسير الموضوعي ذكرت في مقالة بعنوان (التفسير الموضوعي، مآزقه وإشكالياته) وذكر بعض الأجوبة عليها، مثل: انعدام مفهوم واضح لهذا النوع من التفسير، عرض أفكار مختلفة خارجة عن القرآن حال التفسير بحجة التفسير الموضوعي... وغيرها التي أوصلها إلى تسعة عشر مورداً وأجاب عنها بالإجمال.

مقدمة:

ليس كلّ جديد لا يمكن قبوله[١]، وليس كلّ فكرة إبداعية لا بد أن تعتورها الآفات والمشاكل وتؤدّي إلى رفضها، نعم لا يمكن أن تبدأ المحاولة الأولى كاملة تامة من جميع الجوانب.

والقرآن الكريم بحر عميق ومحيط واسع، وكلّما ابتكرت أنحاء وتعددت أساليب لتفسيره وطرق فهمه كان ذلك سبباً لاقترابنا من آفاقه أكثر، على أن تكون هذه الأنحاء والأساليب والطرق والوسائل علميّة صحيحة، وبذلك نكون قد ظفرنا بغنيمة تدرّ علينا أنواع الفوائد.

وإنَّ علم التفسير وأقسامه وأنحائه لم يجمد على طريقة وأسلوب واحد منذ عصر نزوله إلى يومنا هذا، بل شهد تطوراً كبيراً عبر مراحل متعددة إلى أن وصل اليوم إلى ما هو عليه من السعة والتنوّع.

وإنّ تطوّر العلم ومناهجه وتجدد آلياته له دور في تطوّر فهم النص القرآني وتجدد أساليب التعامل معه، وقد اهتمّ علماء الإسلام عبر الأجيال بالقرآن الكريم اهتماماً كبيراً فتنوّعت دراساتهم حوله وكان أهمّها تفسيره إلا أنّه اقتصر على لون واحد منه وهو أشهر أنحائه أعني «التفسير الترتيبي»، إلى أن استحدث أسلوب جديد في الآونة الأخيرة سمّي بـ«التفسير الموضوعي».

---

(١) خصوصاً مع وجود أدلّة على جوازه، بل وقوعه على يد المعصوم عليه السلام كما هو الحال مع التفسير الموضوعي، انظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المبيدي، ص ٤٠٢.

وإنَّ التفسير الموضوعي لا يستغني عمّا سبقه من أنحاء التفسير خصوصاً التفسير الترتيبي التجزيئي، إذ يعدّ الترتيبي مقدّمة للموضوعي؛ **«لأنّه عن طريق ذلك يمكن الحصول على كثيرٍ من القرائن الموجودة في الآيات السابقة واللاحقة للآية (السياق)، ولا يحصل هذا الأمر إذا ما أخذنا التفسير الموضوعي لوحده»**(١).

وإنّنا وإن فضّلنا الموضوعي على التجزيئي إلا أنّنا لا يمكن أن نستغني عنه، ولهذا يقول رائد التفسير الموضوعي في عصرنا الحاضر وهو السيد الشهيد محمد باقر الصدر: **«إذن التفسير الموضوعي في المقام هو أفضل الاتجاهين في التفسير، إلا أنّ هذا لا ينبغي أن يكون المقصود منه الاستغناء عن التفسير التجزيئي، هذه الأفضلية لا تعني استبدال اتّجاه باتّجاه... وإنّما إضافة اتجاه إلى اتّجاه؛ لأنّ التفسير الموضوعي ليس إلا خطوة إلى الأمام بالنسبة إلى التفسير التجزيئي، ولا معنى للاستغناء عن التفسير التجزيئي بالاتجاه الموضوعي»**(٢).

حول مقالة: «التفسير الموضوعي، مآزقه وإشكالياته»(٣)

المقالة من عنوانها نعرف أنّها نقديّة ونقضية، وقد تعرّض الكاتب فيها إلى مجموعة من المناقشات التي تصل إلى عشرين مناقشة حول التفسير الموضوعي، وقد تنوّعت هذه المناقشات حيث توجّهت إلى التعريف،

(١) دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمد علي الرضائي الأصفهاني، ص٣١٤.

(٢)المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر، ص٤٢.

(٣) للكاتب الشيخ علي سراقي،٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة «نصوص معاصرة»، فصليّة، العدد ٢٦، ص٨١.

وإلى مراحل جمع الآيات، وإلى مرحلة استخلاص النّظرية منها.

نعم، سنلاحظ أنّه وإن وجّه إشكالاته إلى التفسير الموضوعي إلا أنّها في أغلبها غير متّجهة، وإن اتجهت فإنّها لا ترد على التفسير الموضوعي نفسه وإنّما على المتصدّي له، بل على كلّ مفسِّر سواء كان موضوعياً أو تجزيئياً لم يتحلَّ ببعض الصفات العلميِّة في مقام البحث العلمي.

وقد قسّمها على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: حول تعريف التفسير الموضوعي

- **المناقشة الأولى: على التعريف**

يقول الكاتب: «**الملاحظ أنّ عدم إعطاء تعريف دقيق للمراد بالتفسير الموضوعي فتح المجال أمام إدراج بعض أنواع التفسير للقرآن، أو بعض المعارف المتعلقة بالقرآن تحت لواء التفسير الموضوعي...**»[(١)].

-الجواب:

من أجل أن نحاكم فكرة معيّنة لا بد أن نحدد أُطُرها ونستجلي أبعادها بصورة واضحة، وهو ما يسمّى بـ«تحرير محلّ النزاع»، أمّا جعل المشترك اللفظي الذي تعدّد فيه الوضع لمعاني مختلفة من دون تعيين المعنى المراد من بينها، ومن ثَمّ توجيه الإشكال على الجميع

(١) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة «نصوص معاصرة»، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١١٦.

بعدم الوضوح، فهذا يعني كون المشكلة في مرحلة التصوّر وهو عدم إدراك كونه متعدّد المعاني، فلا نصل إلى مرحلة الحكم.

ولهذا فقد غاب عن ذهن الكاتب أنَّ هناك أكثر من تعريف للتفسير الموضوعي قديماً وحديثاً، عند العامة والخاصة وهي مختلفة موضوعاً، وقد عبّر عنها بعض الباحثين بألوان التفسير الموضوعي(١)، وبناءً على الاختلاف في التعاريف تدخل بعض الموضوعات والأبحاث ضمن ما يسمّيه البعض بالتفسير الموضوعي على بعض المباني ويخرج بعض آخر.

وإذا ما أراد أن يحاكم تعريفاً من التعاريف فينبغي أن يحدّده بعينه، أو أن يعمد إلى محاكمة آخر ما توصّل إليه علماء الفن من تعريف لهذا العلم أو ذاك، أو أن يسلّط الضوء على تعاريف طائفة أو فئة أو مدرسة معينة، أو التحديد بإحدى طريقتي التفسير الموضوعي وهما: «**من داخل القرآن أو من خارج القرآن**»(٢).

القسم الثاني: أخطاء تلحق مراحل اختيار الموضوع

■ المناقشة الثانية: خروج بعض المواضيع عن النظرية القرآنية

يقول الكاتب: «**اتباع التفسير الموضوعي لا يعني أن يأتي المفسر بكلّ موضوع خارجيّ من العلوم التي يتمّ ابتكارها أو اكتشافها يوماً بعد يوم، ثم يحاول أن يجعلها قرآنية بحيث يسقط عليها مدلول الآيات، ثم يدّعي في**

(١) انظر: الميبدي، محمد فاكر، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المبيدي، ص٤١٩.
(٢) انظر: أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن، مازن التميمي، ص ٩٧.

النتيجة أنّها ضمن البعد الشمولي للقرآن...»[١].

-الجواب:

لقد صرّح السيد الشهيد الصدر بهذا الشرط المهم في طيّات بحثه حيث قال: **«فنعبّر عن التفسير بأنّه موضوعي على ضوء الأمر الأول باعتبار أنّه يبدأ من الموضوع الخارجي وينتهي إلى القرآن الكريم، وتوحيدي باعتبار أنّه يوحّد بين التجربة البشرية وبين القرآن الكريم، لا بمعنى أنّه يحمل التجربة البشرية على القرآن، لا بمعنى أنه يُخضع القرآن للتجربة البشرية، بل بمعنى أنّه يوحّد بينهما في سياق بحث واحد»**[٢]، أمّا سعي البعض إلى تحميل الآيات ما لا تتحمّل فهذا إخضاع للآيات وتحميل للتجربة البشرية على القرآن، وهو خلل واضح في تطبيق المفهوم الصحيح للتفسير الموضوعي، ومن ذلك محاولات البعض الاستغراق في تطبيق نظريات علمية حديثة على بعض الآيات وتحميلها إياه بالقوّة.

على أنَّ القرآن غنيٌّ بالموضوعات الكلية التي يمكن الاستفادة منها في الموضوعات الجزئية هنا أو هناك، وإن كان الأمر يحتاج إلى حصافة ودقّة وعمق.

وإنَّ الخطأ في التطبيق لا يعني الخلل في المنهج أو الفكرة أو المفهوم،

---

(١) الشيخ علي سراقي،٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة «نصوص معاصرة»، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١١٧.

(٢) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ص ٣٥.

فالتفسير الموضوعي هو محاولة الوقوف على النظرية القرآنية لا تحميل الآيات ما لا تتحمّل.

■ المناقشة الثالثة: انعدام استخلاص نظرية مقننة

يقول الكاتب: «**الذهاب إلى اختيار موضوع كلي، بحيث لا يوجد نظر محدد حوله... حيث لا يمكن استخلاص نظرية مقننة لمفهوم جميع الآيات الناظرة إلى هذا الموضوع**»[١].

-الجواب:

التفسير هو محاولة كشف المراد من ظاهر الكلام، وليس الوقوف على حقيقة الموضوع الكلي في نفس الأمر، أو الوقوف على المعاني الباطنية والروابط الكونية والروحية بين معاني القرآن، فالمفسّر يقف مع معاني الآيات القرآنية بحسب ظواهرها، وإلا وردَ هذا الإشكال حتى على التفسير التجزيئي الترتيبي، بل وروده على التفسير الترتيبي أوضح؛ لأنّه لا يستقصي معنى الموضوع الكلي في جميع آيات القرآن، ولذلك لا يمكنه الخروج بمفهوم واضح له كما هو الحال في التفسير الموضوعي، إلا بناءً على نظرية تفسير القرآن بالقرآن.

■ المناقشة الرابعة: عدم تحديد الهدف

يقول الكاتب: «**لا يكفي في مجال التفسير الموضوعي الإقرار أنّ الهدف الصرف هو توضيح جميع جوانب الموضوع، أو أنّ المسألة علمية صرفة أو**

(١) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة «نصوص معاصرة»، فصليّة، العدد ٢٦، ص١١٧.

نحوها، بل لا بد أن يكون الموضوع ضمن المبتلى به بين أطياف المجتمع المسلم، أو المجتمع البشري بكلّ عام، ويكون مساهماً في هداية البشرية؛ لأنّ القرآن كتاب هداية وليس مجرد كتاب نظريات علميّة...»[(١)].

-الجواب:

هدف نزول القرآن الكريم هو الهداية، وهو ليس كتاباً للنظريات العلميّة، لكنّه كتاب معجز، وليس بين الأمرين -الهداية والإعجاز- تنافٍ، بل بينهم تناغم وتكامل، فكلّما أثبتنا بعداً جديداً لإعجاز القرآن فإنّنا بذلك عزّزنا هدفه وقدّمنا خدمة جليلة له.

ولا يكاد يخلو بحث من البحوث القرآنية من فائدة تصبّ في طريق خدمة هدفه، ولذلك كلّ ما استطعنا أن نستفيد من فيوضات القرآن وعلومه وكنوزه فلننعم بذلك، وما الضير.

نعم، لا نخرج القرآن عن هدفه الأساس وغايته الكبرى، ولا نحوّله إلى ألعوبة في يد النّظريات الحديثة البشرية الناقصة.

■ المناقشة الخامسة: تحميل القرآن ما لا يتحمل

يقول الكاتب: **«في إطار التفسير الموضوعي لا يقبل من المفسر أن تكون له نظرة مسبقة لموضوع من المواضيع، ثم يأتي إلى القرآن محاولاً إيجاد سند وشاهد شرعي...»**.

---

(١) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة «نصوص معاصرة»، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١١٨.

-الجواب:

هذه لنا لا علينا، إذ إنّ هذه ليس ملاحظة سلبية على التفسير الموضوعي، وإنّما هي ميزة له، لأنّ التتلمذ على القرآن مطلوب، وليُّ عنق آياته مرفوض، ولهذا كانت الموضوعية وعدم الذاتية شرط من شروط المفسّر.

■ **المناقشة السادسة: عدم اختيار الاسم الجامع**

يقول الكاتب: «**كأن يختار المفسّر عنوان الحرب والصلح في القرآن، أو ألفاظاً أخرى، ونحو: الحرب، القتال، الضرب، الثبات، السلام، الهزيمة، الفرار.. والمفروض اختيار العنوان الشامل لكلّ هذه العناوين الصغيرة.. وهو الجهاد في سبيل الله**»[١].

-الجواب:

والتفسير الموضوعي يعطي الضابطة العامة على طبيعة اختيار الموضوع المبحوث، أمّا اختيار العنوان المعيّن فيخضع لطبيعة البحث وجوانبه وأبعاده.

وإنّ اختيار العنوان فنّ من الفنون، ويخضع اختيار العنوان سعةً وضيقاً لسعة وضيق المعنون، وقد ذُكر من الفوارق بين التفسير الموضوعي والتجزيئي هو سعة الموضوع في التجزيئي وضيقه في

(١) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة «نصوص معاصرة»، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١١٨.

الموضوعي حيث: «يكون لكلّ آية من القرآن على حدة، بخلاف التفسير الموضوعي فإنّه لا يكون له إلا موضوع واحد»[١].

والإخفاق في اختيار العنوان من قِبل المفسّر لا يعد نقصاً ولا خللاً ولا إشكالاً على التفسير الموضوعي.

■ **المناقشة السابعة: إغفال العناوين المنتزعة**

يقول الكاتب: «**كثيراً ما تكون مواضيع في القرآن لا يوجد لها في حدّ ذاتها اسم، لذا لا بد من انتزاع اسم لها من ألفاظ قرآنية قريبة لها في الجملة...**»[٢].

-الجواب:

بعد تقرُّر أنَّ التفسير الموضوعي يتمحور حول الموضوع القرآني ولا يتمحور حول الألفاظ والمفردات القرآنية، وأنّه سمّي بالموضوعي لموضوعيته، حيث تدور أبحاثه حول الأفكار والرؤى والموضوعات القرآنية بغض النّظر عن ألفاظها ومفرداتها، فلا يرد إشكال الموضوعات الانتزاعية، إذ إنَّ المفسّر يتتبع كلّ ما يمس هذا الموضوع أو ذاك سواء كان ضمن لفظ خاص أو لم يكن، وسواء كان مباشراً أو انتزاعياً، و"**إنّ هذه المسألة من مهمات التفسير الموضوعي في مضمار اختيار العنوان والموضوع، فإن كان مراد الباحث الاقتصار على ما**

(١) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المبيدي، ص ٤٠٨.

(٢) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة (نصوص معاصرة)، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١١٨.

في القرآن من الموضوعات فهذا غير مقبول؛ إذ توجد كثيراً من الموضوعات الحديثة في كلّ زمان ومكان تحتاج إلى موقف نظري للقرآن الكريم، ويجب على مفسّر القرآن والباحث في علومه أن يستنطق القرآن للوصول إلى نظرية قرآنية في تلك المواضيع"(١).

■ **المناقشة الثامنة: الاكتفاء بمعجم الآيات القرآنية**

يقول الكاتب: «**لا ينبغي الاكتفاء بالمعاجم القرآنية، حيث إنّه ليس بعيداً أن لا تذكر المعاجم بعض الآيات التي تدخل ضمن الموضوع؛ بسبب أنّها لا تحمل الكلمة نفسها...**»(٢).

-الجواب:

لا شكّ أنَّ أرباب هذا التفسير لا يعتمدون على جهود غيرهم، ولا يكتفون بما يرد باللفظ فقط، وإنّما يبذلون قصارى جهدهم في استقراء الآيات بأنفسهم ليقفوا على المعاني قبل الألفاظ المسيسة بالبحث.

■ **المناقشة التاسعة: التساهل في تجميع آيات الموضوع**

يقول الكاتب: «**أنّ المفسر يتساهل إلى حدٍّ كبير في تجميع الآيات بمجرّد احتمال مشابهتها للموضوع، أو قربها منه، ولا يتعب نفسه في دراسة الآيات على حدة...**»(٣).

---

(١) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المبيدي، ص ٤١٨.

(٢) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة (نصوص معاصرة)، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١١٩.

(٣) المصدر السابق.

-الجواب:

إنَّ تساهل المفسّر لا يعدّ عيباً في التفسير، بل التفسير علم قائم بذاته له قواعده وأسسه وضوابطه ومراحله، وإنَّ تقصير المفسّر في الالتزام بها لا يعد خلل في التفسير بل في المفسر.

▪ المناقشة العاشرة: التشدد الناتج عن الوسوسة في تجميع الآيات

يقول الكاتب: «**وهذه النقطة تقع على طرف النقيض بالنسبة إلى النقطة السابقة... وهو ما يصدق عليه التشدد في اختيار الآيات، لمجرد احتمال الناتج عن التخمينات، الفاقدة إلى مؤيد أو دليل...**»(١).

-الجواب:

هذا الإشكال يؤكّد كون المشكل في المفسر لا التفسير.

▪ الإشكاليات الحادية عشرة: عدم مزاولة التفسير بالقدر المطلوب

يقول الكاتب: «**كلّ من ظنّ أنّه يستطيع من دون مزاولة وسابق معرفة بالتفسير أن يجمع الآيات الموحّدة في الموضوع، وأن يضم بعضها إلى بعض، أي: أن يدخل إلى التفسير الموضوعي بهذه الشروط فقد ضلّ أو أضل...**»(٢).

(١) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة (نصوص معاصرة)، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١٢٠.
(٢) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة (نصوص معاصرة)، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١٢٠.

-الجواب:

إنّ هذا الإشكال يؤكّد أنّ لهذا التفسير ضوابط وأسس، وأنَّ على من أراد أن يدخل فيه أن يطوي تلك المراحل.

■ **المناقشة الثانية عشرة: الأحكام المسبقة**

يقول الكاتب: «**وجود بعض المفاهيم والاعتقادات السابقة في خصوص موضوع من المواضيع يجعل المفسّر يبني عليها في تفسيره للآيات القرآنية، أو لا أقل يطبعها بطابعه ويغلب عليها لونه**»(١).

-الجواب:

هذا الإشكال يرد على كلّ المناهج والاتجاهات التفسيرية، وإنّ وروده على غير التفسير الموضوعي أشدّ وأوضح، إذ «لمّا كان المفسّر في التفسير الموضعي يقتصر على تفسير الآية التي يواجهها، فقد يؤدّي تفسيره إلى ظهور التناقضات المذهبية، بخلاف التفسير الموضوعي فإنّ المفسّر لما خطى خطوة أخرى ولم يقتصر على الآية الخاصة تفادى كثيراً من التناقضات»(٢).

■ **المناقشة الثالثة عشرة: عدم المعرفة بترتيب النزول**

يقول الكاتب: «**من شروط المفسّر معرفته بترتيب النزول، حتى يكون دقيقاً في تفسيره، لأنّه من غير هذه المعرفة قد يجعل الآية الأولى قيداً**

(١) الشيخ علي سراقي،٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة (نصوص معاصرة)، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١٢٠.

(٢) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المبيدي، ص ٤٠٨.

وإطلاقاً للثانية، في حين يكون العكس هو المراد»[١].

-الجواب:

إنّ من أهمّ خصائص التفسير الموضوعي: "الانسلاخ من قيود الزمان والمكان حيث يلغي الخصوصيات الزمانية والمكانية للآيات (كما هو الحال في قصص القرآن) ويستخرج لبّ المعنى من الآية ويستخدمها كقاعدة وقانون كلّي للإجابة على الأسئلة والمشاكل التي تواجه الفرد والمجتمع"[٢].

على أنّ المبنى الأصولي في الروايات أنّه يصح تقييد السابق منها للاحق، فيصح أن تقيّد رواية عن أمير المؤمنين رواية أخرى مطلقة عن الإمام الصادق عليه السلام، فإذا كان ذلك جائز في الروايات ففي الآيات من باب أولى.

- **المناقشة الرابعة عشرة: الانبهار بالعلوم**

يقول الكاتب: «مال بعض المفسرين إلى تفسير القرآن وفق النظريات العلمية الجديدة، وهو أسلوب يضرب في العمق أصول التفسير الموضوعي؛ لأنّه -وبشكل تدريجي- سيعطي الأصالة للعلوم الجديدة، وبالتالي سيرفع قيمة نظريات العلوم التجريبية التي تعتمد الظنّ والاحتمال، وهذا سيلحق الأذى بمنهج التفسير الموضوعي؛ لأنّ التجربة كلّ يوم في تطوّر بينما الحقائق

(١) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة (نصوص معاصرة)، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١٢٠.

(٢) دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمد علي الرضائي الإصفهاني، ص ٣١٣.

القرآنية ثابتة»[١].

-الجواب:

إنَّ ضابطاً من أهمّ ضوابط التفسير الموضوعي هو التلمّذ بين يدي القرآن الكريم وعدم إخضاعه للمسبَّقات الفكرية أو الآراء الذاتية أو العقائد الخاصة.

لكنّ ميل بعض المفسّرين إلى تفسير القرآن وفق النظريات العلمية ليس خاصّاً بمن خاض التفسير الموضوعي وحسب، فإنّ تعدّي هذه الضابطة قد يحصل عند أيّ منهج من مناهج التفسير واتجاهاته.

بل إنّ هذا النحو من التعاطي يعدّ مشكلة عامة يصاب بها كلّ من ابتعد عن الموضوعيّة عند خوضه في تفسير القرآن بل الاجتهاد في النصوص عموماً.

- **المناقشة الخامسة عشرة: الانبهار بالغرب والتودّد إليه**

يقول الكاتب: **«من بين التفاسير القرآنية الحديثة تلك التي كتبت بواسطة مفسّرين إسلاميين حركيين انعطفوا إلى تفسير الآيات وفق النظريات الغربية، حيث تأثروا كثيراً بالمفاهيم الغربية وقوانينها في الأخلاق والاجتماع، وعملوا في هذه التفاسير على محاولة إيجاد نوع من الانسجام والتوافق بين المدارس الفكرية أو الفلسفية الغربية وبين المفاهيم القرآنية**

(١) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة (نصوص معاصرة)، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١٢٢.

والوحي الإلهي...»[١].

-الجواب:

يتكرر من الكاتب النقد لبعض المفسِّرين دون نفس الاتجاه التفسيري ومنهجه، ويؤكّد بين طيّات كلامه أنّ المشكلة عند بعض المفسرين في أسلوبهم وطريقتهم، ولا تراه يوجّه إشكالاته إلى نفس التفسير الموضوعي وقواعده وأسسه.

القسم الثالث: الخلل الذي يلحق مرحلة استخلاص النظرية

■ المناقشة السادسة عشرة: عدم الالتزام الكامل بكل معاني الآيات

يقول الكاتب: «في مرحلة استخلاص النظرية على المفسّر أن يلتزم باستحضار كلّ ما استخلصه من معاني ومفاهيم، بدون زيادة أو نقيصة ... وقد سلك هذا بعض المفسّرين حيث عمدوا إلى إخفاء بعض المفاهيم حتى لا تعاب على القرآن، أو تكون مورد إحراج لهم، وهم يتصوّرون أنّهم يحسنون صنعاً، كما هو الشأن في موضوع تعدّد الزوجات، والطلاق، والربا...»[٢].

-الجواب:

الجواب هو الجواب، فالمشكلة ليست في التفسير الموضوعي وإنّما هي في المفسّر، وهي عدم الفهم الصحيح لحقيقة القرآن الكريم، فهو

---

(١) الشيخ علي سراقي،٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة (نصوص معاصرة)، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٧.

يعتقد النقص والعيب والعياذ بالله في القرآن، وأنّه يقوم في تفسيره بتغطيتها وتوجيهها بما يراه عقله صحيحاً.

■ **المناقشة السابعة عشرة: استبعاد القرآن والاشتغال بأمور أخرى**

يقول الكاتب: «**وهو أن يستغرق المفسّر في توسيع الموضوع بحيث يجري وراء أمور هامشية مما يجعله يخرج عن إطار التفسير الموضوعي...**»(١).

-الجواب:

واضح جداً أنَّ إطار التفسير الموضوعي واضح ومحدّد، وأنَّه لا يخرج عن إطار آيات القرآن وما يدور حولها وما يعين في فهمها.

■ **المناقشة الثامنة عشرة: الاستعجال في استخلاص النظرية**

يقول الكاتب: «**لا بد للمفسّر وفق التفسير الموضوعي من التزام الدقة حين استخلاص النظرية القرآنية حول موضوع من المواضيع، ولا ينبغي أن يتسرّع ولا يراعي الدقة في تجميع الآيات الموحدة في موضوعها... وقد وقع في هذا المسلك الخاطئ العديد ممن اشتغل في حقل التفسير الموضوعي**»(٢).

-الجواب:

نعم، البحث العلمي هو البحث الذي يتحرّى الدقة والاستيعاب

---

(١) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة (نصوص معاصرة)، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٨.

ويراعي الاستقراء التام قدر الإمكان للآيات القرآنية محلّ البحث.

- **المناقشة التاسعة عشرة: عدم الاعتناء بخصوصيات القرآن**

يقول الكاتب: «**المفسّرحين يغفل خصوصيات القرآن ولا يضعها نصب عينيه حين استخلاص النظرية القرآنية فإنّ الخطأ والاشتباه سيرافقه في تحديد القواعد وإعلان الحقائق القرآنية**»[(١)].

-الجواب:

يذكر العلماء شروطاً معينةً في المفسّر، ومن أهمّ هذه الشروط هو الاعتقاد بأمورٍ في القرآن الكريم وأنّه كتاب الله، وهو المعجزة الخالدة للنبي صلى الله عليه وآله، وأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه.

ختاماً..

يبقى القرآن الكريم بحراً لا ينضب ومعيناً لا يجدب، ومع هذا التقدّم المعرفي والمناهجي يبقى القرآن هو القرآن المعجز ذو المكانة التي لا تمسّ والمنزلة المعلِّمية.

وحيث انتقلنا من نظرية الفقه إلى فقه النظرية فنحن كما أننا بحاجة للحصول على نظرية إسلامية لاستقصاء كلّ ما هو دخيلٌ في تكوين تلك النظرية من أدوات استنباطية ونصوص شرعية روائية كانت أو قرآنية فكذلك هنا، فلمعرفة النظرية القرآنية من حيث أسبابها وأبعادها

(١) الشيخ علي سراقي، ٢٠١٢م، التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته، مجلة (نصوص معاصرة)، فصليّة، العدد ٢٦، ص ١٢٨.

ونتائجها حول موضوع من الموضوعات نحتاج إلى استقصاء جميع ما يتعلّق به من آيات كريمة وهو ما نستفيده من «التفسير الموضوعي».

وإنَّ ورود بعض الإشكالات على هذا المنهج التفسيري لا يعني التنازل عنه أو نبذه، فإنّ ذلك يعدّ حرماناً لأنفسنا وللأجيال من المنهج الجديد لإثارة دفائن وكنوز القرآن الكريم.

Advisory Board :

Sh. Abdulla Ali Al daqaq

Sh. Ali Fadhel Alsadadi

General Superviser :

Sh. Abdulraoof Hasan Alrabeea

Editor in Chief :

Sh.mohammed ali khatam

Editor in Director :

Sh.Abbas Ali Alsayegh

The assistant manager :

Sh.Jaafar Abdulnabi Aljaboori

Editorial Board :

Sh. Aziz Hasan Salman

Sh. Ali Aqeel Aljamri

Sh. MAnsoor Ebrahim Hussain

sayed. Jalal Adnan Alawi

لأيّ شيء عاشوراء؟!

(هذه المناسبة -عاشوراء- ليست لتغييب الإسلام في الواقع، بمعنى نسيان الإسلام من أجل الواقع ومعاناته، كما أنّها في نفس الوقت ليست للهروب بالإسلام عن الواقع، وتعليقه بالقياس إلى الواقع يلامس الواقع من منطلق الإسلام وبالطريقة الإسلامية، وفي حدود الحكم الفقهي، والمعالجة الشرعيّة.

عاشوراء ليس مسرح الشعارات التي لم يتم تدقيقها من ناحية إسلامية، بل هو فرصة لطرح المفهوم الإسلامي النّقي، والرؤية الإسلامية الصافية، وهو للارتفاع بالمستوى الخلقي لكلّ من الرجل والمرأة، ولمزيد من العفّة والطهارة الروحية والتزكية، ويجانب هذه الوظيفة أيَّ أسلوب يؤدّي إلى لونٍ من الانحطاط الخلقي، والتسيّب في السلوك والتميّع في المشاعر.

محرّم للوعي الإسلامي والنّضج العاطفي، للجدّية والرّجولة، للشهامة والكرامة، للعزّة والإباء، لروح التّضحية والفداء، للاجتماع على موائد التّقوى والفضيلة، لتصحيح الإرادة ونهوضها، لكلّ ما يبني الشخصية الإسلاميّة القويمة.

محرّم ليس للسطحيّة، ولا للانهيار الخلقي والفجاجة العاطفية وعربدة المعربدين، ولا لمجد القبيلة والمنطقة، ولا نصيب فيه لأيّ مدرسة غير مدرسة الإسلام القويم، ولا استغلال فيه لأيّ غرض لا يرتضيه الإسلام)[1].

---

(١) خطبة الجمعة (٥٠) ١ المحرم ١٤٢٣هـ - ١٥-٣-٢٠٠٢م

رسالة القلم

مجلّة طلابيّة فصليّة

تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية

تصدر عن طلاب البحرين في الحوزة العلميّة

بمدينة قم المقدسة

www.ralqalam.com

info@ralqalam.com

ralqalam

الجمهورية الإسلامية في إيران ـ قم المقدسة

شارع جمهوري ـ شارع قيام ـ فرع ٨ ـ مبنى ١٠

+٩٨ ٢٥٣٢٨٩٨٤٧٠